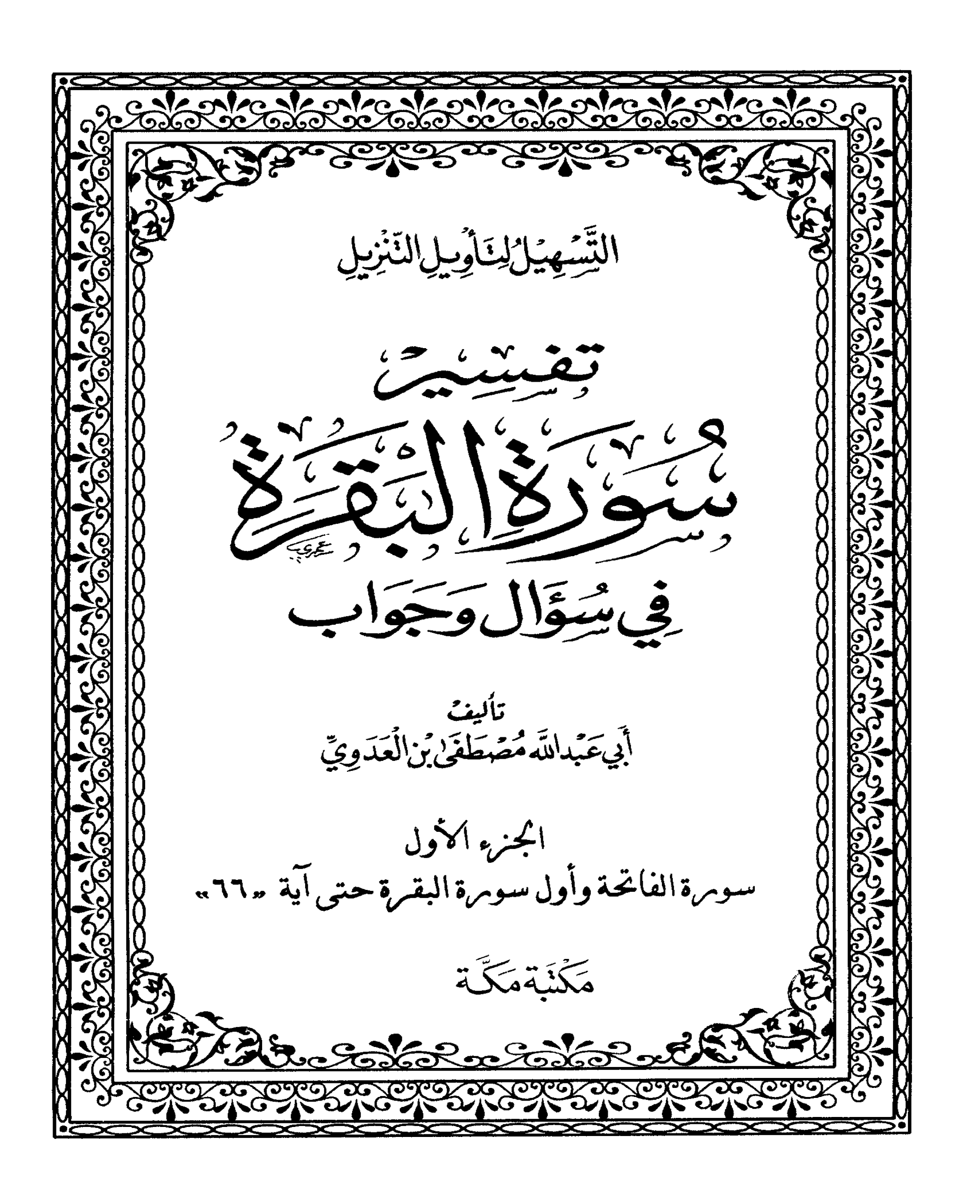


التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير سورة البقرة في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الأول
سورة الفاتحة وأول سورة البقرة حتى آية «٦٦»

مكتبة مكة



تفسير سورة البقرة
في سؤال وجواب

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع
٢٠٠٣ / ١٥٧٥٨

مَكتَبة مَكّة
طنطا: ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس
ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - ٠١٢٢٤٨٩٨٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا** ﴾ [النساء : ١] .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] ، وبعد :

فمن نعم الله سبحانه وتعالى علينا وعظيم إحسانه ، وجزيل عطائه وجميل امتنانه ؛ أن وفقنا لخدمة كتابه وبيان معانيه وإيضاح المجمل فيه ، والبحث عن أقوال أهل العلم في ذلك وفي تفسيره واستنباط أحكامه والوقوف على

محكمه ومتشابهه ومجمله ومفصله وناسخه ومنسوخه ، فللَّه الحمد على ذلك كله حمدًا يرضيه آناء الليل وأطراف النهار وفي الأولى والآخرة .

وله الحمد سبحانه عدد ما برأ وخلق وذرأ على ما من به من توفيق لخدمة سنة نبينا محمد ﷺ وتنقيتها مما شابها واعتراها من الضعيف والسقيم والموضوع .

فلا هدي أكمل ولا أجمل من الاهتداء بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذا وذاك خير هدي وأكمل هدي ، وهذا وذاك نور على نور يهدي الله إليه من يشاء فللَّه الحمد على هدايته ، ونسأله سبحانه المزيد من فضله كما نسأله سبحانه الإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب .

● هذا وبين أيدينا تفسير لكتاب الله عز وجل في صورة السؤال والجواب ابتدأناه بسورة الفاتحة ثم بسورة البقرة ، وكنت قبل قد أصدرت منه مجلدًا يحوي تفسير سورة آل عمران في سؤال وجواب تحت مسمى التسهيل لتأويل التنزيل قامت بنشره دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر (بالمملكة العربية السعودية) والحمد لله كانت ثمرته طيبة ، والثناء عليه حسن من فضل الله ، وهذا مما شجعني على المُضي قُدمًا لإتمام هذا العمل الجليل ، نسأل الله العون على إتمامه ، وكان سبب إقدامي على إصدار تفسير آل عمران قبل سورة البقرة هو ما تحتاجه سورة البقرة من جهدٍ مُضْنٍ للوقوف على خلاصة أقوال أهل العلم في المسائل الفقهية التي امتلأت بها سورة البقرة (من نكاح وطلاق وحج وبيوع وصيام وصلاة وزكاة وأيمان ونذور وسحر وحسد و ...) وإبراز هذه الخلاصة في صورة جوابٍ مُركزٍ مختصر على سؤال مُركز حتى يستفيد القارىء من ذلك وتصل إليه المعلومة — بإذن الله — بأسلوب سهل مُيسر مشوق ، فنصل بالقارىء بإذن الله إلى حدٍّ

طيب من الإدراك لمعاني كتاب الله عز وجل والوقوف على مراد الرب عز وجل من الآيات - والله أعلم بمراده - فقد أمرنا الله بتدبر آيات كتابه واستنباط المعاني والأحكام منه كما قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] ، وكما قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ..** ﴾ [النساء : ٨٣] .

فنرجو الله عز وجل أن نكون من المصطفين الأخيار ، ومن الخيِّرين الذين وصفهم رسول الله ﷺ بقوله : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وقال فيهم : « **من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » .

وطريقة السؤال والجواب - كما قدمنا في آل عمران - طريقة تُجسد المعلومة وتشحذ الهمم لمعرفة الجواب وتحرك ملكة التفكر والتدبر لآيات الكتاب بإذن الله وهي طريقة أصلها ثابت في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ ، فقد طُرحت أسئلة في كتاب الله وأُجيب عليها ، وقد سأل رسول الله أصحابه جملة أسئلة وأجابوه عليها وأجاب هو على البعض الآخر ، كما وضحت ذلك في مقدمة آل عمران وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله تعالى في المقدمة العامة لهذا العمل والتي آثرت إرجاءها إلى الانتهاء منه حتى تكون مقدمة موسعة لأبواب التفسير بصفة عامة إن شاء الله .

● هذا وقد أوضحت أيضًا في مقدمة آل عمران الطريقة العامة التي اتبعتها في هذا العمل وحاصلها أنها تتمثل في لزوم طريقة أهل السنة والجماعة في التفسير والسير على الخطوط العامة لهم من تفسير القرآن بالقرآن وسنة رسول الله ﷺ ثم بالآثار الواردة عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبما تقتضيه لغة العرب التي نزل بها القرآن

الكريم فقد نزل بلسان عربي مبين .

- وأيضًا ابتعدت عن الإسرائيليات قدر الاستطاعة .
- واجتهدت في إيضاح معاني الجمل والكلمات والمفردات مع جمع الروايات في الباب الواحد وإيراد الأبحاث المتعلقة بالآيات .
- وأيضًا راعيت الاقتصار على ما صح من أسباب النزول .
- وأعرضت عن قضايا كثيرة يثيرها عدد من المفسرين لا برهان لهم عليها ولا طائل تحت إثارتها اللهم إلا إضاعة الوقت وتبديد الجهد ثم حرصت بفضل الله على البعد عن طرق أهل الكلام والجدل من المفسرين ، وهذا لا يمنع أن أستفيد منهم أحيانًا في موطنٍ أصابوا فيه واتبعوا فيه الدليل من الكتاب والسنة ووفقوا فيه لطريقة أهل السنة والجماعة ، فالرسول ﷺ قال لأبي هريرة في شأن الشيطان : « **صدقك وهو كذوب** » وقال لأصحابه : « **لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد** » لما قال له اليهود : إن أصحابك يشركون ويندون ...

فالحق يقبل ممن جاء به ، لكن الغوص في كتب أهل الكلام منهج مذموم وسبيل لدينا غير مسلوك إن شاء الله .

أما بالنسبة لتخريج الأحاديث فأنا مقتصر في العزو على الصحيحين في الغالب إن كان الحديث فيهما وأحيانًا أوسع في التخريج بعض التوسع ، هذا إذا كان الحديث صحيحًا ، أما إذا كان الحديث ضعيفًا فإنني أُبيِّن سبب ضعفه وأشير إلى من أخرجه ، وذلك مني صادر بعد بحث وجهد حول الحديث ، ولكني لم أثبت كل بحثي وجهدي حول الحديث في حاشية هذا الكتاب فهو كتاب لا يتحمل ذلك ، ولكني وضعت خلاصة بحثي حول الحديث في الحاشية ، وذلك حتى لا يُثقل الكتاب بالحواشي .

● هذا وقد كان من ملاحظات بعض إخواني أنهم قالوا : نريد عزو الكلام إلى قائليه ، كذا قالوا ، وهذا مطلب يتحقق في كثير من الأحيان ولكن ثمَّ مواطن إذا لزمت ذلك فيها خرجت عن مقصودي الذي هو التسهيل لتأويل التنزيل ، وإيضاح ذلك أنني عند تفسير آية والنظر فيها أطلع على ما يفوق الأربعين تفسيرًا ، وفي كثير من الأحيان يطبقون على قول واحد ، فإذا نقلت أقوال الأربعين مُفسرًا أو عزوت إليهم امتلأ الكتاب بأرقام الصفحات وكذلك في كثير من الأحيان ينقل بعضهم من بعض فالشوكاني مثلًا في فتح القدير ينقل كثيرًا من القرطبي ، وصاحب فتح البيان (صديق حسن خان) ينقل من الشوكاني ، والقرطبي نفسه ينقل كثيرًا من أحكام القرآن لابن العربي وهكذا فلا معنى لأن أعزو إلى أربعتهم وإذ عزوت إلى أولهم فأولهم قال بقول شاركه فيه مثلًا عشرة من المفسرين فسيخرج ذلك بنا إلى ما لا نريده من الإطالة وتسويد الحواشي في وقت هدفنا فيه التيسير والتسهيل على عموم الأمة وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن ، وأن يجعله في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

هذا : ومن لديه أي ملاحظة أو أي إرشاد أو تنبيه لشيء فجزاه الله خيرًا إن أفادنا به وجعل ذلك في ميزان حسناته . وإلى تفسير سورتي الفاتحة والبقرة والله المستعان .

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي شلباية

مصر – الدقهلية

منية سمنود

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

* * *

س : ما معنى الكلمات الآتية :
رب – العالمين – يوم الدين – نستعين – اهدنا – الصراط – المستقيم – المغضوب عليهم – الضآلين – آمين ؟

ج :

الكلمــة	معناهــا
رب	الرب هو المالك المتصرف .
العالمين	السماء والأرض وما بينهما (أو كل ما خلقه الله) .
يوم الدين	يوم الجزاء وهو يوم القيامة .
نستعين	نطلب العون .
اهدنا :	وفقنا – ألهمنا – ثبتنا .
الصراط	الطريق .
المستقيم	الذي لا اعوجاج فيه .
المغضوب عليهم	اليهود .
الضآلين	النصارى .
آمين	اللهم استجب وتقبل .

❋ ❋ ❋

س : سورة الفاتحة هل هي مكية أو مدنية وما هو الدليل على ذلك ؟

ج : سورة الفاتحة سورة مكية على الراجح من أقوال أهل العلم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] وهذه في سورة الحجر ، وسورة الحجر مكية بالإجماع (نقل ذلك القرطبي) وقد فسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[١].

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[٢].

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأسماء التي أطلقت على سورة الفاتحة ؟

ج : من هذه الأسماء : فاتحة الكتاب[٣].

ومنها : أم الكتاب[٤].

ومنها : أم القرآن[٥].

ومنها : الحمد ، أو الحمد لله رب العالمين[٦].

---

(١) وهو في الصحيح كما سيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٢) وهو في الصحيحين ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٣) وهذا لا خلاف فيه بين العلماء ؛ لأن الكتاب فُتح بها ، ولقول النبي ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله ولغير ذلك أيضًا .

(٤) وقد ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه .. ما رقيت إلا بأم الكتاب ، وسيأتي إن شاء الله . وهو في الصحيح .

(٥) وذلك لقول النبي ﷺ : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهو في الصحيح وسيأتي .

(٦) لقول أنس : صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين . وهو في الصحيحين وسيأتي .

ومنها : الصلاة[1].

ومنها : (السبع المثاني والقرآن العظيم)[2].

ومنها : الرقية ؛ لأن أبا سعيد رَقى بها ، ومنها : الشافية ؛ لأن اللديغ شُفي بها بإذن الله ، إلى غير ذلك . والله أعلم .

* * *

س : هل يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض ، اذكر باختصار ما يدل على ذلك[3]. وكذلك هل يجوز تفضيل بعض الآيات على بعض ؟

ج : نعم يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض ؛ لقول النبي ﷺ لأبي سعيد بن المعلى : « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن » ، وأخبره النبي ﷺ بأنها الفاتحة[4].

● ولقول النبي ﷺ عن سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »[5]، أما الآيات فكذلك أيضًا يجوز تفضيل بعضها على بعض ، فقد قال النبي ﷺ لأُبي بن كعب : « يا أبا المنذر ! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : ﴿ الله لا إلـٰه إلا

---

(١) للحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي .. » وهو في صحيح مسلم ، وسيأتي .

(٢) وذلك لما تقدم في (٣) .

(٣) والإطالة لها موطن آخر إن شاء الله .

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩ / ٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها – فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » .

هو الحي القيوم ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] قال : فضرب في صدري ، وقال : « ليهنك[2] العلم أبا المنذر »[3].

❋ ❋ ❋

س : ظن بعض العلماء أن جبريل عليه السلام لم ينزل بالفاتحة إنما نزل بها ملك آخر غيره ، اذكر مستند القائلين بذلك وبيِّن مدى صحته ؟ ومدى سلامة هذا الاستدلال ؟

ج : مستند القائلين بذلك : حديث ابن عباس رضي الله عنهما : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته »[4].

وهو حديث حسن ، وهذا مستند القائلين بأن ملكًا نزل بها غير جبريل عليه السلام ، وفي هذا الاستدلال نظر ، فإن الملك نزل يبين فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، أما جبريل عليه السلام فقد نزل بالقرآن كله ، كما قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) يريد آية الكرسي (كما في الروايات الأُخر) .
(٢) أي : هنيئًا لك بالعلم يا أبا المنذر .
(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٩٣) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا .
(٤) أخرجه مسلم (٦/٩١ مع النووي) .

س : اذكر بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الفاتحة ؟

ج : من هذه الأحاديث الصحيحة : ما ذكره أبو سعيد بن المعلى رضي الله عنه ، قال : كنت أُصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أُجبه[1] فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، فقال : « ألم يَقُلِ الله : ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ ؟ » [الأنفال : ٢٤] ثم قال لي : « لأعلمنك سورة **هي أعظم السُّور في القرآن** قبل أن تخرج من المسجد » ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة **هي أعظم سورة في القرآن ؟** قال : « ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] **هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** »[2].

● ونحوه مختصرًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم** »[3].

● ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم ، وإن نفرنا غُيَّب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل منا ما كنا نأبُنُهُ برقية فرقاه فبرأ ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تُحسن رقيةً أو كنت ترقي ؟ **قال : لا ما رقيت إلا بأم الكتاب** ، قلنا : لا تُحدثوا شيئًا حتى نأتي ، أو نسأل النبي ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال : « وما كان يُدريه أنها رقية ؟ اقسموا واضربوا لي بسهمٍ »[4] .

---

(١) في رواية للبخاري (٤٦٤٧) فدعاني فلم آته حتى صليت ، فقال : ما منعك أن تأتي ؟ ألم يقل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ [الأنفال : ٢٤].

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) وفي عدة مواطن من صحيحه ، وأبو داود (حديث ٣٥١) ، والنسائي (١٣٩/٢) ، وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٠٧) ، ومسلم (مع النووي ١٨٧/١٤) ، وورد نحوه من =

● ومنها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : **أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته** »[1].

● ومنها : قول النبي ﷺ : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** »[2].

● ومنها : قول النبي ﷺ : « **إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، فقولوا : آمين ، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه** »[3].

● ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج (ثلاثًا) غير تمام »، فقيل

= حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (٥٧٣٧) ، وفيه : أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماءٍ فيهم لديغ – أو سليم[1] – فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راقٍ ؟ إن في الماء[2] رجلًا لديغًا أو سليمًا ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[3] فبرأ ، فجاء بالشاءِ إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا ، حتى قدموا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ، أخذ على كتاب الله أجرًا ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» .

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٩١/٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ، ومسلم (٤/١٠٠ مع النووي) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٥٩/٨) ، والنسائي (١٤٤/٢) ، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

---

(١) العرب تطلق على اللديغ سليمٌ تفاؤلًا بالشفاء .

(٢) أي : من أهل هذا المكان الذي به ماء .

(٣) أي : مقابل عدد من الشياه (وهي الغنم) .

لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ، فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، قال مجَّدني عبدي ، وقال مرة : فوَّض إليَّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** »[1].

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ بسم الله ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من قال : إن المعنى : أقرأ باسم الله ، أو أبتدىء قراءتي باسم الله .

● ومنهم من قال : ابتدائي القراءة باسم الله .

● ومنهم من قال : إن معنى (بسم الله) أي: بالله ، أي : بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه ، قاله القرطبي .

● ونقل عن بعض العلماء قولهم : إن معنى قوله : (بسم الله) يعني : بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته ، قال : وهذا تعليم من الله تعالى عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها ؛ حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل .

● وقال بعضهم : إن كلمة اسم زائدة واستشهدوا بقول لبيد بن ربيعة .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٠١ - ١٠٢) .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما .·. ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر[1]

والمعنى ، ثم السلام عليكم ، واسم زائدة .

لكن تعقب الطبري قول من قال هذا ووصفه بالفساد واختار في شرح بيت لبيد وجهين :

الوجه الأول : أن المراد بالسلام اسم من أسماء الله تعالى ، فمعنى قوله : (ثم اسم السلام عليكما) أي : ثم الزما اسم الله وذكره بعد الحول (وهو السنة) ودعا ذكري والبكاء عليَّ لأن من بكى سنة كاملة على شخص فقد اعتذر (أي : أدى ما عليه إن كان عليه شيء ولا لوم عليه بعد ذلك) .

والوجه الثاني : في قوله : (ثم اسم السلام عليكما) أي : تسمية الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه : (اسم الله عليك) يعوِّذه بذلك من السوء ، فكأنه قال ثم اسم السلام عليكما من السوء .

والله تعالى أعلم .

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ بسم الله ﴾ فهذه بعض أقوال العلماء فيه.

قال الطبري رحمه الله : إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدَّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدَّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها ، وسبيلًا يتبعونه عليها فبه افتتاح أوائل منطقهم

---

(١) بيت الشعر للبيد بن ربيعة في قصيدة وجَّهها لابنتيه وفيها :

تمنى ابنتاي أن يعيشَ أبوهُما ... وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَر

ثم قال :

فقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولَا تخْمشا وجهًا ولا تحلقا شَعَرْ

وقولا : هو المرءُ الذي لا خليلَه ... أضاع ولا خان الصديقَ ولا غَدَرْ

وقال :

إلى الحَولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ... ومن يَبْكِ حولًا كاملًا فقد اعتذر

وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : (بسم الله) على ما بطن من مراده الذي هو محذوف .

ونقل القرطبي رحمه الله عن العلماء : أن (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم لعباده إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق ، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري ...

❋ ❋ ❋

س : هل ثبت أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم ؟ وما هو وجه القائلين بذلك ؟

ج : لا أعلم دليلًا على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم ، لكن قد قال بذلك بعض أهل العلم ، ووجه قولهم يتمثل في الآتي :

أولًا : أنه اسم لله تبارك وتعالى لم يتسم به غيره، كما قال تعالى : ﴿ هل تعلم له سميًّا ﴾[1] [مريم : ٦٥] ولذلك لا يُثن ولا يجمع .

ثانيًا : أنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال الله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى... ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

وكما قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا »[2].

---

(١) على أحد الوجوه للعلماء في تفسير الآية الكريمة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (حديث ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة =

وقال تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم .. ﴾ [الأنعام : ٣] .
وقال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

***

س : يُقال لمن قال : بسم الله مبسمل ، ويُطلق بعض العلماء على (بسم الله) البسملة ، وهي لغة مولدة ، اذكر شاهدها من الشعر وأمثلة أخرى لها ؟

ج : أما شاهدها من الشعر فما نقله القرطبي عن عمر بن ربيعة حيث قال :

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غداةَ لقيتُها .. فيا حبذا ذاك الحبيبُ المبسمِلُ

ومن أمثلة اللغة المولدة **هلَّل** الرجل إذا قال : **لا إلٰه إلا الله** وسبحل إذا قال : **سبحان الله** ، **وحمدل** إذا قال : **الحمد لله** ، **وحيفل** إذا قال : **حي على الفلاح** ، **وطبقل** إذا قال : **أطال الله بقاءك** .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد أم لهذا معنى ولهذا معنى آخر ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان فمنهم من يقول : الرحمن والرحيم بمعنى واحد ، لكن الجمهور على التفريق، وأن (الرحمٰن) خاص الاسم عام الفعل و (الرحيم) عام الاسم خاص الفعل ، بمعنى أن (الرحمن) مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره، كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا

= رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لله تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر » اللفظ لمسلم . وفي رواية : « من أحصاها دخل الجنة » .

الرحمٰن أيامًا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء : ١١٠] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ، وقال : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يُعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] فأخبر أن الرحمٰن هو المستحق للعبادة عز وجل[١]، وقد تجاسر مسيلمة الكذاب – لعنه الله – فتسمى برحمان اليمامة ، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب فألزمه الله تعالى نعت الكذاب لذلك ، وإن كان كل كافر كاذبًا فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علمًا يُعرف به ألزمه الله إياه[٢] قاله القرطبي .

فالرحمن اسم خاص بالله سبحانه لا يشاركه فيه غيره ، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة[٣].

---

(١) قاله القرطبي ، وكذا قال الذي بعده إلى قولنا قاله القرطبي .

(٢) وقال ابن كثير رحمه الله : ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمان اليمامة كساه الله جلباب الكذب، وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب ، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب .

(٣) قال بعض العلماء : ولهذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ثم استوى على العرش الرحمٰن ﴾ [الفرقان : ٥٩] وقال : ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] فذكر الاستواء باسمه الرحمٰن ليعم جميع خلقه برحمته ، والله أعلم .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : .... فربنا جل ثناؤه رحمٰن جميع خلقه في الدنيا والآخرة ، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ، فأما الذي عمَّ جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحمانًا لهم به ، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه[١] كما قال جل ثناؤه : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم : ٣٤ ، والنحل : ١٨] . وأما في الآخرة فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانًا في تسويتهُ بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه فلا يظلم أحدًا منهم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا وتوفى =

---

(١) وكان ذكر قبل ذلك : الإفضال والإحسان إلى جميعهم في البسط في الرزق ، وتسخير السحاب بالغيث ، وإخراج النبات من الأرض وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التي لا تحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون .

أما (الرحيم) فهو اسم لله عز وجل ووصف أيضًا للمخلوقين ، قال الله تعالى عن نبيه محمدٍ ﷺ : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [براءة : ١٢٨] لكن (الرحيم) قال الجمهور : إنه خاص الفعل بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين ، كما قال سبحانه : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] ، ورحمته بالمؤمنين تتمثل في أمور منها : اللطف بهم وهدايته إياهم ونحو ذلك .

ولا يعكر على هذا نحو قوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ ، وذلك لأن صورة الرحمة هنا تفارق صورتها في قوله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] فإذا قلنا: إن المراد بالناس عموم الناس فصورة الرحمة – والله أعلم – تتمثل في تأنيه سبحانه بهم وعدم الاستعجال بإنزال العذاب عليهم، بل يستأني بهم ويفتح لهم باب التوبة ... والله أعلم .

***

س : اذكر بعض أسماء الله عز وجل التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله سبحانه وتعالى ، وبعض الأسماء التي يجوز أن يتسمى به غيره عز وجل ؟

ج : أما الأسماء التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله عز وجل فمنها: **الله** –

= كل نفس ما كسبت فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحمانًا في الآخرة ، وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيمًا لهم فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به، وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيمًا لهم دون الكافرين ، فما وصفنا آنفًا مما أعدَّ لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الأماني .

تنبيه : ورد حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ قال : قال عيسى ابن مريم : « الرحمٰن : رحمٰن الآخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة » وهو ضعيف ، وورد أيضًا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما وهو ضعيف كذلك .

الرحمٰن - الخالق .

أما الأسماء التي يجوز أن يتسمى بها غير الله عز وجل فمنها : **العزيز** ، فقد قال الله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز .. ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال إخوة يوسف : ﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ [يوسف : ٨٨] .

وقال نسوة في المدينة : ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ [يوسف : ٣٠] .

ومنها : **المؤمن** ؛ كما قال تعالى عن نفسه : ﴿ السلام المؤمن ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[١] وقال عليه السلام : « أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن .. »[٢].

ومنها : **الملك** ؛ قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك ﴾ [الحشر : ٢٣] .

﴿ وقال الملك ائتوني به ... ﴾ [يوسف : ٥٠ ، ٥٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(٢) بهذا السياق أخرجه مسلم ص (٢١٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، وأصله في الصحيحين (البخاري حديث ٦٢) ومسلم (حديث ٢٨١١) .

س : هل (بسم الله الرحمٰن الرحيم) آية من سورة الفاتحة ومن غيرها من السور أم لا ؟

ج : أما(بسم الله الرحمٰن الرحيم) ، فابتداءً هي بعض آية من سورة النمل إجماعًا ، لقول الله تعالى : ﴿ ... إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [النمل : ٣٠] .

وهي ليست آية من سورة براءة كذلك .

أما بالنسبة للفاتحة فلأهل العلم قولان :

● فمنهم : من يرى أنها آية من سورة الفاتحة ، لقول الله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] وفسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[1]، ولا تكمل الفاتحة سبع آيات إلا إذا اعتبرت البسملة آية منها .

ولأن البسملة أثبتت في المصحف وكتبت بخطه ونُقلت نقله .

● ومنهم : من يرى أنها ليست آية من الفاتحة ؛ لقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ...»[2] الحديث فلم يُذكر فيه بسم الله الرحمٰن الرحيم .

● واستدل بعض العلماء على أنها ليست آية بتكرير لفظ الرحمٰن الرحيم ، بعد قوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] .

● أما بالنسبة لغير الفاتحة من السور فكذلك للعلماء قولان :

● منهم من قال : هي آية من كل سورة لما رواه مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) وسيأتي .

(٢) أخرجه مسلم ، وسيأتي إن شاء الله .

مبتسمًا ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت عليَّ آنفًا سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ » [الكوثر : ١ - ٣][١].

● ومنهم من قال : ليست آية من أي سورة ؛ لأن الله تعالى أول ما أنزل على نبيه ﷺ ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق .. ﴾ الآيات [العلق : ١ -٥] ولم يذكر البسملة ، بل قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : « اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾ » [العلق : ١ - ٥] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من يرى أن البسملة آية من كتاب الله عز وجل هل يجهر بها في الصلاة عند قراءة الفاتحة إذا كان إمامًا في الصلاة ؟

ج : الأمر في هذا قريب فمن رأوا أنها آية من الفاتحة لهم وجهان :

الوجه الأول : أنه لا يجهر بها لما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢].

● وفي رواية لمسلم من حديث أنس أيضًا : صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٢٦ مع الفتح) ، ومسلم (مع النووي ٥/٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجها مسلم رحمه الله (مع النووي ٤/١١٠) .

هذه أقوى حجج هذا الوجه[1].

الوجه الثاني : أنه يُجهر بها ، وحجة هذا القول :

أولاً : كونها آية منها فلا معنى للإسرار بها دون غيرها .

الثاني : ما رواه النسائي[2] من طريق نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى إذا بلغ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ [الفاتحة : ٧] فقال : آمين . فقال الناس : آمين . ويقول كلما سجد : الله أكبر ، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال : الله أكبر وإذا سلم ؛ قال : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ .

وهذه أقوى حجج هذا الوجه[3].

---

(١) لكن هذا تعقب من وجوه :
أولها : أن قوله في الرواية الأولى من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢]معناه : أنهم يفتتحون الصلاة بسورة الفاتحة قبل غيرها من السور ، فمراده بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الفاتحة ، كما يقال : قرأ النبي ﷺ في صلاة العشاء بـ ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ [التكوير : ١٥] أي : بالسورة التي فيها ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ ونحو ذلك ، وليس فيها تعرض لنفي البسملة أو إثباتها ، هذا من ناحية .
● أما من الناحية الأخرى وهي قوله في الرواية الثانية : فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ فهذه الرواية وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنه تكلم فيها من ناحية تصرف راويها ، فذكر عدد من أهل العلم أن بعض الرواة تصرف عند رواية حديث أنس المتقدم من أنه رضي الله عنه كان يصلي خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، فظن الراوي أنهم لا يجهرون ببسم الله الرحمٰن الرحيم ، فأخطأ ظنه ، وإنما المراد أنهم يفتتحون القراءة (أو الصلاة) بالفاتحة على ما قدمنا في أول كلامنا . والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه النسائي (١٣٤/٢) .

(٣) وقد تعقب هذا الحديث (حديث نعيم المجمر عن أبي هريرة) بأن الذي استنكر على أبي هريرة (كما في طرق الحديث الأخرى) هو التكبير، فقال له القائل : (ما هذا التكبير يا أبا هريرة؟ فقال : إني لأشبهكم صلاة بصلاة رسول الله ﷺ » قالوا : =

وثم أدلة أخر لكل وجه فيتضح أن الأمر في هذا قريب .
والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب ، اذكر جملة مواطن شرعت فيها التسمية بأدلتها ؟

ج : وردت جملة من الأدلة على ذلك نورد منها ما يلي :

● شرعت التسمية **عند ابتداء الطعام***، فقد قال النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة : « يا غلام سم الله .. »[1].

● وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول : بسم الله[2].

● وقال النبي ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه .. »[3] الحديث.

= إن مراده التكبير بالدرجة الأولى لقولهم له : (ما هذا التكبير يا أبا هريرة ؟) وفي ذكر التسمية نزاع من ناحية إثباتها حديثيًّا فالرواة الأكثر رووا الحديث عن أبي هريرة بدونها ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٢١/٩) ، ومسلم (١٩٢/١٣ مع النووي) ، وغيرهما من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ، قال : كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام ! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي بعد » .

(٢) أخرجه أحمد (٦٢/٤ المسند) من حديث رجل خدم النبي ﷺ ثمان سنين .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧/١٣ مع النووي) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده ، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده ، والذي =

● وأكد النبي ﷺ على ذكر الله فقال : « من نسي أن يذكر الله عز وجل في أول طعامه فليقل حين يذكر : بسم الله أوله وآخره ، فإنه يستقبل طعامًا جديدًا أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب منه »(١).

● وشُرعت **التسمية على الذبيحة** كذلك، قال الله تعالى : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه...﴾ [الأنعام : ١١٨ ، ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

● وقال النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل »(٢).

● وقال النبي ﷺ : « ... ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله »(٣).

= نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها » .

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (حديث رقم ٤٦١) وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣١/٩) ، ومسلم (١٢٢/١٣ مع النووي) ، وغيرهما من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله : ليس عندنا مُدًى(١) فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل » ليس الظفر والسن ، أما الظفر فمدى الحبشة ، وأما السن فعظم .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣٠/٩) ، ومسلم (١٠٩/١٣) ، وغيرهما من حديث جندب بن سفيان البجلي قال : ضحينا مع رسول الله ﷺ أضحاة ذات يوم فإذا أُناس قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة ، فلما انصرف رآهم النبي ﷺ قد ذبحوا قبل الصلاة ، فقال : « من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أُخرى ، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله » .

---

(١) أي : سكاكين .

● وقد سمى النبي ﷺ وكبَّر وهو يذبح[1].

● وقالت عائشة رضي الله عنها : إن قومًا قالوا : يا رسول الله : إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا . فقال رسول الله ﷺ : « سموا الله عليه وكلوه »[2].

● **وشرعت التسمية على القوس الذي يُرمى به للصيد** ، فقد قال أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : إنا بأرض قومٍ أهل كتاب نأكل في آنيتهم ، وأرض صيدٍ أصيد بقوس وأصيد بكلبي المعلم والذي ليس معلمًا ، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك ؟ فقال : « أما ما ذكرت من أنك بأرض قومٍ أهل كتاب تأكل في آنيتهم ، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها ، وأما ما ذكرت بأنك بأرض صيدٍ فما صدت بقوسك فاذكر اسم الله ثم كل ، وما صدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله ثم كل ، وما صدت بكلبك الذي ليس معلمًا فأدركت ذكاته فكل »[3].

● وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعراض فقال : « إذا أصبت بحده فكل ، فإذا أصبت بعرضه فقتل فإنه وقيذٌ فلا تأكل » ، فقلت : أرسل كلبي المعلم ؟ قال : « إذا أرسلت كلبك وسميت فكل » قلت : فإن أكل ؟ قال : « فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك إنما أمسك على نفسه » قلت: أرسل كلبي فأجد معه كلبًا آخر؟ قال: « لا تأكل فإنك

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٢٠/١٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ، قال : ورأيته يذبحهما بيده ورأيته واضعًا قدمه على صفاحهما ، قال : وسمى وكبَّر .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٩٤/٤) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦١٢/٩) ، ومسلم (مع النووي ٧٩/١٣) .

إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر »[1].

● **وتشرع التسمية في الصباح والمساء فالله عز وجل يحفظ بها** ، فقد قال النبي ﷺ : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء »[2].

● **وتشرع التسمية كذلك عند دخول البيت ، فقد قال النبي ﷺ** : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله[3] عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء »[4].

وتشرع التسمية عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية (أي : تغطيتها) ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا وأطفئوا مصابيحكم »[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣/٩ مع الفتح) ، ومسلم (٧٦/١٣ مع النووي) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٨٦٩) ، والترمذي (مع التحفة ٣٣١/٩) ، وأبو داود (الأدب رقم ٥٠٨٨) ، وأحمد (٦٢/١) وعزاه المزي للنسائي في اليوم والليلة .

(٣) في رواية لمسلم أيضًا : « وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه .. وإن لم يذكر اسم الله عند دخوله » .

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ١٩٠/١٣) .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨٨/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٣/١٣) .

وتشرع **التسمية على الوضوء** ، لقول النبي ﷺ : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »[1].

● **وتشرع التسمية عند الجماع كذلك .**

● فروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : بسم الله ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما في ذلك أو قضى ولد لم يضره شيطان أبدًا »[2].

وتشرع التسمية عند النوم ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »[3].

● **وتشرع التسمية عند الرقية** ، فقد روت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى رقاه جبريل قال : « باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد ، إذا حسد وشر كل ذي عين »[4] .

● وكذلك روى أبو سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : « يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم ، قال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفسٍ أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك »[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وهو صحيح لشواهده ، وانظر الكلام عليه في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٢٨/٩) ، ومسلم (مع النووي ٥/١٠) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢٥/١١) ، ومسلم (٣٧/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (١٦٨/١٤ مع النووي) .

(٥) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧٠/١٤) .

وقال النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي لما شكا وجعًا إلى رسول الله ﷺ يجده في جسده منذ أسلم : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »(١).

وتشرع التسمية عند وضع الميت في القبر كذلك ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ »(٢).

وتشرع التسمية في صدور الرسائل والاتفاقيات ، فقد قال الله تعالى : ﴿... إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ [النمل : ٣٠] وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها : « بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى .... »(٣).

وكذلك قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه : « اكتب باسم الله الرحمٰن الرحيم » .... الحديث(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩/١٤) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٧/٢) ، وأبو داود (٥٤٦/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٧/١١) ، ومسلم (مع النووي ١٠٣/١٢) .

(٤) أخرجه مسلم (١٣٨/١٢ مع النووي) من حديث أنس رضي الله عنه أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ - فيهم سهيل بن عمرو - فقال النبي ﷺ لعلي : « اكتب باسم الله الرحمٰن الرحيم » قال سهيل : أما باسم الله فلا ندري ما بسم الله الرحمٰن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال : « اكتب من محمد رسول الله » قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبي ﷺ : « اكتب من محمد بن عبد الله » فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم ، ومن جاء منا رددتموه علينا، فقالوا : يا رسول الله: أنكتب هذا ؟ قال : « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا » .

وتشرع **التسمية عند ركوب الدابة** ؛ قال تعالى : ﴿ .. وقال اركبوا فيها بسم الله مجريٰها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ [هود : ٤١] .

وتشرع **التسمية عند الوقوع من على الدابة** ؛ فعن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت : تعس الشيطان ، فقال : « لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقوتي ، ولكن قل : باسم الله ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب »[١].

وكذلك أثبتت التسمية في أوائل سور القرآن الكريم [٢]، وأول ما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق : ١][٣].

❋ ❋ ❋

س : هَل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية ؟

ج : في هذا نزاع بين أهل العلم ، فالجمهور يرون أنها لا تجب مستدلين بحديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة »[٤] وبقوله تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] وبحديث : « وإذا قرأ فأنصتوا »[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/٢٦٠) ، وابن السني (في عمل اليوم والليلة ٥١٠) ، وأحمد (٥/٥٩ ، ٧١) .

(٢) وهل هي آية أم لا ؟ انظره في سؤال مستقل مع جوابه في هذا الكتاب .

(٣) يتضح ذلك من الحديث الذي أخرجه البخاري (حديث رقم ٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) وكل طرق هذا الحديث متكلم فيها .

(٥) هذه الزيادة عند مسلم ، وهي منتقدة عليه انتقدها الحافظ الدارقطني رحمه الله وغيره من أهل العلم ، والأمر كما قالوا .

واستدلوا أيضًا بأن أبا بكرة رضي الله عنه أدرك النبي ﷺ راكعًا فركع معهم في الصف ولم يأمره النبي ﷺ بالإتيان بركعة جديدة بل قال له : « زادك الله حرصًا ولا تعد »[1].

● أما القائلون بأن القراءة تجب على المأموم حتى في الجهرية فاستدلوا بحديث : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[2]، وبجملة أحاديث على شاكلته، وأجابوا عن حديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » بأنه ضعيف، وعن الآية الكريمة ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] بأن استثنوا الفاتحة من ذلك ورأوا أن للمأموم أن ينازع بالفاتحة خاصة ، أما زيادة « وإذا قرأ فأنصتوا » فهي شاذة ، أما حديث أبي بكرة رضي الله عنه فهو من أقوى المشوشات على هذا الرأي فهو ثابت صحيح لكن بعضهم أجاب عليه بأن الرسول ﷺ قال : « لا تعد » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ الحمد لله ﴾ ؟

ج : أجمع ما جاء فيها (مما اطلعت عليه) قول ابن جرير الطبري رحمه الله :

ومعنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح المكلَّفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق

(١) أخرجه البخاري (٧٨٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) وهو حديث ثابت في الصحيحين وغيرهما وتقدم تخريجه .

وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا .

● ومن أهل العلم من يقول : إن ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر فتقديره قولوا : الحمد لله رب العالمين ، وهو كقوله تعالى : ﴿ ومن دخله[١] كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] أي : أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم[٢] وقد نصر هذا القول الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره، ومن المناسب أن نأتي بكلامه تامًّا لما سينتفع به بعد في التفسير .

قال رحمه الله تعالى[٣]: فإن قال لنا قائلٌ : وما معنى قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علَّمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره إذًا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وهو عز ذكره معبود لا عابد ؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمدٍ رسول الله ﷺ ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلامًا، قيل : بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علَّم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] وقولوا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] فقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ مما علمهم الله جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

---

(١) أي : الحرم .

(٢) على قولٍ لبعض المفسرين .

(٣) نقل القرطبي وابن كثير عن ابن جرير رحمه الله قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله .

فإن قال : وأين قوله : (قولوا) فيكون تأويل ذلك ما ادعيت ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها – إذا عرفت مكان الكلمة و لم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت – حذفُ ما كفى منه الظاهر من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت قولًا أو تأويل قولٍ كما قال الشاعر :

وأَعْلَمُ أنني سأكُونُ رمسًا[1] إذا سَارَ النَّواعجُ لا يسيرُ

فقال السائلون لمن حَفَرتُم فقال المخبرون لهم وزيرُ

قال أبو جعفر : يريد بذلك : فقال المخبرون لهم : الميت وزير فأسقط الميت إذ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك ، وكذلك قول الآخر :

ورَأيتِ زَوْجَكِ في الوغَى مُتقلِّدًا سيفًا ورمحًا

وقد عُلم أن الرمح لا يُتقلد به وأنه إنما أراد : وحاملًا رمحًا ، ولكن لما كان معلومًا معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن إظهار ما حُذف منه وقد يقولون للمسافر إذا ودَّعوه : (مصاحبًا معافًى) يحذفون (سر ، واخرج)[2] إذ كان معلومًا معناه وإن أسقط ذكره .

فكذلك ما حُذف من قول الله تعالى ذكره: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة : ٢] لما عُلم بقوله جل وعزَّ : ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة : ٥] ما أراد بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ من معنى أمر عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حُذف .

❋ ❋ ❋

---

(١) الرمس: قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: القبر المسوى عليه التراب، يقول: أصبح قبري يزار أو يناح عليه، ورواه الجاحظ (سأصير ميتًا) وهي لا شيء، والنواعج جمع ناعجة ، وهي الإبل السراع نعجت في سيرها ، أي : سارت في كل وجه من نشاطها .

(٢) ونحو هذا قول سليمان عليه السلام : ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣٢] أي : توارت الشمس بالحجاب ، وقولنا للمسافر : (مع السلامة) أي اذهب مع السلامة ، أي : مصحوبًا بالسلامة .

س : هل هناك فرق بين (الحمد) و (الشكر) ؟

ج : بعض أهل العلم لا يفرق بين الحمد والشكر ، وأن الحمد والشكر بمعنى واحد .

وكثير من أهل العلم يفرقون فيقولون :

إن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة(١) والمتعدية .

أما الشكر فلا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

ومعنى هذا الكلام أن لله سبحانه وتعالى صفات لازمة وصفات متعدية (فالحي) مثلًا اسم يحمل صفة لازمة لله تبارك وتعالى و (الغفور) مثلًا اسم يحمل صفة متعدية للخلق ، أي : يغفر لهم ، فقولنا : الحمد لله ثناءٌ على الله سبحانه لكونه الحي ولكونه الغفور ولغير ذلك من الصفات ، فقولنا : الحمد لله ثناء على الله لصفات الكمال المتفرد بها اللازمة له سبحانه ، وقولنا : (الشكر لله) ثناء على الله لمغفرته لنا ، ولأنه يرزقنا ويرحمنا ويشفينا ويستر علينا وينصرنا ويهدينا ويشرح صدورنا ....

وقد يكون شكرُنا لله عز وجل بأن نصلي له أو نسبحه أو نحج ونعتمر أو نتصدق ونجاهد ونصوم ونسعى و ... ونحو ذلك ، فيكون الشكر باللسان

---

(١) في الحقيقة إنني لا أعلم دليلًا يحدد بالضبط ما هي الصفات اللازمة والصفات المتعدية ، ولا أعلم أن هناك اتفاق كذلك للعلماء في هذا الباب ، والذي يبدو لي أن سعة علم العالم تجعل هناك بعض الخلاف في تحديد الصفة اللازمة والمتعدية ، فمثلًا اسم (القيوم) قد يرى شخص أنه لازم (لقلة علم هذا الشخص) لكن إذا علم (أن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وكما قال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ [الروم : ٢٥] اتضح له أن اسم (القيوم) متعدٍّ إلى الخلق كذلك ، والله أعلم .

والجنان والأركان ، والله أعلم .

فعلى ذلك (فالحمد) ثناء على الممدوح من غير سبق إحسان ، والشكر ثناء على المشكور بما أولى وأعطى من الإحسان ، ويكون الحمد (بالقول) على ما قدمنا ، ويكون الشكر بالجنان واللسان والأركان كما قدمنا أيضًا .

فعلى ذلك يكون الحمد أعم من ناحية ، والشكر خاص من هذه الناحية ، ويكون الشكر عام من ناحية أخرى والحمد خاص منها ، ولتوضيح ذلك نقول : إننا نحمد الله لكل صفاته اللازمة والمتعدية فنحمده لأنه الحي القيوم المجيد الفعال لما يريد ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفور الشكور ...

إلى غير ذلك من جميع صفاته ، فمن هذه الناحية يكون الحمد عامًّا والشكر منها يكون خاصًّا إذ شكره على صفات الإحسان لكونه الرزاق الغفار الشافي الهادي ونحو ذلك ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى نشكره بصلاتنا وصيامنا وتصدقنا على الفقراء وحجنا وجهادنا وتصديقنا بقلوبنا وبألسنتنا و ... فالشكر عام هنا ومن هذه الناحية الحمد يكون خاصًّا فيكون باللسان .

والله تعالى أعلم والحمد لله والشكر لله .

***

س : قال بعض العلماء : إن ﴿ الحمد لله ﴾ هي كلمة كل شاكر ، اذكر ما يدل لهم على ذلك ؟

ج : استدلوا على ذلك بقول أهل الجنة : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ [فاطر : ٣٤] .

وبقول نوح عليه السلام : ﴿ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] .

وبقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾ [إبراهيم : ٣٩] .

وبقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ... ﴾ [الإسراء : ١١١] .

وبقول أهل الجنة : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وبقول الله تعالى: ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [يونس : ١٠].

وبقول داود وسليمان عليهما السلام : ﴿ الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ [النمل : ١٥] .

وبقول العاطس إذا عطس : (الحمد لله)[١].

● وأن الحمد لله يقولها الشخص إذا أوى إلى فراشه ، فإن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي »[٢].

● ويقولها الخطيب في خطبة الجمعة[٣] .

● ويقولها الشخص إذا رأى رؤيا يحبها[٤].

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١٠/٦٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٣٧) .

(٣) أخرج مسلم (مع النووي ٦/١٥٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال : كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول ...

(٤) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢/٣٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، ... » الحديث .

● ويقولها الشخص إذا انتهى من طعامه وشرابه[1].

● ويقولها الشخص إذا لبس جديدًا[2].

***

س : حَمَدَ الرَّب سبحانه وتعالى نفسه في الكتاب العزيز فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] فهل يجوز لشخص أن يثني على نفسه ؟ وهل يجوز أن يثني على غيره ؟

ج : لا يجوز للشخص أن يحمد نفسه فقد نهى الله تبارك وتعالى عن مثل هذا فقال عز وجل : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢].

وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا ﴾ [النساء : ٤٩].

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٧/٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » ، وأخرج البخاري من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه – وقال مرة – إذا رفع مائدته – قال : « الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور » وقال مرة : « لك الحمد ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى ربنا » وفي رواية « الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٥٨٠) .

● وأخرج أبو داود (٤/١٨٧) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال : « الحمد الله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجًا » .

(٢) أخرج أبو داود (٤/٣٠٩) عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه إما قميصًا أو عمامة ثم يقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » ، وهو صحيح .

وكذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يبالغ في الثناء والإطراء على شخص ، وذلك لأن رجلًا ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى رجلٌ عليه خيرًا ، فقال النبي ﷺ : « ويحك قطعت عنق صاحبك » يقوله مرارًا : « إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكى على الله أحد »[1].

● وعن أبي معمر قال : قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب ، وقال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب[2].

لكن يجوز للشخص أن يثني على نفسه وأن يثني على غيره من غير إطراء لعلة من العلل كما فعل عثمان عند محاصرة القوم له ، وذكرهم بما صنع من حفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة ، وكما أثنى رسول الله ﷺ على عددٍ من أصحابه رضي الله عنهم .

وهذا وذاك محله إذا أُمنت الفتنة ولم يخش من الثناء فسادًا وإنما رُجي بالثناء انتفاعًا للشخص المُثنى عليه ولغيره ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض معاني كلمة (رب) ؟

ج : تطلق كلمة (رب) على معاني منها :

● الرب بمعنى السيد ، ومنه قول يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ [يوسف : ٤٢] وقوله : ﴿ أما أحدكما

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٨٦/١٠) ، ومسلم (١٢٧/١٨ مع النووي) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٢٧/١٨) .

فيسقي ربه خمرًا ﴾ [يوسف : ٤١].

وقول النبي ﷺ في بيان أشراط الساعة : « وأن تلد الأمة ربتها »[1]

ومنه أيضًا قول لبيد بن ربيعة :

وأَهْلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه ورَبَّ معدٍّ بين خَبتٍ وعَرْعَرِ

يعني برب كندة : سيد كندة ؛ قاله الطبري .

● والرب يطلق على المالك : ومنهم قولهم : رب البيت ، ورب الإبل .

● ويطلق الرب على المصلح والمربي ، ومن هذا .قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ [النساء : ٢٣] فسميت بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

● ويطلق الرب على المعبود ، ومنه قول الشاعر :

أربٌّ يبـول الثعلبـان بِرَأْسِـهِ لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالـب

وثم معان أُخر لكلمة (الرب) .

هذا وقد قال عدد كبير من أهل العلم : إن الألف واللام متى أُدخلت على (رب) اختص به الله تبارك وتعالى ، وإن حذفتا منه صار مشتركًا بين الله عز وجل وبين عباده ، فيقال : الله رب العباد ، ويقال ، أيضًا : زيدٌ رب الدار .

فعلى هذا لا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة كقولهم : رب البيت ورب الدار ...

فالله سبحانه وتعالى هو سيد الخلق ومالكهم ومربيهم ومصلحهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم ٨) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .

س : ما معنى (العالمين) وما هي أقوال المفسرين في المراد بالعالمين ؟

ج : اما العالمين فهي جمع عالم ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالجيش والرهط والأنام ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعة على جمع لا واحد له من لفظه ؛ قاله الطبري .

ونحوه قاله ابن كثير رحمه الله فقال : والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل .

وقال الطبري أيضًا : والعالم اسم لأصناف الأمم وكل صنفٍ منها عالم ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم[1] ذلك القرن وذلك الزمان ، فالإنس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان ، والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق ، كل جنسٍ منها عالم زمانه ، ولذلك جُمع فقيل : عالمون ، وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان .

وقال ابن كثير رحمه الله : والعوالم أصناف المخلوقات في السموات والأرض وفي البر والبحر ، وكل قرنٍ منها وجيل يسمى : عالمًا أيضًا .

قلت : فالحاصل أن كلمة العَالَم أو (العالمين) قد تأتي عامة وقد تأتي بمعنى خاص .

● فالعالمين تطلق أحيانًا على السموات والأرض وما فيهن وما بينهن ، ودليل ذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون لما سأله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ قال له موسى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ [الشعراء : ٢٣ ، ٢٤] .

● وأحيانًا تطلق العالمين على الإنس والجن فقط، كما قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] فلم يكن

---

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١٦٣) أنه قال : كل صنف عالم .

نذيرًا للبهائم ولا للطيور .

● وأحيانًا تطلق العالمين على البشر كقول لوط عليه السلام : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ [الشعراء : ١٦٥] .

● وأحيانًا تأتي خاصة فيقال : عالم الملائكة – عالم الجن – عالم الحيوانات ، إلى غير ذلك والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : العالم مشتق من ماذا ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن العالم مشتق من العلامة لأن وجود العالم علامة على وجود خالقه .

وبعض العلماء يقولون : العالم مشتق من العلم ، والقول الأول عليه الأكثر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ٣] عقب قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] ، وقد تقدمت في قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ١] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن ذلك لاتباع الترهيب بالترغيب ، فقالوا : إن قوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ فيه نوع ترهيب فعُقِّب بالترغيب في قوله : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾، وممن قال بهذا القول القرطبي وغيره ، فقال القرطبي رحمه الله : وصف نفسه تعالى بعد ﴿ رب العالمين ﴾ بأنه ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿ رب العالمين ﴾ ترهب قرنه بـ ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة

منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع ، كما قال : ﴿ نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر :٤٩ ، ٥٠] ، وقال : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ﴾ [غافر : ٣] ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »[1].

● وقال صاحب فتح البيان صديق حسن خان : .. وقيل : فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور ، وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المتفضل بها على خلقه .

● هذا ومن رأى من أهل العلم أن البسملة ليست آية من الفاتحة لم يرد عنده إشكال إذ أن قوله : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة :٣] ليس مكررًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ؟

ج : المراد بالدِّين في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الجزاء[2] أي :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٥٦) .

(٢) وللدين معان أخر فيطلق على الإيمان والإسلام والإحسان دين ؛ لقول النبي ﷺ لأصحابه لما جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان و ... :« هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » ، وكما قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] ويُطلق الدين على الحج ، كما في قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] ، على قول لبعض المفسرين ، ويطلق الدين على الطاعة ، ويطلق على العادة والشأن ، ويطلق على الداء ، ويطلق على حكم الملك كما في قوله تعالى : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ [يوسف : ٧٦] وله معان أخر تأتي في مظانها إن شاء الله .

جزاء الناس على أعمالهم وحسابهم عليها خيرًا كانت أو شرًّا ، كما قال تعالى : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ [النور : ٢٥] أي : جزاء أعمالهم بالعدل والحساب على تلك الأعمال .

ومنه أيضًا قول الكافرين : ﴿ .. أئنا لمدينون ﴾ [الصافات : ٥٣] أي : مجزيون ومحاسبون ، ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ كلا بل تكذبون بالدِّين ﴾ [الانفطار : ٩ ، ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ [الواقعة : ٨٦] يعني : غير مجزيين بأعمالكم ومحاسبين عليها .

ومنه قول الشاعر :

وَاعلَمْ وأيقِن أن ملكك زائلٌ   وَاعلَمْ بأنك ما تدينُ تُدان[1]

* * *

س : الله سبحانه وتعالى مالك الملك ومالك أيام الدنيا ، ومالك يوم الدين فلماذا خصص يوم الدين بالذكر في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ؟

ج : تخصيص ﴿ يوم الدين ﴾ بالذكر لأمور منها :

١ – لتعظيمه وتهويله ، فالإضافة أحيانًا تكون للتعظيم وللتشريف، كما قال

(١) ذكره المفسرون في تفاسيرهم ومنهم الطبري رحمه الله ، وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري : .. بعض الكلابيين يقولون : إن الحارث بن أبي شمِر الغساني كان إذا أعجبته امرأة من قيس علان بعث إليها واغتصبها ، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابي وكان أبوها غائبًا ، فلما قدم أخبر فوفد إليه فوقف بين يديه وقال :

يا أيها المِلكُ المُقِيتُ أَمَا تَرى   لَيْلًا وصُبْحًا كيف يَخْتلِفَانِ ؟
هل تستطيعُ الشمسَ أنَ تَأْتِي بها   لَيْلًا وهل لك بالمليك يَدانِ ؟
يا حَارِ أَيْقِن أنَّ ملكَكَ زَائِلٌ   ....

تعالى في شأن ناقة صالح : ﴿ وهذه ناقة الله ﴾ [الأعراف : ٧٣] مع أن كل النوق خلقها الله سبحانه وتعالى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] مع أن الأرض كلها لله .

٢ – لبيان تفرده سبحانه وتعالى بإجراء الأمر وفصل القضاء فيه فلا يدعي أحدٌ هنالك شيئًا ، ولا يتكلم أحد هنالك إلا بإذنه ، فقد كان هناك في الدنيا من يدعي المنازعة له سبحانه في الملك كفرعون ونمروذ وغيرهما ، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد ولا يتكلم إلا بإذنه قال تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ [غافر : ١٦]، وكما قال سبحانه : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] وقال تعالى : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا ﴾ [طه : ١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿ يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾ [هود : ١٠٥] .

* * *

س : ما هي أشهر القراءات في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ؟

ج : أشهر القراءات في ذلك قراءتان وهما ﴿ مالك يوم الدين ﴾ و ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وكلاهما قراءة معتمدة ذكرها القراء والمفسرون .

أما تأويل قراءة من قرأ ﴿ ملك ﴾ فقال الطبري رحمه الله : إن لله الملك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية ، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَغَرة الأذلة وأن له – من دونهم ودون غيرهم – الملك والكبرياء والعزة والبهاء ، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله: ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار ﴾ [غافر : ١٦] ، فأخبر تعالى ذكره أنه المتفرد يومئذٍ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار ، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار .

أما تأويل ﴿ مالك ﴾ فنقل ابن جرير[١] عن ابن عباس ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا ، ثم قال : ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] وقال : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ [طه : ١٠٨] وقال : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

❋ ❋ ❋

س : الله سبحانه وتعالى هو الملك ، وهو أيضًا مالك دلِّل على ذلك ؟

ج : أما الدليل على كونه سبحانه وتعالى هو الملك : فقوله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك ﴾ [الحشر : ٢٣] ، أما الدليل على كونه سبحانه وتعالى مالك : فقوله عز وجل ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ [آل عمران : ٢٦] والله أعلم . .

❋ ❋ ❋

س: بعض العلماء يقولون: إن قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة : ٥] بعد قوله: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] من أنواع التلوين في الأسلوب بمعنى أن الشخص إذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ثم قال : ﴿ إياك نعبد ... ﴾ فقد رجع من الغيبة[٢] إلى الخطاب[٣] اذكر أمثلة أخرى لذلك في التنزيل ؟

---

(١) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف ، والأثر عند الطبري (١٦٦).

(٢) هذا من ناحية اللغة ، أما من ناحية الشرع فرب العزة سبحانه يقول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان .. ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

(٣) يعني : من خطاب الغائب عن عينيه إلى خطاب الحاضر .

ج : من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا * إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورًا ﴾ [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] ، فانتقل من الحكاية عن الغائب في قوله : ﴿ وسقاهم ﴾ إلى خطاب الحاضر في قوله : ﴿ إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورًا ﴾ .

وعكسه[١] في قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ﴾ [يونس : ٢٢] فصدر الكلام بقوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم ﴾ ثم أتبع بقوله تعالى : ﴿ وجرين بهم ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، أي : فساقه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا تحوَّل الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٤ ، ٥] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ما مفاده : إن العبد لما أثنى على ربه تبارك وتعالى بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٢ - ٤] فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تبارك وتعالى فلهذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، والله أعلم . .

* * *

س : لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ ؟

ج : قدم المفعول على الفعل **اهتمامًا** ، وشأن العرب تقديم الأهم ، ومن ذلك ما ذكره بعض العلماء من أن أعرابيًّا سب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال له السابُّ : إياك أعني ، فقال له الآخر : وعنك أُعرض .

---

(١) أي : الانتقال من الحاضر إلى الغائب .

● وأيضًا فيه **الأدب مع الله عز وجل** فقدَّموا اسم الله سبحانه وتعالى على فعلهم .

● وفيه أيضًا **اختصاص المسمى بالحصر**(١) أي : **اختصاص الرب سبحانه هنا بالعبادة** فقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] بمعنى لا نعبد إلا إياك ، ومعنى ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] : لا نستعين إلا بك ، وهي كقوله تعالى : ﴿ وإياي فارهبون ﴾ [البقرة : ٤٠] أي : لا ترهبوا غيري ، وقوله تعالى : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ [البقرة : ٤١] أي : لا تتقوا سواي .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة تكرير إياك في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؟

ج : فيه دليل على قوة تعلق العبادة بالمعبود ، وقوة تعلق الاستعانة بالمستعان ، فقول رجل لآخر مثلًا : إياك أحب وإياك أخاف أقوى من قوله له : إياك أحب وأخاف ، فقوة المحبة والخوف الأول أقوى منها في الثاني ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أهل العلم من يقول : إن في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ إشارة إلى تحقيق معنى لا إلٰه إلا الله وضح ذلك ؟

ج : وجهة القائلين بذلك تتضح إذا علمت أن معنى ﴿ إياك نعبد ﴾ : لا نعبد إلا إياك ، فحينئذ يتضح لك وجه الشبه فقولنا لا إلٰه إلا الله مركب من أمرين نفي وإثبات ، فالنفي خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات ، والإثبات إفراد رب السموات والأرض وحده بجميع أنواع

---

(١) وقد ذكر بعض الأصوليين أن تقديم المعمول من صيغ الحصر .

العبادات على الوجه المشروع ، فكذلك قوله : لا نعبد إلا إياك ففيه نفي العبودية لغير الله وإثبات العبودية لله وحده ، والله أعلم .

* * *

س : مَنْ مِن أهل العلم قال : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] تدفع الرياء ، ﴿وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] تدفع الكبرياء ؟ وما هو وجه قولهم ؟

ج : قائل ذلك هو ابن تيمية رحمه الله ، وقاله أيضًا تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى[1] ، ووجه قولهما أن قول : ﴿ إياك نعبد ﴾ أي : لا نعبد إلا إياك فاندفع بذلك الرياء ، وقوله : ﴿ إياك نستعين ﴾ معناه : لا نستعين إلا بك فلا قوة لنا على الطاعات ولا على شيء من الأمور إلا بعونك فاندفع بذلك الكبرياء ، والله أعلم .

* * *

س : هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟

ج : نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها : أن النبي ﷺ استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هاديًا خريتًا[2] ، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة[3]

---

(١) انظر التفسير القيم ص (٤٨) .

(٢) (٣) أخرجهما البخاري في حديث طويل (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدِينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم طَرَفَي النهار : بكرةً وعشيًّا ، فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغِنة – وهو سيدُ القارةِ – فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أَخْرَجني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرضِ وأعبد ربي . قال ابن الدّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ ، إنك تَكسِبُ المعدوم وتَصِلُ الرحم وتحمل الكَلَّ وتَقرِي الضيف وتُعين =

. . . .

= على نوائبِ الحق فأنا لك جارٌ ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدّغنة فطاف ابن الدّغنة عشيةً في أشرافِ قريشٍ فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُهُ ولا يُخرَجُ ، أتُخرِجون رجلًا يَكسِبُ المعدوم ويَصِلُ الرَّحم ويحمل الكلَّ ويقري الضيف ، ويُعينُ على نوائبِ الحق ؟ فلم تُكذِّب قريشٌ بجوار ابن الدّغِنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في دارهِ فليُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلِنْ به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر لذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناءِ دارهِ وكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم وهم يَعجَبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريشٍ من المشركين فأرسَلُوا إلى ابن الدّغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أَجَرْنَا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في دارهِ فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسله أن يردَّ إليك ذمتَكَ ، فإنا قد كَرِهْنَا أن نُخْفِرَك ، ولسنا بمقرِّين لأبي بكر الاستعلانَ . قالت عائشةُ : فأتى ابن الدَّغِنة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تَرجِعَ إليَّ ذمتي ، فإني لا أُحب أن تسمع العربُ أني أُخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له ، فقال أبو بكر : فإني أردُّ إليك جوارَكَ ، وأرضى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ بمكةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين : « إني أُريتُ دار هِجْرَتِكم ذات نخلٍ بين لابتين » وهما الحرَّتان فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينةِ ، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « على رِسْلِكَ فإني أرجو أن يُؤذن لي » ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنتَ ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نَفْسَه على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر – وهو الخَبْطُ – أربعة أشهر . قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يومًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقنعًا في ساعة لم يكن يأتِينا فيها – فقال أبو بكر : فداءٌ له أبي وأمي ، =

وقالت جويرية لرسول الله ﷺ: (.. جئت أستعين بك في مكاتبتي)(١)

= والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ ، قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر : أخرِج من عِندَكَ ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإني قد أُذِنَ لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : نعم . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بالثَّمن ، قالت عائشة فجهزناهما أحثَّ الجهاز ، وصنعنا لهما سُفرةً في جراب فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكر قطعة من نِطاقها فربطت به على فَمِ الجراب فبذلك سميت ذات النطاق ، قالت : ثمَّ لَحِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر بغارٍ في جبل ثورٍ فكَمنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فيُدلج من عندهما بسحرٍ فيصبحُ مع قريشٍ بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بنُ فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غَنَم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسلٍ ، وهو لبن منحتِهما ورَضيفِهما – حتى ينعق بهما عامرُ بن فهيرة بغلسٍ يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا من بني الدِّيلِ وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خِرِّيتًا ، والخريتُ : الماهر بالهداية ، قد غمس حلفًا في بني العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفارِ قريش فأَمِناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاثِ ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليلُ فأخذ بهم طريق السواحل . صحيح

وأخرج أحمد بعضه (٦/١٩٨) .

(١) أخرجه ابن إسحاق رحمه الله (كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٥٧) بإسناد حسن فقال :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عمه عروة بن الزبير عن خالته عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في القسم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هي إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها ما قد =

وكذلك قالت بريرة لعائشة رضي الله عنها[1] واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله ﷺ من تبوك[2] هذا كله مع اعتقاد أن الناصر والمعين هو الله سبحانه وتعالى . .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يقولون : إن قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] من باب عطف الخاص على العام وضح ذلك ؟

ج : هذا لأن العبادة المطلقة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه والاستعانة مما يحبه الله ويرضاه فكانت العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة مستعينٌ به ولا ينعكس لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم ولهذا كانت قسمَ الرب[3] ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس ولأن الاستعانة طلب منه والعبادة طلب له ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص والاستعانة تكون من مخلصٍ وغير مخلصٍ ....[4].

= رأيت فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلايا ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي فقال: «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقالت : نعم . ففعل ذلك فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها .

(١) أخرجه البخاري (٢٧١٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) ، وأحمد (٣٨٧/٦ - ٣٨٨) .

(٣) وذلك لما في الحديث إذا قال العبد : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] قال الله عز وجل : « هذا بيني وبين عبدي » .

(٤) هذا كلام ابن القيم رحمه الله في تفسيره القيم أوردناه مع زيادة زدناها في أوله والله أعلم.

س : وصَفَ الله سبحانه وتعالى أفضل خلقه وصفوته منهم وهم أولوا العزم من الرسل بالعبودية له سبحانه فهم في هذا الجانب كغيرهم عبيدٌ لله سبحانه وكذلك وصفت الملائكة بأنهم عبيد لله سبحانه ، وكذلك سائر الخلق وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما أولوا العزم من الرسل :

● فنوح عليه السلام ذكره الله سبحانه فقال : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾ [الإسراء : ٣] وقال سبحانه : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ [القمر : ٩] .

● وإبراهيم عليه السلام ذكره الله فقال : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [ص : ٤٥] .

● وموسى عليه السلام ذكره الله فقال فيه وفي أخيه هارون عليه السلام : ﴿ إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٢٢] .

● وعيسى عليه السلام قال : ﴿ إني عبد الله ﴾ [مريم : ٣٠] وقال الله عز وجل في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل ﴾ [الزخرف : ٥٩] وقال سبحانه : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] .

● وكذلك نبينا محمد ﷺ سماه الله عبدًا ووصفه بالعبودية في أشرف المقامات .

● ففي مقام الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا ﴾ [الجن : ١٩] .

● وفي مقام الوحي قال تعالى: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ [النجم : ١٠].

● وفي مقام التحدي قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة : ٢٣] .

● وفي مقام إنزال الكتاب عليه قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾ [الفرقان : ١] .

● وفي الإسراء قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ [الإسراء : ١] .

● وفي مجال حفظ الله له قال تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفهم الله عز وجل بالعبودية له سبحانه فقال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ [الأنعام : ٨٣ - ٨٨] .

● وكذلك يوسف - إضافة إلى ماذكر - قال الله فيه : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] .

● ونوح ولوط قال تعالى فيهما : ﴿ عبدين من عبادنا صالحين ﴾ [التحريم : ١٠] .

● وكذلك إلياس عليه السلام قال الله فيه : ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٣٢] .

● وأيوب عليه السلام قال الله فيه : ﴿ واذكر عبدنا أيوب ﴾ [ص : ٤١] .

● وداود وسليمان عليهما السلام قال الله فيهما : ﴿ اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ : ١٣] .

وداود عليه السلام قال الله فيه ﴿ .. واذكر عبدنا داود .. ﴾ [ص : ١٧] .

● وسليمان عليه السلام قال الله فيه : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ [ص : ٣٠] .

● وزكريا قال الله فيه : ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ [مريم : ٢] .

● والخضر قال الله فيه : ﴿ .. فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

● وكذلك الملائكة قال الله تبارك وتعالى فيهم وفيمن عبدوهم : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] .

● وهكذا كل الخلق قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمٰن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

❋ ❋ ❋

س : خلق الله عز وجل الخلق لطاعته وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له اذكر جملة آيات تدل على ذلك ؟

ج : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [الزمر : ٦٦] .

وقال تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ إنني أنا الله لا إلـٰه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ [طه : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلـٰهًا واحدًا ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله .. ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

● وقال تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ [قريش : ٣] .

● وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلـٰه إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [يس : ٦٠ ، ٦١] .

وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ﴾ [البقرة: ٨٣] .

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ نعبد ﴾ ، و ﴿ نستعين ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إياك

نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] ؟

ج : نعبدُ أي : نَذِلُّ ونستكين ونخضع ونخشع فأصل العبودية الذِّلة ومنه طريق مُعبد أي مذلَّل موطوء .

وتطلق العبادة أيضًا على الطاعة وثمَّ معان أُخر ترجع إلى ما ذكر وستأتي في محلها إن شاء الله .

● والعبادة في الشرع هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه[1].

---

(١) وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٦٥) : والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد أي : مذلل ، والتعبد : التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًّا خاضعًا ، ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية والمنكرون لكونه محبوبًا لهم بل هو غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم منكرين لكونه إلهًا وإن أقروا بكونه ربًّا للعالمين وخالقًا لهم فهذا غاية توحيدهم ، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب ولم يخرجوا به من الشرك كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف :٨٧] وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله ﴾ [لقمان : ٢٥] ، [الزمر: ٣٨] وقال سبحانه : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥] ولهذا يحتج عليهم به على توحيد إلهيته وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه.

والاستعانة تجمع أصلين : الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به والتوكل معنى يلتئم من أصلين : من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة قد ذُكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا **أحدها** .

الثاني : قول شعيب عليه السلام : ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ . [هود : ٨٨] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣] .

=

وأحيانًا يطلقها بعض أهل العلم على أضيق من ذلك فيطلقونها على الصلاة والزكاة والصيام والحج .

أما نستعين فمعناها نطلب العون . .

***

س : اذكر قول القدرية باختصار شديد وكيف ترد عليه من سورة الفاتحة ؟

ج : باختصار شديد أنهم ينفون القدر ويقولون : إن الإنسان يختار لنفسه ما شاء ولا دخل للرب سبحانه وتعالى في ذلك .

أما الرد عليهم من سورة الفاتحة فبقوله تعالى : ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] .

فيقال لهم : إذا كنتم ترون أنه ليس للرب سبحانه دخل في الهداية فلماذا تطلبونها منه ، ولماذا تطلبون منه العون على العبادة في قولكم في كل صلاة : ﴿ إياك نستعين ﴾ ؟

***

= **الرابع :** قوله تعالى حكاية عن المؤمنين : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ [الممتحنة : ٤] .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا * رب المشرق والمغرب لا إلـٰه إلا هو فاتخذه وكيلًا ﴾ [المزمل : ٨ ، ٩] .

السادس : قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أُنيب ﴾ [الشورى : ١٠] [(١)] .

فهذه ستة مواضع يجمع فيها بين الأصلين وهما : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

---

(١) في الأصل ﴿ قل هو ربي لا إلـٰه إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ، والصواب ما أثبتناه .

س : ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله أن الناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام اذكر ما قاله رحمه الله في ذلك ؟ وأين قال ذلك ؟

ج : هذه الأقسام ذكرها رحمه الله تعالى في التفسير القيم ص ٦٩ فقال : الناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة أربعة أقسام :

أجلها وأفضلها : أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الربُّ تبارك وتعالى الإعانةَ على مرضاته ، وهو الذي علمه النبي ﷺ لِحبِّه معاذ بن جبل . قال : « يا معاذ ، والله إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول في دُبُر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1].

فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته ، وأفضل المواهب : إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ، وعلى دفع ما يضاده ، وعلى تكميله وتيسير أسبابه . فتأملها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : تأملت أنفعَ الدعاء : فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] .

ومقابل هؤلاء : القسم الثاني : وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة ، بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٥٢) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : « يا معاذ : والله إني لأحبك ، والله إني لأحبك فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

وأخرجه النسائي (٥٣/٣) ، والحاكم (٢٧٣/٣ - ٢٧٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وشهواته ، لا على مرضاة ربه وحقوقه ، فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض : يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمُدُّ هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه : عدوه إبليس ، ومع هذا فسأله حاجة فأعطاه إياها ، ومتعه بها ، ولكن لما لم تكن عونًا له على مرضاته : كانت زيادة له في شقوته ، وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ، ولم يكن عونًا على طاعته ، كان مبعدًا له عن مرضاته ، قاطعًا له عنه ولا بد .

وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره ، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له ، وفيها هلاكه وشقوته ، ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له ، فيمنعه حمايةً وصيانة وحفظًا لا بخلًا ، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ، ويعامله بلطفه : فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ، ويراه يقضي حوائج غيره ، فيسيء ظنه بربه ، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به ، والمعصوم من عصمه الله ، والإنسان على نفسه بصيرة ، وعلامة هذا : حمله على الأقدار . وعتابه الَباطن لها . كما قيل :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فوالله لو كشف عن حاصله وسره لرأى هناك معاتبة القدر واتهامه ، وأنه قد كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، ولكن ما حيلتي ؟ والأمر ليس إليّ ، والعاقل خصم نفسه ، والجاهل خصم أقدار ربه ، فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئًا معينًا خِيرته وعاقبته مغيبة عنك ، وإذا لم تجد من سؤاله بدًّا ، فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة ، وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة ، ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة بل استخارة من لا علم له بمصالحه ولا قدرة له عليها ، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها . ولا يملك لنفسه ضرًّا

ولا نفعًا ، بل إن وُكل إلى نفسه هلك كل الهلاك ، وانفرط عليه أمره . وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال : تسأله أن يجعله عونًا على طاعته وبلاغًا إلى مرضاته ، ولا يجعله قاطعًا لك عنه ، ولا مبعدًا عن مرضاته . ولا تظن أن عطاءه كلَّ ما أعطى لكرامة عبده عليه ؛ ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه ، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان ، يمتحن بهما عباده . قال الله تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا ! ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٧] أي : ليس كل من أعطيتُه ونعمته وخولته : فقد أكرمته ، وما ذاك لكرامته عليَّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له : أيشكرني فأعطيه فوق ذلك ، أم يكفرني فأسلبه إياه ، وأخول فيه غيره ؟ وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه ، وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه عليَّ ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له : أيصبر ؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سَعة الرزق ، أم يتسخط ؟ فيكون حظه السخط .

فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام ، وأن الفقر إهانة ، فقال : لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته عليَّ ، ولم أبتله بالفقر لهوانه عليَّ . فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فإنه يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويُقَتِّر على المؤمن لا لإهانته ، إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته . فله الحمد على هذا وعلى هذا ، وهو الغني الحميد .

فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [البقرة : ٥] .

فصـــــل

القسم الثالث : من له نوع عبادة بلا استعانة . وهؤلاء نوعان : أحدهما : القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف ،

وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل . فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل ، وتمكينه من الفعل . فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها ، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة : فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء ، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان ، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر ، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد ، أوجب لهم الإيمان ، وخذل هؤلاء بأمر آخر ، أوجب لهم الكفر ، فعباد هؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة ، لا استعانة معه فهم موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده .

النوع الثاني : من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة ، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر ، وتلاشيها في ضمنه ، وقيامها به ، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له ، بل كالعدم الذي لا وجود له ، وأن القدر كالروح المحرك لها ، والمعول على المحرك الأول . فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك ، ومن السبب إلى المسبب ، ومن الآلة إلى الفاعل . فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم ، فقل نصيبهم من ﴿ إياك نستعين ﴾ [البقرة : ٥] ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة ، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم ، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم . ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه ، وكان مأمورًا بإزالته ، لأزاله .

فإن قلت : فما معنى التوكل والاستعانة ؟

قلت : هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله ، وتفرده بالخلق والتدبير

والضر والنفع، والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما لم يشأ لم يكن ، وإن شاءه الناس ، فيوجب له هذا اعتمادًا عليه وتفويضًا إليه وطمأنينة به وثقة به ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه ، وأنه مَلِيٌّ به ، ولا يكون إلا بمشيئته، شاءه الناس أم أَبَوْه ، فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مَلِيَّان بهما. فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه ، وحبس هَمِّه على إنزال ما ينويه بهما. فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولا بد. قال الله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق : ٣] أي : كافيه. والحسب: الكافي ، فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ، وإن لم يكن من أهل التقوى فهو:

القسم الرابع : وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضرر ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولم يَدُر مع ما يحبه ويرضاه ، فتوكل عليه ، واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه ، وطلبها منه ، وأنزلها به فقضيت له ، وأسعف بها ، ولكن لا عاقبة له ، سواء كانت أموالًا أو رياسة أو جاهًا عند الخلق أو أحوالًا ، من كشف وتأثير وقوة وتمكين . فإنها من جنس الملك الظاهر ، والأموال لا تستلزم الإسلام ، فضلًا عن الولاية والقرب من الله . فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر . فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه ، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل الجاهلين ، وأبعدهم معرفة بالله ودينه ، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه ، فالحال من الدنيا . فهو كالملك والمال ، إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته ، وتنفيذ أوامره ، ألحقه بالملوك العادلين البررة ، وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن الله ، وملحق له بالملوك الظلمة ، والأغنياء الفجرة .

* * *

س : ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره القيم أن لأهل ﴿ إياك نعبد ﴾ [البقرة : ٥] في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق فهم في ذلك أربعة أصناف اذكر ما قاله هذا العلامة الجليل ؟

ج : كلام هذا العالم الجليل في هذا المقام في غاية النفع ولذلك نورده هنا بتمامه[1] ، قال رحمه الله (التفسير القيم ص ٧٦) :

ثم أهل مقام ﴿ إياك نعبد ﴾ [البقرة : ٥] لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق . فهم في ذلك أربعة أصناف :

الصنف الأول : عندهم أنفع العبادات ، وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها .

قالوا : لأنه أبعد الأشياء من هواها ، وهو حقيقة التعبد .

قالوا : والأجر على قدر المشقة ، ورووا حديثًا لا أصل له : « أفضل الأعمال أَمَزُّهَا » أي : أصعبها وأشقها ، وهؤلاء : هم أهل المجاهدات والجور على النفوس .

قالوا : وإنما تستقيم النفوس بذلك ، إذ طبعها الكسل والمهانة ، والإخلاد إلى الأرض ، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق .

الصنف الثاني : قالوا : أفضل العبادات التجرد ، والزهد في الدنيا ، والتقلل منها غاية الإمكان ، واطّرح الاهتمام بها ، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها .

ثم هؤلاء قسمان :

فعوامهم : ظنوا أن هذا غاية ، فشمروا إليه وعملوا عليه . ودعوا الناس

---

(١) وقد أوردناه مع المزيد في رسالة قيمة لنا اسمها : (مفاتيح للفقه في الدين) فراجعها إن شئت فإن بها نفعًا كبيرًا – إن شاء الله – في هذا الباب .

إليه ، وقالوا : هو أفضل من درجة العلم والعبادة ، فرأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها .

وخواصهم رأوا هذا مقصودًا لغيره ، وأن المقصود به عكوف القلب على الله ، وجمع الهمة عليه ، وتفريغ القلب لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والاشتغال بمرضاته . فرأوا أن أفضل العبادات في الجمعية على الله ، ودوام ذكره بالقلب واللسان ، والاشتغال بمراقبته ، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له .

ثم هؤلاء قسمان : فالعارفون المتبعون منهم : إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرَّقهم وأذهب جمعيتهم . والمنحرفون منهم يقولون : المقصود من العبادة جمعية القلب على الله . فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه . وربما يقول قائلهم :

يطالب بالأوراد من كان غافلًا فكيف بقلب كل أوقاته ورد ؟

ثم هؤلاء أيضًا قسمان : منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته ، ومنهم من يقوم بها ، ويترك السنن والنوافل ، وتعلم العلم النافع لجمعيته .

وسأل هؤلاء شيخًا عارفًا فقال : إذا أذن المؤذن وأنا في جمعيتي على الله ، فإن قمت وخرجت تفرقت ، وإن بقيت على حالي بقيت على جمعيتي ، فما الأفضل في حقي ؟ .

فقال : إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم ، وأجب داعي الله ، ثم عد إلى موضعك . وهذا لأن الجمعية على الله : حظ الروح والقلب ، وإجابة الداعي : حق الرب ، ومن آثر حظ روحه على حق ربه فليس من أهل « إياك نعبد » .

الصنف الثالث : رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعد ،

فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر ، فرأوا خدمة الفقراء ، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل . فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » رواه أبو يعلى[1] .

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد إلى الغير ، وأين أحدهما من الآخر ؟ .

قالوا : ولهذا كان فضل العالم على العابد : كفضل القمر على سائر الكواكب

قالوا : وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النعم »[2]، وهذا التفضيل للنفع المعتدي ، واحتجوا بقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء »[3] ، واحتجوا بقوله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير »[4] ، وبقوله ﷺ : « إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى

---

(١) إسناده ضعيف جدًا ، وقد أخرجه الطبراني (١٠/١٠٥) أثر (١٠٠٣٤) ، والخطيب البغدادي (٦/ ٣٣٤) وفيه موسى بن عمير ، وهو متروك .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢١٠) ، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » .

(٤) صححه الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله (صحيح الجامع ١٨٣٤) .

الحيتان في البحر والنملة في جحرها »[1] .

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله ، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي نسب إليه .

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ، ونفعهم في معاشهم ومعادهم ، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب ، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد ، وترك مخالطة الناس . ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله ونفع عباده والإحسان إليهم أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك .

---

(١) ضعيف ، وقد أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والبغوي (شرح السنة) (١/٢٧٥)، والدارمي (١/٩٨) وغيرهم كما سنشير إليهم قريبًا من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، قال : كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل ، فقال : يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة .

قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » .

● وهذا إسناد ضعيف من أجل داود بن جميل فهو ضعيف ، وكذلك كثير بن قيس ، وثمَّ بعض الخلافات في السند أيضًا ، ولمزيد من الوقوف عليها مع الوقوف على مزيد ممن أخرجوا الحديث انظر سنن الترمذي (٢٦٨٢) ، وسنن ابن ماجه (حديث ٢٢٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٤٢٩) وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص٣٣ – ٣٧) ، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦) ، وابن حبان (١/١٥١ – ١٥٢) ، وثمَّ شاهد عند أبي داود (٣٦٤٢) من حديث أبي الدرداء ، وفي إسناده مجهول . والله تعالى أعلم .

الصنف الرابع : قالوا : إن أفضل العبادة : العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته . فأفضل العباداتِ في وقت الجهاد : الجهاد ، وإن آل إلى ترك الأوراد ، من صلاة الليل وصيام النهار ، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض ، كما في حالة الأمن .

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلًا : القيام بحقه ، والاشتغال به عن الورد المستحب ، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل .

والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار .

والأفضل في وقت استرشاد الطالب ، وتعلم الجاهل : الإقبال على تعليمه والاشتغال به .

والأفضل في أوقات الأذان : ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه ، والمبادرة إليها في أول الوقت ، والخروج إلى الجامع ، وإن بعد كان أفضل .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه ، أو البدن أو المال : الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته ، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك .

والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه ، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به ، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره ، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر

دون الصوم المضعفَ عن ذلك .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة : الإكثار من التعبد ، لا سيما التكبير والتهليل والحميد . فهو أفضل من الجهاد غير المتعين .

والأفضل في العشر الأخير من رمضان : لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم ، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن ، عند كثير من العلماء .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته ، وحضور جنازته وتشييعه ، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم ، دون الهرب منهم . فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه[1] .

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من عزلتهم فيه ، وعزلتهم في الشر ، فهي أفضل من خلطتهم فيه . فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من عزلتهم .

فالأفضل في كل وقت وحال : إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال . والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه . وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق . والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد . فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقض وترك عبادته . فهو

---

(١) صح في هذا المعنى حديث عن رسول الله ﷺ من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

أخرجه الترمذي (٢٥٠٧) ، وأحمد (٥/٣٦٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) ، وابن ماجة (٤٠٣٢) .

يعبد الله على وجه واحد . وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت . فمدار تعبده عليها . فهو لا يزال متنقلًا في منازل العبودية ، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها ، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى . فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره : فإن رأيت العلماء رأيته معهم . وإن رأيت العباد رأيته معهم . وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم . وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم ، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم ، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم ، فهذا هو العبد المطلق ، الذي لم تملكه الرسوم ، ولم تقيده القيود ، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات . بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه ، فهذا هو المتحقق بإياك نعبد وإياك نستعين حقًّا ، القائم بهما صدقًا . ملبسه ما تهيأ ، ومأكله ما تيسر ، واشتغاله بما أمر به في كل وقت بوقته ، ومجلسه حيث انتهى ووجده خاليًا ، لا تملكه إشارة ، ولا يتعبده قيد ، ولا يستولى عليه رسم ، حر مجرد ، دائر مع الأمر حيث دار ، يدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبه ، ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق ، ويستوحش منه كل مبطل ، كالغيث حيث وقع نفع ، وكالنخلة لا يسقط ورقها ، وكلها منفعة حتى شوكها . وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله ، والغضب إذا انتهكت محارم الله ، فهو لله وبالله ومع الله ، قد صحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس . بل إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم ، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فواهًا له . ما أَغْرَبَه بين الناس ، وما أشدَّ وحشته منهم ، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه إليه !! والله المستعان . وعليه التكلان .



س : العبودية لله على قسمين عبودية خاصة وعبودية عامة ، وضح ذلك ؟

ج : أما العبودية العامة فبمعنى أن كل الخلق مقهورون خاضعون لله سبحانه وتعالى يتصرف فيهم كيف يشاء ، ويحكم فيهم كما يريد ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ومن الآيات التي يظهر فيها معنى العبودية بعمومه قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ [العنكبوت : ٦٢] وقوله تعالى : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] .

● أما العبودية الخاصة فأهلها ذلَّلوا أنفسهم لله واستكانوا لأوامره وائتمروا بها وانتهوا عن نواهيه فامتثلوا ما أمر وانتهوا عما نهى وزجر ورجوا ما عنده من ثواب وخشوا ما أعد للعصاة من عقاب . فهم بهذا المعنى عباد الله ، ومن الآيات التي يظهر فيها هذا المعنى ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ﴾ [ص : ٤٥] وقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الإسراء : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾ [نوح : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم[١] .

---

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٩٥) :
فصل في انقسام العبودية إلى عامة وخاصة :
العبودية نوعان : عامة ، وخاصة .
فالعبودية العامة : عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله ، بَرِّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم . فهذه عبودية القهر والملك . قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن =

= ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٣] ، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ [الفرقان : ١٧] فسماهم عباده مع ضلالهم ، لكن تسميةً مقيدة بالإشارة ، وأما المطلقة فلم تجيء إلا لأهل النوع الثاني ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وقال تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] ، وقال : ﴿ وما الله يريد ظلمًا للعباد ﴾ [غافر : ٣١] ، ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر : ٤٨] ، فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة .

وأما النوع الثاني : فعبودية الطاعة والمحبة ، واتباع الأوامر . قال تعالى : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [الزخرف : ٦٨] وقال : ﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] ، وقال : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، وقال تعالى عن إبليس : ﴿ ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر : ٣٩ ، ٤٠] فقال تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر : ٤٢] .

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته ، وأهل طاعته وولايته : هم عبيد إلهيته .

ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقًا إلا لهؤلاء .

وأما وصف عبيد ربوبيته بالعبودية : فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه : إما منكرًا . كقوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] ، والثاني معرفًا باللام كقوله : ﴿ وما الله يريد ظلمًا للعباد ﴾ [غافر : ٣١] ، ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر : ٤٨] .

الثالث : مقيدًا بالإشارة أو نحوها كقوله: ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ [الفرقان : ١٧] .

الرابع : أن يذكروا في عموم عباده . فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر . كقوله : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] =

س : كيف يكون العبد محققًا لقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾[البقرة : ٥] ؟

ج : يكون العبد محققًا لقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ إذا التزم أصلين :

الأول : متابعة الرسول ﷺ .

= الخامس : أن يذكروا موصوفين بفعلهم . كقوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد يقال : إنما سماهم عباده إذ لم يقنطوا من رحمته ، وأنابوا إليه ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة .

وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة : لأن أصل معنى اللفظة : الذل والخضوع . يقال : « طريق معبد » إذا كان مذللًا بوطء الأقدام ، و « فلان عَبَّده الحب » إذا ذلله ، لكن أولياؤه خضعوا له وذلوا طوعًا واختيارًا ، وانقيادًا لأمره ونهيه ، وأعداؤه خضعوا له قهرًا ورغمًا .

ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة : انقسام القنوت إلى خاص وعام ، والسجود كذلك . قال تعالى في القنوت الخاص : ﴿ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ [الزمر : ٩] وقال في حق مريم : ﴿ وكانت من القانتين ﴾ [التحريم : ١٢] ، وهو كثير في القرآن .

وقال في القنوت العام : ﴿ بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] ، أي : خاضعون أذلاء .

وقال في السجود الخاص : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] ، وقال : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خَرُّوا سُجَّدًا وبُكياً ﴾ [مريم : ٥٨] ، وهو كثير في القرآن .

وقال في السجود العام : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : ١٥] .

ولهذا كان السجود الكُرْه غير السجود المذكور في قوله : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴾ [الحج : ١٨] فخص بالسجود هنا كثيرًا من الناس وعمهم بالسجود في سورة النحل الآية ٤٩ ، وهو سجود الذل والقهر والخضوع ، فكل أحد خاضع لربوبيته ، ذليل لعزته . مقهور تحت سلطانه تعالى .

الثاني : الإخلاص لله تبارك وتعالى[1] .

---

(١) وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أن الناس بحسب هذين الأصلين ينقسمون إلى أربعة أقسام فقال رحمه الله (التفسير القيم ص٧٣) :

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضًا إلى أربعة أقسام :

أحدها : أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة . وهم أهل « إياك نعبد » حقيقة ، فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ، ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله . فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده . لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورًا ، ولا ابتغاء الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة ، والمنزلة في قلوبهم ، ولا هربًا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور ، لا يملكون لهم ضرًا ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا . فالعمل لأجل هؤلاء ، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ، ورجائهم للضر والنفع منهم ، لا يكون من عارف بهم البتة ، بل من جاهل بشأنهم ، وجاهل بربه . فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم . ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله ، وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق ، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم ، وكذلك أعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لأمر الله ، ولما يحبه ويرضاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه . وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله . قال الله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ﴾ [الملك : ٢] وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملًا ، قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا . لم يقبل . وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص : ما كان لله ، والصواب : ما كان على السنة . وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وفي قوله : ﴿ ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [النساء : ١٢٥] ، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه على متابعة أمره ، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا . وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »[1] وكل عمل بلا اقتداء . فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا . =

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

س : ما مدى صحة الشعارات التي ترفع في بعض الدول تحت مسمى (حرية الرأي) و(حرية الكلمة) ونحو ذلك ؟

ج : إن كان المراد بـ (حرية الكلمة) و (حرية الرأي) التكلم بكلمة الحق والصدع بالرأي الحق الذي يحبه الله ويرضاه ولا يخشى في إعلانه وإظهاره لومة لائم فذلك أمر محمود ، محمود أن تصدع بالحق وتعلن رأيك

= فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء .

فصل :

الضرب الثاني[1] : من لا إخلاص له ولا متابعة . فليس عمله موافقًا لشرع ، ولا هو خالصًا للمعبود ، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله . وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل . ولهم أوفر نصيب من قوله : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ١٨٨] يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص .

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات ، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم . فهم أهل الغضب والضلال .

الضرب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الأمر ، كجهال العباد ، والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بغير أمره ، واعتقده قربة إلى الله فهذا حاله ، كمن يظن أن سماع المُكاء والتصدية قربة ، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة ، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة . وأمثال ذلك .

الضرب الرابع : من أعماله على متابعة الأمر ، لكنها لغير الله . كطاعة المرائين ، وكالرجل يقاتل رياء وحَمية وشجاعة ، ويحج ليقال ، ويقرأ القرآن ليقال ، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها ، لكنها غير صالحة فلا تقبل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة : ٥] ، فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة ، وهم أهل إياك نعبد وإياك نستعين .

---

(١) هذا هو القسم الثاني من الأقسام الأربعة .

الصواب في المسائل ما دام موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

● أما إذا كان المراد بحرية الكلمة مثلًا إعطاء الحرية لكل شخص يتكلم بما يشاء من كفرٍ وزندقةٍ ونحو ذلك فهذا كفر ولا يجوز إقراره ولا السكوت عليه ، ومن ثمَّ فيكون شعار (حرية الكلمة) و(حرية الرأي) شعار باطل يتخذ وسيلة إلى إظهار الكفر والتلفظ به والخوض فيه ، ففي الإسلام وعند المسلمين اللسان مُعبَّدٌ مذلَّل لله تبارك وتعالى لا يتكلم كيفما شاء ، بل أحيانًا يجب عليه أن يتكلم كلامًا وحرام عليه في أحيان أُخر أن يتكلم بنوع من الكلام ، و يستحب له في بعض الأحيان أن يتكلم ، ويكره له في بعض الأحيان أن يتكلم ، ويباح له نوع من الكلام ، وهو في كل هذا مقيدٌ بما أمره الله به ، أما إذا انسلخ اللسان من العبودية لله رب العالمين وخاض مع الضُّلال الخائضين ؛ فمصيره – عياذًا بالله – إلى سقر ، كما قال تعالى :

كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * و لم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين ... ﴾ [المدثر : ٣٨ – ٤٦] وكذلك القلب وسائر الجوارح كلها مُعبدة لله مذلَّلة له خاضعة له عز وجل .

● وقد أفرد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هنا بحثًا لا مانع من أن نسوقه برُمَّته ؛ لما فيه من النفع وبيان عبودية القلب والجوارح لله تبارك وتعالى حتى يكون بيانًا شافيًا لمن جهل عبودية ربِّه ودندن بقوله : (أنا حر) فاستباح المحرمات من أجل هذا الشعار .

قال رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص١٠٠) :

ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة . من كملها كمل مراتب العبودية .

وبيانها : أن العبودية منقسمة على القلب ، واللسان ، والجوارح . وعلى كل منها عبودية تخصه .

والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ، ومستحب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح ، وهي لكل واحد من القلب واللسان ، والجوارح . فواجب القلب : منه متفق على وجوبه ، ومختلف فيه .

فالمتفق على وجوبه : كالإخلاص ، والتوكل ، والمحبة ، والصبر ، والإنابة ، والخوف ، والرجاء ، والتصديق الجازم ، والنية في العبادة ، وهذه قدر زائد على الإخلاص ، فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره .

ونية العبادة لها مرتبتان :

إحداهما : تمييز العبادة عن العادة .

والثانية : تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض .

والأقسام الثلاثة واجبة .

وكذلك الصدق . والفرق بينه وبين الإخلاص : أن للعبد مطلوبًا وطلبًا ، فالإخلاص: توحيد مطلوبه . والصدق : توحيد طلبه .

فالإخلاص : أن لا يكون المطلوب منقسمًا . والصدق : أن لا يكون الطلب منقسمًا : فالصدق بذل الجهد ، والإخلاص : إفراد المطلوب .

واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة .

وكذلك النصح في العبودية . ومدار الدين عليه ، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له . وأصل هذا واجب ، وكماله مرتبة المقربين .

وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان ، واجب

مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين ، وكمال مستحب . وهو مرتبة المقربين .

وكذلك الصبر واجب باتفاق الأمة ، قال الإمام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن ، أو بضعًا وتسعين ، وله طرفان أيضًا : واجب مستحق ، وكمال مستحب .

[ثم ذكر القسم الواجب المختلف فيه – إلى أن قال :] .

والمقصود : أن يكون ملك الأعضاء – وهو القلب – قائمًا بعبوديته لله هو ورعيته .

وأما المحرمات التي عليه : فالكبر ، والرياء ، والعجب ، والحسد ، الغفلة ، والنفاق ، وهي نوعان : كفر ومعصية . فالكفر كالشك ، والنفاق ، والشرك ، وتوابعها .

والمعصية نوعان : كبائر وصغائر .

فالكبائر : كالرياء ، والعجب ، والكبر ، والفخر ، والخيلاء ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والفرح والسرور بأذى المسلمين ، والشماتة بمصيبتهم ، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم ، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ، وتمني زوال ذلك عنهم ، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا ، وشرب الخمر ، وغيرهما من الكبائر الظاهرة ، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها ، والتوبة منها ، وإلا فهو قلب فاسد ، وإذا فسد القلب فسد البدن .

وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب ، وترك القيام بها .

فوظيفة « إياك نعبد » على القلب قبل الجوارح ، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولا بد . وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها .

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه ، وقد تكون كبائر بحسب قوتها وغلظها وخفتها ودقتها .

ومن الصغائر أيضًا : شهوة المحرمات وتمنيها ، وتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر ، بحسب تفاوت درجات المشتهي ، فشهوة الكفر والشرك : كفر ، وشهوة البدعة : فسق ، وشهوة الكبائر : معصية ، فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب . وإن تركها عجزًا عن بذله مقدوره في تحصيلها : استحق عقوبة الفاعل ، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب ، وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع ، ولهذا قال النبي ﷺ : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » ، قالوا : هذا القاتل يا رسول الله ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »[1] ، فنزله منزلة القاتل ؛ لحرصه في الإثم دون الحكم ، وله نظائر كثيرة في الثواب والقلب .

وقد علم بهذا مستحب القلب ومباحه .

فصـــل

وأما عبوديات اللسان الخمس : فواجبها : النطق بالشهادتين ، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن . وهو ما يتوقف صحة صلاته عليه ، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله ، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود ، وأمر بقول : « ربنا ولك الحمد » بعد الاعتدال ، وأمر بالتشهد ، وأمر بالتكبير .

ومن واجبه : رد السلام . وفي ابتدائه قولان . ومن واجبه : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة

---

(١) أخرجه البخاري (٣١) ، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

المتعينة ، وصدق الحديث .

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله ، والمذاكرة في العلم النافع ، وتوابع ذلك .

وأما محرمه : فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله ، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله ، والدعاء إليها وتحسينها وتقويتها ، وكالقذف وسب المسلم ، وأذاه بكل قول ، والكذب ، وشهادة الزور ، والقول على الله بلا علم ، وهو أشدها تحريمًا .

ومكروهه : التكلم بما تركه خير من الكلام به ، مع عدم العقوبة عليه . وقد اختلف السلف . هل في حقه كلام مباح متساوي الطرفين ؟ على قولين . ذكرهما ابن المنذر وغيره . أحدهما : أنه لا يخلو كل ما يتكلم به : إما أن يكون له أو عليه . وليس في حقه شيء لا له ولا عليه .

واحتجوا بالحديث المشهور ، وهو : « كل كلام ابن آدم عليه . لا له ، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه »[1] .

واحتجوا بأنه يكتب عليه كلامه كله . ولا يكتب إلا الخير والشر .

وقالت طائفة : بل هذا الكلام مباح لا له ولا عليه كما في حركات الجوارح.

قالوا : لأن كثيرًا من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي . وهذا شأن المباح .

والتحقيق : أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين ، بل إما راجحة وإما مرجوحة ؛ لأن للسان شأنًا ليس لسائر الجوارح ، وإذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان ، تقول : اتق الله ، فإنما نحن بك ،

---

(١) ضعيف أخرجه الترمذي حديث (٢٤١٢) من حديث أم حبيبة - زوج النبي ﷺ - مرفوعًا ، وكذلك ابن ماجة (٣٩٧٤) وغيرهم ، وإسناده ضعيف من وجوه عدة .

فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا . وأكثر ما يُكِبُّ الناس على مناخرهم في النار حصائد ألسنتهم ، وكل ما يتلفظ به اللسان ، فإما أن يكون مما يرضي الله ورسوله أو لا ، فإن كان كذلك فهو الراجح ، وإن لم يكن كذلك فهو المرجوح . وهذا بخلاف حركات سائر الجوارح ، فإن صاحبها ينتفع بتحريكها في المباح المستوي الطرفين ، لما له في ذلك من الراحة والمنفعة ، فأبيح له استعمالها فيما فيه منفعة له ، ولا مضرة عليه فيه في الآخرة ، وأما حركة اللسان بما لا ينتفع به فلا يكون إلا مضرة . فتأمله .

فإن قيل : فقد يتحرك بما فيه منفعة دنيوية مباحة مستوية الطرفين . فيكون حكم حركته حكم ذلك الفعل .

قيل : حركته بها عند الحاجة إليها راجحة ، وعند عدم الحاجة إليها مرجوحة لا تفيده . فتكون عليه لا له .

فإن قيل : فإذا كان الفعل متساوي الطرفين كانت حركة اللسان الوسيلة إليه كذلك ، إذ الوسائل تابعة للمقصود في الحكم .

قيل : لا يلزم ذلك . فقد يكون الشيء مباحًا ، بل واجبًا ، ووسيلته مكروهة كالوفاء بالطاعة المنذورة : هو واجب ، مع أن وسيلته ، وهو النذر مكروه منهي عنه ، وكذلك الحلف المكروه مرجوح ، مع وجوب الوفاء به أو الكفارة ، وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة مكروه . ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة ، وهذا كثير جدًّا . فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة تكره أو تحرم لأجلها ، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام ولا مكروه .

فصل

وأما العبوديات الخمس على الجوارح : فعلى خمس وعشرين مرتبة أيضًا : إذ الحواس خمسة . وعلى كل حاسة خمس عبوديات ، فعلى السمع : وجوب

الإنصات ، والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه ، من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما ، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام ، واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء .

ويحرم عليه استماع الكفر والبدع ، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة . من ردّه ، أو الشهادة على قائله ، أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك ، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره ، ولا يجب أن يطلعك عليه ، ما لم يكن متضمنًا لحق لله يجب القيام به ، أو لأذى مسلم يتعين نصحه ، وتحذيره منه .

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن ، إذا لم تدع إليه حاجة ، من شهادة ، أو معاملة ، أو استفتاء ، أو محاكمة ، أو مداوة ونحوها .

وكذلك استماع المعازف وآلات الطرب واللهو ، كالعود والطنبور واليراع ونحوها . ولا يجب عليه سَدُّ أذنه إذا سمع الصوت ، وهو لا يريد استماعه ، إلا إذا خاف السكون إليه والإنصات ، فحينئذ يجب تجنب سماعها وجوب سد الذرائع .

ونظير هذا المحرم : لا يجوز له تعمد شم الطيب ، وإذا حملت الريح رائحته وألقتها في مشامّه لم يجب عليه سد أنفه ، ونظير هذا : نظرة الفجأة لا تحرم على الناظر ، وتحرم عليه النظرة الثانية إذا تعمدها .

وأما السمع المستحب : فكاستماع المستحب من العلم ، وقراءة القرآن ، وذكر الله ، واستماع كل ما يحبه الله ، وليس بفرض .

والمكروه : عكسه ، وهو استماع كل ما يكرهه ولا يعاقب عليه ، والمباح ظاهر .

وأما النظر الواجب : فالنظر في المصحف وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها ، والنظر إذا تعين تمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها وينفقها ويستمتع بها ، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها . ونحو ذلك .

والنظر الحرام : النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقًا ، وبغيرها إلا لحاجة ، كنظر الخاطب ، والمستام والمعامل ، والشاهد ، والحاكم ، والطبيب ، وذي المحرم .

والمستحب : النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل إيمانًا وعلمًا والنظر في المصحف ووجوه العلماء الصالحين والوالدين ، والنظر في آيات الله المشهودة ، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته .

والمكروه : فضول النظر الذي لا مصلحة فيه . فإن له فضولًا كما للسان فضولًا ، وكما قاد فضولها إلى فضول عَزَّ التخلص منها ، وأعيى دواؤها . وقال بعض السلف : كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

والمباح : النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة .

ومن النظر الحرام : النظر إلى العورات . وهي قسمان :

عورة وراء الثياب ، وعورة وراء الأبواب .

ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب فرماه صاحب العورة ففقأ عينه لم يكن عليه شيء ، وذهبت هدرًا ، بنص رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته . وإن ضعفه بعض الفقهاء ، لكونه لم يبلغه النص ، أو تأوله ، وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله ، كعورة له هناك ينظرها . أو ريبة هو مأمور أو مأذون له في اطلاعها .

وأما الذوق الواجب : فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه ، وخوف الموت . فإن تركه حتى مات ، مات عاصيًا قاتلًا لنفسه . قال الإمام أحمد وطاووس :

من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات ، دخل النار .

ومن هذا : تناول الدواء إذا تيقن به من الهلاك ، على أصح القولين . وإن ظن الشفاء به ، فهل هو مستحب مباح ، أو الأفضل تركه ؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف .

والذوق الحرام : كذوق الخمر والسموم القاتلة . والذوق الممنوع منه للصوم الواجب .

وأما المكروه : فكذوق المشتبهات ، والأكل فوق الحاجة ، وذوق طعام الفجاءة ، وهو الطعام الذي تفجأ آكله ، ولم يرد أن يدعوك إليه ، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها، وفي السنن: أن رسول الله ﷺ (نهى عن طعام المتبارين)[1] وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس.

والذوق المستحب : أكل ما يعينك على طاعة الله عز وجل ، مما أذن الله فيه . والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل ، فينال منه غرضه . والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب .

وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها ؛ للأمر به عن الشارع .

والذوق المباح : ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان .

وأما تعلق العبوديات الخمس بحاسة الشم ، فالشم الواجب : كل شم تعين طريقًا للتمييز بين الحلال والحرام ، كالشم الذي يعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة ؟ وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه ؟ أو يميز به بين ما يملك

---

(١) أخرجه أبو داود رحمه الله (حديث ٣٧٥٤) ، والحاكم (١٢٩/٤) ، والطبراني في الكبير (٣٤٠/١١) ، وابن عدي في الكامل (٧٧/٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتبارين) لكن رجح أكثر العلماء أنه مرسل ، لكن صححه بعض أهل العلم ؛ لشاهد أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « المتباريان لا يُجابان ، ولا يؤكل طعامهما » .

الانتفاع به ، وما لا يملك ؟ ومن هذا : شم المقوِّم وربُّ الخِبْرة عند الحكم بالتقويم ، والعبيد ونحو ذلك .

وأما الشم الحرام : فالتعمد لشم الطيب في الإحرام ، وشم الطيب المغصوب والمسروق ، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات للافتتان بما وراءه .

وأما الشم المستحب : فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوي الحواس ، ويبسط النفسَ للعلم والعمل . ومن هذا : هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك . ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ : « من عُرض عليه ريحان فلا يرده ؛ فإنه طيب الريح ، خفيف المحمل »[1].

والمكروه : كشم طيب الظَّلَمة ، وأصحاب الشبهات ، ونحو ذلك .

والمباح : ما لا منع فيه من الله ولا تبعة ، ولا فيه مصلحة دينية ولا تعلق له بالشرع .

وأما تعلق هذه الخمسة بحاسة اللمس . فاللمس الواجب : كلمس الزوجة حين يجب جماعها ، والأمة الواجب إعفافها .

والحرام : لمس ما لا يحل من الأجنبيات .

والمستحب : إذا كان فيه غض بصره وكف نفسه عن الحرام وإعفاف أهله .

والمكروه : لمس الزوجة في الإحرام للذة ، وكذلك في الاعتكاف ، وفي الصيام إذا لم يأمن على نفسه .

ومن هذا لمس بدن الميت – لغير غاسله – لأن بدنه قد صار بمنزلة عورة الحي تكريمًا له ، ولهذا يستحب ستره عن العيون وتغسيله في قميص في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أحد القولين ، ولمس فخذ الرجل ، إذا قلنا : هو عورة .

والمباح : ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية .

وهذه المراتب أيضًا مُرَتَّبة على البطش باليد والمشي بالرجل . وأمثلتها لا تخفى .

فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله : واجب . وفي وجوبه لقضاء دينه خلاف ، والصحيح : وجوبه ليمكنه من أداء دينه ، ولا يجب لإخراج الزكاة ، وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر ، والأقوى في الدليل : وجوبه لدخوله في الاستطاعة ، وتمكنه بذلك من أداء النسك . والمشهور عدم وجوبه .

ومن البطش الواجب : إعانة المضطر ورمي الجمار ، ومباشرة الوضوء والتيمم .

والحرام : كقتل النفس التي حرم الله ، ونهب المال المغصوب ، وضرب من لا يحل ضربه ونحو ذلك ، وكأنواع اللعب المحرم بالنص كالنَّرد ، أو ما هو أشد تحريمًا منه عند أهل المدينة كالشطرنج ، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره ، أو دونه عند بعضهم . ونحو كتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفًا أو نسخًا ، إلا مقرونًا بردها ونقضها ، وكتابة الزور والظلم ، والحكم الجائر ، والقذف والتشبيب بالنساء الأجانب ، وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم ، ولا سيما إن كسبت عليه مالًا ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٩٧] وكذلك كتابة المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله ، إلا أن يكون مجتهدًا مخطئًا ، فالإثم موضوع عنه .

وأما المكروه : فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام ، وكتابة ما لا فائدة في كتابته ، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة .

والمستحب : كتابة كل ما فيه منفعة في الدين ، أو مصلحة لمسلم ، والإحسان بيده بأن يعين صانعًا ، أو يصنع لأخرق ، أو يُفرغ من دَلْوه في دلو المستسقِي ، أو يحمل له على دابته ، أو يمسكها حتى يحمل عليها ، أو يعاونه بيده فيما يحتاج إليه ونحو ذلك ، ومنه : لمس الركن بيده في الطواف ، وفي تقبيلها بعد اللمس قولان .

والمباح : ما لا مضرة فيه ولا ثواب .

وأما المشي الواجب : فالمشي إلى الجمعات والجماعات ، في أصح القولين لبضعة وعشرين دليلًا ، مذكورة في غير هذا الموضع . والمشي حول البيت للطواف الواجب ، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه ، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دُعي إليه ، والمشي إلى صلة رحمه ، وبر والديه ، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه ، والمشي إلى الحج إذا قربت المسافة ولم يكن عليه فيه ضرر .

والحرام : المشي إلى معصية الله ، وهو من رجل الشيطان . قال تعالى : ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورَجْلك ﴾ [الإسراء : ٦٤] قال مقاتل : استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم . فكل راكب وماشٍ في معصية الله فهو من جند إبليس .

وكذلك تعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضًا :

فواجبه في الركُوب في الغزو والجهاد والحج الواجب .

ومستحبه : في الركوب المستحب من ذلك ، ولطلب العلم ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، وفي الوقوف بعرفة نزاع : هل الركوب فيه أفضل ، أم على الأرض ؟ والتحقيق : أن الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة : من تعليم للمناسك ، واقتداء به ، وكان أعون على الدعاء ولم يكن فيه ضرر على الدابة .

وحرامه : الركوب في معصية الله عز وجل .

ومكروهه : الركوب للهو واللعب ، وكل ما تركه خير من فعله .

ومباحه : الركوب لما لم يتضمن فوت أجر ، ولا تحصيل وزر .

فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء : القلب ، واللسان ، والسمع ، والبصر والأنف ، والفم ، واليد ، والرجل ، والفرج ، والاستواء على ظهر الدابة .

* * *

س : يُشرع للعبد – كما هو معلوم – أن يقول في دعائه : (اللهم ارزقني) ، (اللهم اشفني) ، (اللهم عافني) ونحو ذلك بلا تقدمات ، لكن المستحب أن يُقدم بين يدي دعائه مقدمات . بيِّن بعض هذه المقدمات ؟

ج : من أكمل أحوال السائل – كما ذكر ذلك بعض أهل العلم – أن يمدح مسئوله ويثني عليه ثم يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين .

وهذا حال أهل العلم والإيمان مع ربهم عزَّ وجل فيقدمون بين يدي دعائهم مقدمات منها :

● **حمد الله عز وجل والثناء عليه وتمجيده** كما في سورة الفاتحة ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمٰن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل[1]. ثم يأتي بعد هذا الحمد والثناء والتمجيد السؤال بقولنا : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فانظر كيف

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وقد تقدم تخريجه .

أتى هذا الدعاء بعد الحمد والثناء والتمجيد !!!

● ومن هذا الباب أيضًا ما أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل وذهاب المؤمنين إلى آدم عليه السلام ؛ فيحيلهم آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام ، ونوح يحثهم على الذهاب إلى إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم يحيلهم[1] إلى موسى عليه السلام ، وموسى يحيلهم إلى عيسى عليه السلام ، وعيسى يحيلهم إلى نبينا محمد ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقُل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناءٍ وتحميد يعلمنيه » قال : « ثم أشفع فيُحِدُّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة » .

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه بعد السجود لله والثناء عليه وحمده سبحانه .

● ومن هذا الباب أيضًا ما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وأعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، لا إلٰه إلا أنت » .

فانظر كيف جاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله عز وجل وغاية الإقرار

---

(١) كلمة (يحيلهم) من تصرفي ، وفي الصحيح : اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى .... ، وفيه أيضًا عليكم بإبراهيم و .... وهي تؤدي نفس المعنى .

له بالعبودية ؟!!!

● وفي هذا الباب دعاء الاستخارة أيضًا فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين والثناء على الله والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي : عن قدرة نفسه) بقوله : (فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب) . ثم يأتي بعد ذلك الدعاء : « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي ... »[1].

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرب سبحانه وتعالى .

● ومن هذا الباب أيضًا قول النبي ﷺ : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم »[2].

[أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما] . فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع .

● ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » . فانظر كيف جاء قوله عليه السلام : « اللهم

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١١/١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري » – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، ويسمي حاجته » .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٩٦) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع النووي ٤/٢٠١) .

اغفر لي » بعد قوله : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » .

● وكذلك في صلاة الليل كان عليه الصلاة والسلام يفتتحها بقوله : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[1]، فانظر كيف جاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى وحده .

● **وتارة يضاف إلى حمد الله والثناء عليه الصلاة على رسول الله ﷺ** كما ورد من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل ولم يُصلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ثم دعاه وقال له ولغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصلِّ على النبي ﷺ ثم ليدعُ بما شاء »[2].

● **وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنى** ؛ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فهي أحسن الأسماء فإنه سبحانه إذا دعي بأحسن أسمائه – وأسماؤه كلها حسنى – كان ذلك من أسباب الإجابة .

فيُسأل الرب سبحانه وتعالى باسم من أسمائه الحسنى موافق للمسألة التي يريدها الشخص ، فإن كان يريد الرزق مثلًا قال كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ .... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] ، وقول موسى عليه

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٥٦/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وهو من طريق عكرمة عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨/٤) ، وأبو داود (١٦٢/٢) ، والنسائي (٤٤/٣) ، والترمذي (ص ٤٤٩ جـ ٩ مع تحفة الأحوذي) ، وغيرهم ، وسنده حسن .

السلام : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] فطلب المغفرة بقوله : ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ .

وطلب الشفاء باسم الشافي كما قال رسول الله ﷺ : « ... اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك .... » [أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا][1]. وهكذا .

وفي هذا الباب حديث بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلـٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد ، قال : فقال : « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى »[2] [أخرجه الترمذي بسند حسن] .

● **وتارة يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته** ، كما قال موسى ﷺ : ﴿ رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ [القصص : ٢٤] ، فالذي أنزل إليَّ الخير ابتداءً هو الله ، ومنه أطلب المزيد ، فهو صاحب الفضل أولًا وآخرًا ، ومن ذلك قول أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء / ٨٣].

● ومن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام : ﴿ ... و لم أكن بدعائك رب شقيًّا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ [مريم : ٤ - ٦] .

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته ، كما قال ابن القيم رحمه الله (في التفسير القيم) : فقد قيل : إنه دعاء المسألة ، والمعنى : إنك عودتني إجابتك وإسعافك و لم تشقني بالرد والحرمان ، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه ، كما حكي أن رجلًا سأل رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/١٠) ، ومسلم (مع النووي ٧٦/١١) .

(٢) أخرجه الترمذي (مع تحفة الأحوذي ٤٤٥/٩) .

وقال : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا وكذا ، فقال : مرحبًا بمن توسل إلينا بنا ، وقضى حاجته .

قلت : فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام يقول لربه عز وجل : يا رب يا دائم العطاء يا من تكرمت عليَّ و لم ترد دعواتي و لم تجعلني من قبل محرومًا و لم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا .

● ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية ، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان ، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول وبالله التوفيق ، لو أن رجلًا جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنيه مثلًا فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل وقال لك – متوسلاً إليك بسابق إحسانك – : أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنيه ، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف ؛ فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راضٍ عنه وعن شكره للمعروف ، ولله المثل الأعلى .

● **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال** ، ومن ذلك قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران :٥٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ .

● ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا

مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان .

● ومنه قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون / ١٠٩] .

● ومن هذا القبيل حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (واللفظ لمسلم) قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعو الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم ، فإذا أرحت عليهم حلبتُ فبدأت بوالديَّ فسقيتهما قبل بنيَّ وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آتِ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء . وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم . وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرقِ أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضت عليه فرقهُ فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى

جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي . قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها . فقال : اتق الله ولا تستهزىء بي ، فقلت : إني لا أستهزىء بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي » .

فهم هنا قد توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله تبارك وتعالى ففرج الله عنهم .

● **وتارة يكون الدعاء بلا مقدمات** ، ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[1]، ولم يذكر أنه قدم مقدمات بين يدي الدعاء .

وقد أجمل الحافظ ابن كثير رحمه الله[2] القول في ذلك فقال: ... وهذا

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٤٠) .

(٢) وإلى نحوه أيضًا أشار ابن القيم رحمه الله تعالى فقال (التفسير القيم ص ٢٣) : ولما كان سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب ونيله أشرفَ المواهب : علَّم الله عباده كيفية سؤاله ، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمدَه والثناء عليه ، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم . توسل إليه بأسمائه وصفاته . وتوسل إليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء . ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه ، والإمام أحمد والترمذي : أحدهما : حديث عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو ، ويقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إلـٰه إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفوًا أحد . فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[1] قال الترمذي : حديث صحيح . فهذا توسل إلى الله بتوحيده ، وشهادة الداعي له بالوحدانية . وثبوت صفاته المدلول عليها باسم (الصمد) ، وهو كما قال ابن عباس : (العالم الذي كمل علمه ، القادر الذي كملت قدرته) وفي رواية عنه : (هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد)، وقال أبو وائل : =

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٤٤٥/٩) بإسناد حسن .

= « هو السيد الذي انتهى سؤدده » ، وقال سعيد بن جبير : (هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله) ، وبنفي التمثيل والتشبيه عنه بقوله : « ولم يكن له كفوًا أحد » ، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل بالإيمان بذلك ، والشهادة به هو الاسم الأعظم .

والثاني : حديث أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إلـٰه إلا أنت ، المنَّان . بديع السموات والأرض . ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم . فقال : «لقد سأل الله باسمه الأعظم»[1] ، فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته .

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين ، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه ، وتمجيده ، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده . ثم جاء سؤال أهم المطالب ، وأنجح الرغائب ، وهو الهداية ، بعد الوسيلتين . فالداعي به حقيق بالإجابة .

ونظير هذا : دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل . رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت . وإليك أنبت . وبك خاصمت ، وإليك حاكمت . فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إلـٰه إلا أنت »[2] فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له . ثم سأله المغفرة .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/٢٦٥) ، وفي عدة مواضع من المسند ، والنسائي (٣/٥٢) والطبراني في الصغير (٢/٩٦) وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣٨٢) والبيهقي في الصفات (٢٨ ، ٣٢) ، والخطيب في التاريخ (٥/٢٥٥) ، وغيرهم من طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣) ومسلم (مع النووي ٦/٥٤) ، ولفظه عند البخاري : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض وما فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلـٰه إلا أنت » أو لا إلـٰه غيرك .

المؤمنين بقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل ، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه ، كما قال موسى عليه السلام : ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ ، وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسئول كقول ذي النون : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ، وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن يشتمك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء

❋ ❋ ❋

س : اذكر مراتب الهداية العامة والخاصة كما ذكرها ابن القيم رحمه الله ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ٣٧) :

فصـــل

في مراتب الهداية الخاصة والعامة . وهي عشر مراتب

المرتبة الأولى : مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة ، بل منه إليه . وهذه أعلى مراتبها ، كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه . قال الله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] فذكر في أول الآية وحيه إلى نوح والنبيين من بعده ، ثم خص موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه . وهذا يدل على أن التكليم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي الذي ذكر في أول الآية . ثم أكده بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر « كلم » وهو « التكليم » رفعًا لما توهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام ، أو إشارة ، أو تعريف للمعنى

النفسي بشيء غير التكليم . فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز . قال الفراء : العرب تسمى ما يوصل إلى الإنسان كلامًا بأي طريق وصل . ولكن لا تحققه بالمصدر ، فإذا حققته بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام ، كالإرادة . يقال : فلان أراد إرادة ، يريدون حقيقة الإرادة . ويقال : أراد الجدار ، ولا يقال : إرادة . لأنه مجاز غير حقيقة . هذا كلامه . وقال تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وهذا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلى فرعون . وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر ، لا في الأول وفيه أعطي الألواح . وكان عن مواعدة من الله له . والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة . وفيه قال الله له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] أي : بتكلمي لك بإجماع السلف .

وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه . فالنداء من بُعد والنجاء من قرب . تقول العرب : إذا كبرت الحلقة فهو نداء . أو نجاء[1] ، وقال له أبوه آدم في محاجته : « أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده ؟ »[2]. وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه . وكذلك في حديث الإسراء في رؤية موسى في السماء السادسة أو السابعة ، على اختلاف الرواية . قال : « وذلك بتفضيله بكلام الله » ولو كان التكليم الذي حصل له من جنس ما حصل لغيره من الأنبياء لم يكن لهذا التخصيص به في هذه الأحاديث معنى . ولا كان يسمى (كليم الرحمٰن)،

(١) في لسان العرب : وفي حديث الشعبي : (إذا عظمت الحلقة فهي نداء ونجاء) .

(٢) أخرجه البخاري (١١/٥٠٥ مع الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومني على أمرٍ قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةٍ ؟! فحج آدم موسى » ثلاثًا . وأخرجه مسلم أيضًا (ص ٢٠٤٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [الشورى : ٥١] ففرق بين تكليم الوحي ، والتكليم بإرسال الرسول ، والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية : مرتبة الوحي المختص بالأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ [النساء : ١٦٢] . وقال : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب ﴾ [الشورى : ٥١] فجعل الوحي في هذه الآية قسمًا من أقسام التكليم ، وجعله في آية النساء قسيمًا للتكليم ، وذلك باعتبارين : فإنه قسيم التكليم الخاص الذي بلا واسطة ، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة ، والوحي في اللغة : هو الإعلام السريع الخفي ، ويقال في فعله : وَحَى ، وأوحى . قال رؤبة : وحى لها القرار فاستقرت ، وهو أقسام ، كما سنذكره .

المرتبة الثالثة : إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري . فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه .

فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء ، لا تكون لغيرهم ، ثم هذا الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلًا ، يراه عيانًا ويخاطبه ، وقد يراه على صورته التي خُلق عليها ، وقد يدخل فيه الملك ، ويوحي إليه ما يوحيه ، ثم يَفصم عنه ، أي : يقلع . والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة : مرتبة التحديث . وهذه دون مرتبة الوحي الخاص ، وتكون دون مرتبة الصديقين ، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما قال النبي ﷺ : « إنه كان في الأمم قبلكم محدَّثون ، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب »[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : =

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا ، وعلق وجودهم في هذه الأمة بإن الشرطية ، مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم ، واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته ، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ، ولا صاحب كشف ولا منام ، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها .

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء ، فيكون كما يحدث به .

قال شيخنا : والصديق أكمل من المحدث . لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف ، فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عنه .

قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول . فإن وافقه قبله ، وإلا رده ، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث .

قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثني قلبي عن ربي : فصحيح أن قلبه حدثه ، ولكن عن من ؟ عن شيطانه ، أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثني قلبي عن ربي كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به ، وذلك كذب ، قال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ، ولا تفوَّه به يومًا من الدهر ، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك . بل كتب كاتبه يومًا : (هذا ما أرى الله أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب . فقال : لا . امحه واكتب : هذا ما رأى عمر بن الخطاب . فإن كان صوابًا فمن الله ، وإن كان خطأ فمن عمر ، والله ورسوله منه بريء)، وقال في الكلالة :

= قال رسول الله ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم ناسٌ محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » .
وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة مرفوعًا ، لكن انتقدت رواية عائشة رضي الله عنها .

(أقول فيها برأيي . فإن يكن صوابًا فمن الله . وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان) ، فهذا قول المحدث بشهادة الرسول ، وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح ، والسماعي : مجاهر بالقِحَة والفرية . يقول : حدثني قلبي عن ربي ، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين . وأعط كل ذي حق حقه ، ولا تجعل الزغل والخالص شيئًا واحدًا .

المرتبة الخامسة : مرتبة الإفهام . قال الله تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ، إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهّمناها سليمان ، وكلًا آتينا حكمًا وعلمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم والحكم . وخص سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة ، وقال علي بن أبي طالب ، وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : (لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة ، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه ، وما في هذه الصحيفة) . وكان فيها العقل ، وهو الديات وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : (والفهمَ فيما أدلى إليك) ، فالفهم نعمة من الله على عبده ، ونور يقذفه الله في قلبه . يعرف به ، ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه ، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره ، مع استوائهما في حفظه . وفهم أصل معناه .

فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ، ومنشور الولاية النبوية ، وفيه تفاوتت مراتب العلماء ، حتى عُدَّ ألف بواحد ، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه ، وإعلامه بحضور أجله ، وموافقة عمر له على ذلك ، وخفائه عن غيرهما من الصحابة ، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنًّا ، وأين تجد

في هذه السورة الإعلام بأجله ، لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس ، فيحتاج مع النص إلى غيره . ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه ، وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

المرتبة السادسة : مرتبة البيان العام . وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه . بحيث يصير مشهودًا للقلب ، كشهود العين للمرئيات ، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه ، التي لا يعذب أحدًا ولا يضله ، إلا بعد وصوله إليها . قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضلَّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ [التوبة : ١١٥] فهذا الإضلال عقوبة منه لهم ، حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به . فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى ، وما أضل الله سبحانه أحدًا قط إلا بعد هذا البيان .

وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر ، وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضله من عباده ، والقرآن يصرح بهذا في غير موضع ، كقوله : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] ﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [النساء : ١٥٥] ، فالأول : كفر عناد ، والثاني : كفر طبع ، وقوله : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة . ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأنعام : ١١٠] ، فعاقبهم على ترك الإيمان به حين تيقنوه وتحققوه . بأن قلَّب أفئدتهم وأبصارهم فلم يهتدوا له .

فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه موضع عظيم . وقال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] فهذا هدى بعد البيان والدلالة وهو شرط لا موجب . فإنه إن لم يقترن به هدى آخر بعده ، لم يحصل به كمال الاهتداء وهو هدى التوفيق والإلهام .

وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة ، وبيان بالآيات المشهودة المرئية . وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله ، وصدق ما أخبرت به عنه ، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة عليهم ، ويحضهم على التفكر في هذه وهذه . وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم ، وبعد ذلك يضل الله من يشاء . قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ [إبراهيم : ٤] فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة : البيان الخاص*، وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة ، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء ، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة . قال تعالى في هذه المرتبة : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ [النحل : ٣٧]، وقال : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦] ، فالبيان الأول شرط . وهذا موجب .

المرتبة الثامنة : مرتبة الإسماع . قال الله تعالى : ﴿ ولو علم الله فيهم خيرًا لأسْمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، قال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ﴾ [فاطر : ١٩ -٢٣] وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ . فإن ذلك حاصل لهم ، وبه قامت الحجة عليهم ، لكن ذاك إسماع الآذان ، وهذا إسماع القلوب . فإن الكلام له لفظ ومعنى ، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما . فسماع لفظه حظ الأذن ، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب . فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع

المقصود والمراد الذي هو حظ القلب ، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء : ٢ ، ٣] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه ، أو تمكنه منها ، وأما مقصود السماع وثمرته ، والمطلوب منه : فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه ، بل يخرج السامع قائلًا للحاضر معه ﴿ ماذا قال آنفًا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ [محمد : ١٦] .

والفرق بين هذه المرتبة ومرتبة الإفهام : أن هذه المرتبة إنما تحصل بواسطة الأذن . ومرتبة الإفهام أعم ، فهي أخص من مرتبة الفهم من هذا الوجه ، ومرتبة الفهم أخص من وجه آخر ، وهي أنها تتعلق بالمعنى المراد ولوازمه ومتعلقاته وإشاراته ، ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب . ويترتب على هذا السماع سماع القبول .

فهو إذن ثلاث مراتب : سماع الأذن ، وسماع القلب ، وسماع القبول والإجابة .

المرتبة التاسعة : مرتبة الإلهام . قال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [الشمس : ٧ ، ٨] وقال النبي ﷺ لحصين الخزاعي لما أسلم : « قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي »[1].

---

(١) **صحيح بلفظ قريب من هذا اللفظ** فقد أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (حديث ٤٧٥) ، وأحمد في المسند (٤/٤٤٤) والنسائي في الكبرى (٦/٢٤٧) وغيرهم بإسناد صحيح إلى عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن حصينًا أتى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد لعبدُ المطلب كان خير لقومه منك كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم فقال له النبي ﷺ : ما شاء الله أن يقول له فقال له : ما تأمرني أن أقول ؟ قال :« قل : **اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري** » ، قال : فانطلق فأسلم الرجل ثم جاء فقال : إني أتيتك فقلت لي قل : =

وقد جعل صاحب المنازل الإلهام هو مقام المحدثين . قال : وهو فوق مقام الفراسة ؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة . واستصعبت على صاحبها وقتًا أو استعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد .

قلت : التحديث أخص من الإلهام : فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان ، فأما التحديث : فالنبي ﷺ قال فيه : « إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر » يعني من المحدثين . فالتحديث إلهام خاص . وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين ، كقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [القصص: ٧] وقوله : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ [المائدة : ١١١] وإما من غير المكلفين ، كقوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النّحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ [النحل : ٦٨] فهذا كله وحي إلهام .

وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة : ربما وقعت نادرة كما تقدم . والنادر لا حكم له . وربما استصعب على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد ، يعني في مقام القرب والحضور .

والتحقيق في هذا : أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيرًا ،

= **اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري ، فما أقول الآن ؟ قال : « قل :** اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت » . اللفظ لأحمد وله طريق آخر ضعيف عن عمران بن حصين بنحوه أخرجه الترمذي (٥/٥١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٢٣) والطبراني في الكبير (١٨/١٧٤) .

وخاصه قد يقع نادرًا ، ولكن الفرق الصحيح : أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل ، وأما الإلهام فموهبة مجردة ، لا تنال بكسب البتة .

[ثم ذكر فصولًا أربعة تكلم فيها عن درجات الإلهام الثلاثة . ثم قال] :

المرتبة العاشرة : من مراتب الهداية . الرؤيا الصادقة : وهي من أجزاء النبوة : كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة »[1].

وقد قيل في سبب هذا التخصيص المذكور : إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة ، وذلك نصف سنة . ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة ، من حين بعث إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه ، فنسبة مدة الوحي في المنام من ذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا . وهذا حسن لولا ما جاء في الرواية الأخرى الصحيحة « أنها جزء من سبعين جزءًا » .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦] وبين قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ؟

---

(١) وله عن النبي ﷺ عدة طرق منها حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعًا ، أخرجه البخاري (٦٩٨٧) ، ومسلم (٢٢٦٤) ، وأحمد (١٨٥/٣) وغيرهم .

- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٨) ، ومسلم (٢٢٦٣) وغيرهما .
- ومن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٣) وغيره .
- ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٩) وله طرق أخرى عن النبي ﷺ .

ج : يجمع بأن يُقال : إن الهداية على أقسام منها :

هداية الدلالة : منها قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] أي : تدل على الصراط المستقيم .

وهداية التوفيق : ومنها قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦]وقوله تعالى : ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ﴾ [النمل : ٨١] .

فعلى ذلك فالتوفيق من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى . كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾ [هود : ٨٨] أما الدلالة فالله سبحانه وتعالى مكّن منها البشر وغيرهم .

فعلى ذلك الهداية المنفية في قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القصص / ٥٦] هي هداية التوفيق ، والهداية المثبتة في قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى : ٥٢] هي هداية الدلالة والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

س : الهداية قد تعدى بنفسها ، وقد تعدى بإلى ، وقد تعدى باللام وضح ذلك ؟

ج : مثال ذلك ما ذكره الطبري رحمه الله[1] حيث قال: والعرب تقول:

---

(١) وزاد هذا المعنى إيضاحًا الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ متضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا ، ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد : ١٠] أي : بينا له الخير والشر ، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى : ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢١] ، ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ [الصافات : ٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة ، وكذلك قوله : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف :٤٣] ، أي : وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً . والله أعلم .

هديتَ فلانًا الطريق ، وهديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ، إذا أرشدته إليه وسددته له ، وبكل ذلك جاء القرآن .

● قال الله جل ثناؤه : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

● وقال في موضع آخر : ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢١] .

● وقال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وكل ذلك فاشٍ في منطقها موجود في كلامها ، من ذلك قول الشاعر :

أَسْتَغِفُر الله ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ ربَّ العبادِ إليه الوَجْهُ والعملُ

يريد أستغفر الله لذنبٍ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ [غافر : ٥٥] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ اهدنا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ؟

ج : نورد من هذه الأقوال ما يلي :

● قال ابن جرير الطبري رحمه الله : ومعنى قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ في هذا الموضع عندنا : وفقنا للثبات عليه ... ثم قال رحمه الله : فكأن معنى الكلام : اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان ، فأعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج .

فإن قال قائل : وأنَّى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق ؟

قيل له : ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يُحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد فمن ذلك قول الشاعر :

لا تَحْرِمَنِّي هداك اللهُ مَسْأَلتي ولَا أكُونَن كَمَن أَوْدَى به السَّفَرُ

يعني به : وفقك الله لقضاء حاجتي ، ومنه قول الآخر :

ولا تُعْجِلَنِّي هَدَاك المليكُ فإن لكلِّ مقامٍ مقالَا

فمعلوم أنه إنما أراد : وفقك الله لإصابة الحق في أمري .

ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ في غير آية من تنزيله وقد عُلم بذلك أنه لم يعنِ أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه ، وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وقد عمَّ بالبيان جميع المكلفين من خلقه ؟ ولكنه عنى جلَّ وعز أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق صدورهم .

- ونقل الطبري رحمه الله أقوالًا أخرى ثم تعقبها منها :
- ﴿ اهدنا ﴾ : زدنا هداية .
- ومنها : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ : أسلكنا طريق الجنة في المعاد ، أي : قدِّمنا له وامض بنا إليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ [الصافات : ٢٣] أي : أدخلوهم النار ، كما تُهدى المرأة إلى زوجها يعني بذلك أنها تُدخل إليه ، وكما تُهدى الهدية إلى الرجل ...

- وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والهداية هنا الإرشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا .

- وقال القرطبي رحمه الله : .. والمعنى دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنسك وقُربك .

وقال أيضًا .. وقيل المعنى : أرشدنا باستعمال السنن في أداء فرائضك .

● وقيل : الأصل فيه الإمالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ [الأعراف : ١٥٦] أي : رملنا ، وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين : أي : يتمايل ، ومنه الهدية لأنها تُمال من مِلك إلى مِلك ، ومنه الهدي للحيوان الذي يساق إلى الحرم ، فالمعنى مِل بقلوبنا إلى الحق .

● وقال صديق حسن خان في فتح البيان : وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى ، قال الله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ [محمد : ١٧] الآية ، وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] والهداية هي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصراط المستقيم في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ؟

ج : قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن ﴿ الصراط المستقيم ﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي :

أميـرُ المؤمنيـن على صـراطٍ ... إذا اعوجَّ المواردُ مستقيمٌ[1]

ثم ذكر رحمه الله جملة شواهد وقال :

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : يمدح هشام بن عبد الملك ، والموارد جمع موردة وهي الطرق إلى الماء يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم كما يسلكون الموارد إلى الماء .

ثم تستعير العرب ﴿ الصراط ﴾ فتستعمله في كل قولٍ وعملٍ وُصِف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوجَّ باعوجاجه .

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أن يكون معنيًّا به : وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قولٍ وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق لما وفق له مَن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفِّق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبدٍ لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم ، وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى المراد بالصراط المستقيم وهو يشمل معاني جميعهم في ذلك[1] .

ثم نقل ابن جرير عن البعض[2] أنه القرآن ، وذكر آخرون أنه الإسلام وذكر البعض أنه رسول الله ﷺ وصاحباه[3].

وثم قول آخر أنه طريق الجنة .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ١٨) :

والصراط المستقيم : هو صراط الله . وهو يخبر أن هداية الصراط عليه سبحانه ، كما ذكرنا ، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم ، وهذا في موضعين من القرآن في هود والنحل ، قال في هود : ﴿ ما من دابة إلا هو

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وإن كان حاصلها يرجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول .

(٢) بصرف النظر عن صحة الأسانيد إلى قائليها .

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة ، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا ولله الحمد .

آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم ﴾[1] [هود : ٥٦] وقال في النحل : ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ، وهو كَلٌّ على مولاه ، أينما يُوجِّهه لا يأت بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ ﴾ [النحل : ٧٦] فهذا مثل ضربه الله للأصنام التي لا تسمع . ولا تنطق ولا تعقل ، وهي كَلٌّ على عابدها يحتاج الصنم إلى أن يحمله عابده ويضعه ويقيمه ويخدمه . فكيف يسوونه في العبادة بالله الذي يأمر بالعدل والتوحيد . وهو قادر متكلم ، غني . وهو على صراط مستقيم في قوله وفعله . فقوله صدق ورشد ونصح وهدى . وفعله حكمة وعدل ورحمة ومصلحة . هذا أصح الأقوال في الآية . وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره . ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ، ثم حكاها بعده ، كما فعل البغوي . فإنه جزم به ، وجعله تفسير الآية . ثم قال : وقال الكلبي : يدلكم على صراط مستقيم .

قلت : ودلالته لنا على الصراط هي من موجب كونه سبحانه على الصراط المستقيم . فإن دلالته بفعله وقوله ، وهو على الصراط المستقيم في أفعاله وأقواله . فلا يناقض قول من قال : إنه سبحانه على الصراط المستقيم .

قال : وقيل : هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم .

قلت : وهذا حق لا يناقض القول الأول . فالله على الصراط المستقيم ، ورسوله عليه . فإنه لا يأمر ولا يفعل إلا مقتضاه وموجبه . وعلى هذا يكون المثل مضروبًا لإمام الكفار وهاديهم ، وهو الصنم الذي هو أبكم ، لا يقدر على هدى ولا خير . وإمام الأبرار ، وهو رسول الله ﷺ الذي يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم .

---

(١) وكذلك قوله في سورة الحجر : ﴿ قال : هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] .

وعلى القول الأول : يكون مضروبًا لمعبود الكفار ومعبود الأبرار . والقولان متلازمان . فبعضهم ذكر هذا . وبعضهم ذكر هذا . وكلاهما مراد من الآية . قال : وقيل : كلاهما للمؤمن والكافر . يرويه عطية عن ابن عباس . وقال عطاء : الأبكم أُبيُّ بن خلَف ، ومن يأمر بالعدل : حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون .

قلت : والآية تحتمله . ولا يناقض القولين قبله ، فإن الله على صراط مستقيم ، ورسوله وأتباع رسوله . وضد ذلك معبود الكفار وهاديهم ، والكافر التابع والمتبوع والمعبود . فيكون بعض السلف ذكر أعلى الأنواع . وبعضهم ذكر الهادي . وبعضهم ذكر المستجيب القابل . وتكون الآية : متناولة لذلك كله . ولذلك نظائر كثيرة في القرآن .

وأما آية هود : فصريحة لا تحتمل إلا معنى واحدًا . وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم . وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم . فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة ﴿ وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] وأفعاله كلها مصالح وحكم ، ورحمة وعدل وخير . فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله البتة ، لخروج الشر عن الصراط المستقيم . فكيف يدخل في أفعال من هو على الصراط المستقيم أو أقواله ؟ وإنما يدخل في أفعال من خرج عنه وفي أقواله .

وفي دعائه عليه الصلاة والسلام : « لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك »[1] ولا يلتفت إلى تفسير من فسره بقوله :

(١) الصواب في هذا الحديث أنه موقوف على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فمداره على أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال في قوله عز وجل : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : يجمع الناس في صعيد واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتًا لا تتكلم نفس إلا بإذنه قال =

والشر لا يُتقرب به إليك ، أو لا يصعد إليك . فإن المعنى أجل من ذلك ، وأكبر وأعظم قدرًا . فإن مَنْ أسماؤه كلها حسنى . وأوصافه كلها كمال ، وأفعاله كلها حكم ، وأقواله كلها صدق وعدل : يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه ، أو أفعاله أو أقواله . فطابق بين هذا المعنى وبين قوله : ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾ [هود : ٥٦] وتأمل كيف ذكر هذا عقيب قوله : ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ﴾ [هود : ٥٦] أي : هو ربي ، فلا يُسلمني ولا يضيعني ، وهو ربكم فلا يسلطكم عليَّ ولا يمنعكم مني . فإن نواصيكم بيده ، لا تفعلون شيئًا بدون مشيئته . فإن ناصية كل دابة بيده ، لا يمكنها أن تتحرك إلا بإذنه . فهو المتصرف فيها . ومع هذا ، فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها ، ونفوذ قضائه وقدره فيها : على صراط مستقيم ، لا يفعل

= فينادي محمد فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا إلا إليك تباركت وتعاليت سبحان رب البيت فذاك المقام المحمود الذي قال : عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا . لفظ الحاكم في المستدرك (٣٦٣/٢ - ٣٦٤) .

وقد رواه جمع عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة رضي الله عنه موقوفًا ، منهم إسرائيل وشعبة ومعمر وسفيان .

بينما رواه البعض عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة مرفوعًا منهم الليث بن أبي سليم وعبد الله بن المختار ، ولا شك أن رواية من رواه موقوفًا أصح من رواية الذين رووه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

وقد قال ابن أبي حاتم في العلل (٢١٧/٢) : سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ... وذكر الحديث ، قال أبي : لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار والموقوف أصح .

قلت : وانظر مصادر هذا الحديث عن ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٤/١١)، (٣٧٨/١٣)، والطبري (٩٧/٨)، والنسائي في التفسير (٦٦٠/١)، والطيالسي في مسنده حديث (٤١٤)، والحاكم في المستدرك (٥٧٣/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٦٧/٢) وغيرهم.

ما يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة ، ولو سلطكم عليَّ فله من الحكمة في ذلك ما له الحمد عليه . لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم . لا يظلم ولا يفعل شيئًا عبثًا بغير حكمة . فهكذا تكون المعرفة بالله ، لا معرفة القدرية المجوسية ، والقدرية المجبرية ، نفاة الحكم والمصالح والتعليل . والله الموفق سبحانه .

● وقدر ورد **بإسناد حسن** من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ ما يفسر الصراط أيضًا ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة : محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » . أخرجه أحمد (٤/١٨٢) .

والحاكم في المستدرك (١/٧٣) والبيهقي في الشعب (٥/٤٤٤) **بإسناد حسن** ، وله طريق آخر إلى جبير بن نفير عن النواس مرفوعًا عند أحمد (٤/١٨٣) ، والترمذي (٥/١٤٤) وأبي الشيخ في الأمثال (٣٢٩) وغيرهم .

* * *

س : كيف يسأل المؤمن ربه عز وجل الهداية في كل وقت وهو متصفٌ بها فهل هذا من تحصيل الحاصل ؟

ج : أجاب على هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال في تفسيره :

الجواب أن لا ، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله ، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] الآية ، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل ، لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك ، والله أعلم .

* * *

س : ما هي فائدة ذكر (الصراط المستقيم) منفردًا معرفًا تعريفين تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافة ؟

ج : أجاب على ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله فقال (التفسير القيم ص ١٤) .

وذكر الصراط المستقيم منفردًا ، معرفًا تعريفين : تعريفًا باللام ، وتعريفًا بالإضافة . وذلك يفيد تعيُّنه واختصاصه ، وأنه صراط واحد . وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها ، كقوله : ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ؛ ولا تتبعوا السُّبُل فتَفَرَّق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام : ١٥٣] فوحَّد لفظ الصراط وسبيله . وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن مسعود : « خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ، وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره ، وقال : هذه سُبل ، وعلى كل سبيل شيطان

يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ » [الأنعام : ١٥٣][1] وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق . ولو أتى الناسُ من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هذا الطريق الواحد . فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٥/١) ، والحاكم في المستدرك (٣١٨/٢) ، والدارمي في سننه (٦٧/١) ، وغيرهم من طريق حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ **وإسناده حسن .**

● وثمَّ خلاف لا يضر فقد روي الحديث عند الحاكم في المستدرك (٢٣٩/٢) وغيره من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله به مرفوعًا (فأبدل مكان أبي وائل ذرًّا) وهذا خلاف لا يضر ، فذرٌّ ثقة وأبو وائل ثقة ، وإن كنا نرجح رواية أبي وائل ، لأن راويها حماد بن زيد عن عاصم ، وحماد أثبت لدينا من أبي بكر بن عياش ، والله أعلم .

● وثمَّ خلاف آخر فقد روي الحديث عن عبد الله موقوفًا ، والمرفوع أصح لدينا من الموقوف ، لأن من رواه مرفوعًا أثبت .

● وثمَّ طريق آخر للحديث عن أبي وائل من طريق عمرو بن علي ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع وهو ابن خثيم عن عبد الله قلت .... ، انظره في كشف الأستار (٢٢١٢) وانظر أيضًا كشف الأستار (٢٢١٠) .

● وثم شاهد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد فيه ضعف عند عبد بن حميد في المنتخب (١١٣٩) وابن ماجة (١٦) وابن أبي عاصم في السُّنة (١٦) لكنه يصلح شاهدًا ، وبالجملة **فالحديث أقل أحواله أن يكون حسنًا ، والله أعلم .**

قال الله تعالى : ﴿ هذا صراطٌ عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] قال الحسن معناه : صراط إليَّ مستقيم . وهذا يحتمل أمرين : أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة « علي » مقام « إلي » . والثاني : أنه أراد التفسير على المعنى . وهو الأشبه بطريق السلف . أي : صراط موصل إلي ، وقال مجاهد : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يُعَرِّج على شيء . وهذا مثل قول الحسن وأَبْيَن منه . وهو من أصح ما قيل في الآية . وقيل : « علي » فيه للوجوب ، أي : عليَّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه . والقولان نظير القولين في آية النحل . وهي ﴿ وعلى الله قَصْد السبيل ﴾ [النحل : ٩] والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر : أن السبيل القاصد – وهو المستقيم المعتدل – يرجع إلى الله ، ويوصل إليه . قال طُفَيل الغَنَوي :

مضوا سلفًا ، قَصْدَ السبيل عليهم وصَرْف المنايا بالرجال تَشَقْلَب

أي : ممرنا عليهم ، وإليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أيُّ وادٍ سلكته عليها طريقي ، أو عليَّ طريقها

فإن قيل : لو أريد هَذا المعنى لكان الأليق به أداة « إلي » التي هي للانتهاء ، لا أداة « علي » التي هي للوجوب . ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال : ﴿ إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] ، وقال : ﴿ إلينا مرجعهم ﴾ [يونس : ٧٠] ، ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، وقال لما أراد الوجوب : ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٦] ، ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ [القيامة : ١٧] ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] ونظائر ذلك ؟

قيل : في أداة « علي » سر لطيف . وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدًى . وهو حق . كما قال في حق المؤمنين : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [البقرة : ٤] وقال لرسوله ﷺ :

﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩] والله عز وجل هو الحق ، وصراطه حق ، ودينه حق . فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى . فكان في أداة « على » على هذا المعنى ما ليس في أداة « إلى » فتأمله ، فإنه سر بديع .

فإن قلت : فما الفائدة في ذكر « على » في ذلك أيضًا . وكيف يكون المؤمن مستعليًا على الحق ، وعلى الهدى ؟ .

قلت : لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى ، مع ثباته عليه واستقامته إليه . فكان في الإتيان بأداة « على » ما يدل على علوه وثبوته واستقامته . وهذا بخلاف الضلال والرَّيب . فإنه يؤتى فيه بأداة « في » الدالة على انغماس صاحبه ، وانقماعه وتدسسه فيه ، كقوله تعالى : ﴿ فهم في رَيْبهم يترددون ﴾ [التوبة : ٤٥] وقوله : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صُمٌّ وبُكْم في الظلمات ﴾ [الأنعام : ٣٩] ، ﴿ فذَرْهم في غَمْرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] ، وقوله : ﴿ وإنهم لفي شك منه مُريب ﴾ [هود : ١١٠] وتأمل قوله تعالى : ﴿ وإنَّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] فإن طريق الحق تأخذ علوًّا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير ، وطريق الضلال تأخذ سُفلًا ، هاوية بسالكها في أسفل سافلين .

وفي قوله تعالى : ﴿ قال هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] قول ثالث . وهو قول الكسائيِّ : إنه على التهديد والوعيد نظير قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] ، كما يقال : طريقك علي ، وممرك علي ، لمن تريد إعلامه بأنه غير فائت لك ، ولا مُعجِز . والسياق يأبى هذا ، ولا يناسبه لمن تأمله . فإنه قال مجيبًا لإبليس الذي قال : ﴿ لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين ﴾ [الحجر : ٣٩] فإنه لا سبيل لي إلى إغوائهم ، ولا طريق لي عليهم . فقرر الله عز وجل ذلك أتم التقرير . وأخبر

أن الإخلاص صراط عليه مستقيم . فلا سلطان لك على عبادي الذين هم على هذا الصراط ، لأنه صراط علي . ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصراط ، ولا الحَوْم حول ساحته ، فإنه محروس محفوظ بالله . فلا يصل عدو الله إلى أهله .

فليتأمل العارف هذا الموضع حق التأمل ، ولينظر إلى هذا المعنى ويوازن بينه وبين القولين الآخرين ، أيهما أليق بالآيتين ، وأقرب إلى مقصود القرآن وأقوال السلف .

وأما تشبيه الكسائي له بقوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] فلا يخفى الفرق بينهما سياقًا ودلالة . فتأمله ، ولا يقال في التهديد : هذا طريق مستقيم علي ، لمن لا يسلكه . وليست سبيل المهدَّد مستقيمة . فهو غير مهدد بصراط الله المستقيم وسبيله التي هو عليها ليست مستقيمة على الله . فلا يستقيم هذا القول البتة . .

وأما من فسره بالوجوب ، أي : عليَّ بيان استقامته والدلالة عليه . فالمعنى صحيح . لكن في كونه هو المراد بالآية نظر . لأنه حذف في غير موضع الدلالة . ولم يؤلَف الحذف المذكور ، ليكون مدلولًا عليه إذا حذف . بخلاف عامل الظرف إذا وقع صفة . فإنه حذف مألوف معروف . حتى إنه لا يذكر البتة . فإذا قلت : له درهم علي . كان الحذف معروفًا مألوفًا . فلو أردت عليَّ نقدُه ، أو عليَّ وزنه وحفظه ، ونحو ذلك ، وحذفت . لم يسغ . وهو نظير : عليَّ بيانه . المقدر في الآية ، مع أن الذي قاله السلف أليق بالسياق . وأجلُّ المعنيين وأكبرهما .

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه يقول : وهما نظير قوله تعالى : ﴿ إن علينا لَلْهُدَى . وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ [الليل : ١٢ ، ١٣] قال : فهذه ثلاثة مواضع في القرآن في هذا المعنى .

قلت : وأكثر المفسرين لم يذكر في سورة ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلا معنى الوجوب ، أي : علينا بيان الهدى من الضلال . ومنهم من لم يذكر في سورة النحل إلا هذا المعنى كالبغوي . وذكر في الحِجْر الأقوال الثلاثة . وذكر الواحدي في بسيطه المعنيين في سورة النحل . واختار شيخنا قول مجاهد والحسن في السور الثلاث .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فوائد وصف الصراط بـ ﴿ المستقيم ﴾ ؟

ج : لهذا جملة فوائد منها – والله أعلم – أن الخط المستقيم هو أقرب الخطوط التي تصل بين نقطتين ، فإذا هدي الشخص إلى الصراط المستقيم وصل إلى مطلوبه سريعًا فيعمل العمل وإن كان قليلًا إلا أنه يوصله إلى مقصوده بإذن الله سريعًا ، بخلاف الخطوط المعوجة التي تطيل بصاحبها المسير وتذهب به بعيدًا عن مراده .

ثانيًا : أن الخط المستقيم أسلم في المسير عليه من الخطوط المعوجة .

ثالثًا : أن الخط المستقيم أوضح في الدلالة عند المسير عليه من الخطوط المعوجة.

وإلى نحو ذلك أشار بعض العلماء ، فقال ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم (ص ١٠) : فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه ، لأن الخط المستقيم هو أقرب خطٍّ فاصل بين نقطتين ، وكلما تعوج طال وبعد ، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود ، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته ، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيينه طريقًا .

● وقال الرازي رحمه الله وعفا عنه في التفسير الكبير (ص ١/٢٥٨) :

اعلم أن أهل الهندسة قالوا : الخط المستقيم هو أقصر خطٍّ يصل بين نقطتين ، فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة فكان العبد يقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ لوجوه :

الأول : أنه أقرب الخطوط وأقصرها وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم .

الثاني : أن المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضًا في الاعوجاج فيشتبه الطريق عليَّ ، أما المستقيم فلا يشابهه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان .

الثالث : الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود ، والمعوج لا يوصل إليه .

والرابع : المستقيم لا يتغير والمعوج يتغير فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المنعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : المنعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ هم ما ذكرهم الله تعالى في كتابه حيث قال : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الإنعام المذكور في قوله تعالى : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : إنعام الله عز وجل على عباده لا يحصى كما قال سبحانه : ﴿ وإن

تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم :٣٤] ، لكن أعظم وجه للإنعام هو إنعامه عليهم بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح ، وهي الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء ، فهذا تمام النعمة ، ولفظ أنعمت عليهم يتضمن الأمرين .

* * *

س : لماذا أُتبع ذكر ﴿ الصراط المستقيم ﴾ بقوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : أجاب بعض العلماء على ذلك بما حاصله : إن سالكي طريق الحق يسلكون طريقًا أكثر الناس عنه ناكبون ، وسالكوه قلة قليلون ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] وكما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، فقد يستوحش سالكوا هذا الطريق فذكرهم الله عز وجل بأن هناك في الطريق رفقاء بل هم خير الرفقاء وأحسنهم : وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون – حتى يزيل وحشتهم ويؤنس غربتهم ، وقد ذكر مضمون ذلك باستفاضة وتوسع العلامة ابن القيم رحمه الله فقال (التفسير القيم ص ٢١) :

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه ، مريد لسلوك طريقٍ مرافقُه فيها غاية العزة . والنفوس مجبولة على وحشة التفرق ، وعلى الأنس بالرفيق ، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق ، وأنهم هم الذين ﴿ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له . وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه . وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم . فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له . فإنهم هم

الأقلُّون قدرًا ، وإن كانوا الأكثرين عددًا ، كما قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ، ولا تستوحش لقلة السالكين . وإياك وطريق الباطل ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم . وغض الطرف عمن سواهم . فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا . وإذا صاحوا بك في طريق سيرك ، فلا تلتفت إليهم . فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك . وقد ضربت لذلك مثلين . فليكونا منك على بال .

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها. فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلامًا يؤذيه. فوقف ورد عليه، وتماسكا. فربما كان شيطان الإنس أقوى منه ، فقهره، ومنعه عن الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة. ورَبما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة. فإن التفت إليه أطمعه في نفسه . وربما فترت عزيمته. فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجَمْز[1] بقدر التفاته أو أكثر، فإن أعرض عنه واشتغل بما هو بصدده ، وخاف فوت الصلاة أو الوقت : لم يبلغ عدوه منه ما شاء .

المثل الثاني : الظبي أشد سعيًا من الكلب ، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه ، فيدركه الكلب فيأخذه .

والقصد : أن في ذكر هذا الرفيق : ما يزيل وحشة التفرد ، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت: « اللهم اهدني فيمن هديت »[2]

---

(١) الجمز : سرعة السير والعدو .

(٢) أخرج الطبراني (الكبير ٧٥/٣) وأحمد (١٩٩/١) وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه قال : علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت وعافني فيمن عافيت... الحديث» وسنده صحيح.

أي : أدخلني في هذه الزمرة ، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم .

والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهداية ، أي : قد أنعمت بالهداية على من هديت ، وكان ذلك نعمة منك : فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة ، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم . فهو توسل إلى الله بإحسانه .

والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكريم : تصدق عليَّ في جملة من تصدقت عليهم وعلمني في جملة من علمته وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] دلالة على إمامة أبي بكر رضي الله عنه في الدين وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صدِّيق كما هو معلوم عند الكبير والصغير والقريب والبعيد من أهل الإسلام ، وتقدم أن المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، فيتحصل لنا أن أبا بكر رضي الله عنه من المنعم عليهم ، فإذا كان كذلك فهو إمام متبع إذ أننا في كل صلاة نطلب من الله عز وجل أن يهدينا طريق المنعم عليهم الذين منهم أبو بكر رضي الله عنه نطلب من الله عز وجل أن يسلك بنا الطريق الذي سلكه النبيون والصديقون (ومنهم أبو بكر) والشهداء والصالحون ، فعليه فأبو بكر رضي الله عنه إمام في الخير والدين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بـ (لا) في قوله تعالى: ﴿ ولا الضالين ﴾[الفاتحة: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

- أن (لا) معناها غير فالمعنى ﴿ وغير الضآلين ﴾ .

● أن (لا) زائدة وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ [الأنبياء : ٩٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] والمعنى ما منعك أن تسجد .

● وقيل : هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن الضآلين معطوف على الذين.

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بالضلال في لغة العرب ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ، ومنه ضل اللبن في الماء ، أي : غاب ، ومنه ﴿ أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد ﴾ [السجدة:١٠] أي : غبنا بالموت وصرنا ترابًا، قال :

ألـم تَسْـأَلْ فتُخبِـرَك الدِّيـــارُ   عن الحيِّ المُضَلَّل أيـن ســاروا

قلت : وللضلال معان أُخر منها :

● النسيان كما في قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● ومنها : الضياع كما في قوله : (ضلت قلادة عائشة) إلى غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ المغضوب عليهم ﴾ و ﴿ الضالين ﴾ في قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : المراد بالمغضوب عليهم في هذه الآية الكريمة هم اليهود[1] والضآلون هم النصارى ، وهذا هو قول جمهور المفسرين في هذه الآية

---

(١) وهذا لا يمنع أن يكون اليهود - كما أنهم مغضوب عليهم - ضالين كذلك ، ولا يمنع أن يكون النصارى - (كما أنهم ضالون) - أن يكونوا مغضوبًا عليهم أيضًا .
ولا يمتنع أيضًا أن يكون كل الكفار ضُلال كما قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ [يونس : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء =

الكريمة . ، ويشهد لقولهم أمور :

أولها : أن النبي ﷺ فسر الآية بهذا أي : بأن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضآلون[1].

= السبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] وقال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالًا بعيدًا ﴾ [النساء : ١٦٧] وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات .

● وكذلك لا يمتنع أن يكون هناك مغضوب عليهم غير اليهود ، كما قال الله تعالى : ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ [النور : ٩١] وكما قال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] وقال تعالى : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ﴾ [النحل : ١٠٦] .

(١) هذا الحديث (حديث المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى ضآلون) له عن رسول الله ﷺ عدة طرق وإن كان في كل منها مقال إلا أنه يُحسن أو يُصحح بمجموعها ، من هذه الطرق ما أخرجه أحمد (٣٧٨/٤ - ٣٧٩) وابن أبي حاتم في التفسير (٤٠) والترمذي (٢٩٥٤) والطبري (حديث ١٩٤) والطبراني في الكبير (٩٩/١٧) وابن حبان (موارد الظمآن ١٧١٥) من طريق شعبة ، وكذلك أخرجه الترمذي (٢٩٥٣) وابن أبي حاتم في التفسير (٤١) من طريق عمرو بن أبي قيس ، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (٩٩/١٧ - ١٠٠) عن طريق قيس بن الربيع ثلاثتهم (أي : شعبة وعمرو بن أبي قيس وقيس بن الربيع) عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم قال : قال لي رسول الله ﷺ : إن المغضوب عليهم اليهود .

وفي إسناده عباد بن حبيش وهو مقبول (ومعناه عند الحافظ مقبول إذا توبع وإلا فليّن) .

وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مُري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه =

= وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مُري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه محمد بن مصعب وهو ضعيف (أخرجه الطبري ١٨٦/١) .

وثم مخالفة أخرى لهؤلاء الثلاثة فقد رواه الطيالسي (١٠٤٠) من طريق عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عمن سمع عديًّا مرفوعًا لكن عمرو بن ثابت متروك ، ثم إنه يمكن الجمع بأن يُقال : إن الذي سمع عديًّا هو عباد بن حبيش .

● فهذه طريق (أي : ما تقدم) علتها عباد بن حبيش وهو مقبول لكنها تصلح في الشواهد .

● وثم طريق آخر للحديث فقد أخرجه سعيد بن منصور (حديث ١٧٩) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن النبي ﷺ مرسلًا .

وكذلك عزاه صاحب الدر المنثور إلى ابن عيينة في تفسيره .

وقد رواه ابن جرير الطبري (حديث ١٩٣) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي قال : حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي رضي الله عنه مرفوعًا (أي : بإثبات واسطة بين إسماعيل وعدي) لكن عبد الله بن جعفر الرقي كان قد اختلط وتغير أخيرًا . فالطريق المرسلة أرجح ، وعلى كل فهي تصلح في الشواهد .

● وله شاهد آخر مرسل رواه عبد الله بن شقيق عن النبي ﷺ مرسلًا ، رواه عن عبد الله بن شقيق الجريري وخالد الحذاء كما عند الطبري (٦١/١ - ٦٢) وطريق الجريري أظنها معلولة بما رواه الطبري (٢١١) من طريق الجريري عن عروة بن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن شقيق عن رسول الله ﷺ . ورواه بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق ، قال : أخبرني من سمع النبي ﷺ . أخرجه الطبري (١٩٨) ، وعبد الرزاق (٣٧/١) ، وأحمد (٣٢/٥ - ٣٣) من طريق معمر عن بديل ، وبديل بصري ورواية معمر عن البصريين متكلم فيها .

● وروي من طريق إبراهيم بن طهمان عن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر عن النبي ﷺ (عزاه ابن كثير لابن مردويه) وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (١٥٩/٨) ، لكننا نراه معلولًا فإبراهيم بن طهمان ثقة يُغرب وأظن ذكر أبي ذر من غراباته .

وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه ، والله أعلم .

ثانيها : أن الله تبارك وتعالى قال في شأن بني إسرائيل مع موسى ﷺ : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [البقرة : ٦١] وقال تعالى في شأن بني إسرائيل أيضًا ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

● وقال تعالى - والسياق يدل على أنه في شأن النصارى - : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ... - إلى قوله تعالى : - قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٥ - ٧٧] .

والثالث : ما ورد في قصة زيد بن عمرو بن نفيل لما خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئًا وأنَّى أستطيعه ؟!! ... الحديث ، وفيه فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال : لن تكون

على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ... الحديث[1].

❋ ❋ ❋

س : لماذا وصف اليهود بأنهم ﴿ مغضوب عليهم ﴾ والنصارى بأنهم ﴿ ضآلون ﴾ ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لأن اليهود تركوا العمل بالحق بعد معرفته كما قال الله تعالى : ﴿ فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٦ ، ٣٨٢٧) من طريق محمد بن أبي بكر قال : حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقُدِّمت إلي النبي سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكلُ إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكارًا لذلك وإعظامًا له ، قال موسى : حدثني سالم بن عبد الله – ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر – أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفِرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنى أستطيعه ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفِرُّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا وأنى أستطيع ؟!! فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم .

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ [البقرة : ٨٩ ، ٩٠] .

أما النصارى فهم ضُلَّال عن الحق(١).

وقد استفاض ابن القيم رحمه الله في شرح ذلك فقال في التفسير القيم ص ١١ (في بيانه تضمن الفاتحة لإثبات النبوات) :

الموضع الثامن : من ذكر المنعم عليهم ، وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة . لأن العبد إما أن يكون عالمًا بالحق ، أو جاهلًا به . والعالم بالحق إما أن يكون عاملًا بموجبه أو مخالفًا له . فهذه أقسام المكلفين . لا يخرجون عنها البتة . فالعالم بالحق العامل به : هو المنعم عليه . وهو الذي زكَّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح . وهو المفلح ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس :٩] والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه . والجاهل بالحق : هو الضال . والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل . والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل . فكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به . ومن ههنا كان اليهود أحقَّ به . وهو متغلظ في حقهم . كقوله تعالى في حقهم : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بَغْيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠]

(١) قال الشنقيطي رحمة الله (أضواء البيان ص ١/٣٧) : واليهود والنصارى وإن كانوا ضآلين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا فإن الغضب إنما خُصَّ به اليهود ، وإن شاركهم النصارى فيه لأنهم يعرفون الحق وينكرونه ويأتون الباطل عمدًا فكان الغضب أخص صفاتهم ، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق فكان الضلال أخص صفاتهم .

قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] . والجاهل بالحق : أحق باسم الضلال . ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب لا تَغْلُوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] فالأولى : في سياق الخطاب مع اليهود . والثانية : في سياقة مع النصارى . وفي الترمذي وصحيح ابن حِبَّان : من حديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اليهود مغضوب عليهم . والنصارى ضالون »[1] .

ففي ذكر المنعَم عليهم – وهم من عرف الحق واتبعه – والمغضوب عليهم – وهم من عرفه واتبع هواه – والضالين – وهم من جهله – : ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة . لأن انقسام الناس إلى ذلك هو الواقع المشهود . وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة وأضاف النعمة إليه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا حذف فاعل الغضب في قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : أجاب ابن القيم رحمه الله على ذلك إجابة واسعة فقال رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ١٢) :

وحذف فاعل الغضب لوجوه :

منها: أن النعمة هي الخير والفضل. والغضب من باب الانتقام والعدل . والرحمة تغلب الغضب ، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين،

---

(١) حسن بمجموع طرقه .

وأسبقهما وأقواهما . وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعم إليه . وحذف الفاعل في مقابلتهما[1]، كقول مؤمني الجن : ﴿ وأنا لا ندري أشَرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رَشَدًا ؟ ﴾ [الجن : ١٠] ومنه قول الخضِر في شأن الجدار واليتيمين : ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزهما ﴾ [الكهف : ٨٢] وقال في خرق السفينة : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ [الكهف : ٧٩] ثم قال بعد ذلك : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ [الكهف : ١٩] وتأمل قوله تعالى : ﴿ أحلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقوله : ﴿ حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [المائدة : ٤] ، وقوله : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم – ثم قال – وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ [النساء : ٢٣].

وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم . وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر . فكل الخلق في نعمة . وهذا فصل النزاع في مسألة : هل لله على الكافر من نعمة أم لا ؟ .

فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان . ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تَعدُّوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لَظلوم كَفَّار ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

والنعمة من جنس الإحسان ، بل هي الإحسان . والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر ، والمؤمن والكافر . وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه هو المنفرد بالنعم ﴿ وما بكم من نعمة

---

(١) ولا يطرد كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ، فقد قال تعالى : ﴿ قل هل أُنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ... الآية ﴾ [المائدة : ٦٠] .

فمن الله ﴾ [النحل : ٥٣] فأضيف إليه ما هو منفرد به . وإن أضيف إلى غيره فلكونه طريقًا ومَجْرًى للنعمة . وأما الغضب على أعدائه فلا يختص به تعالى ، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه . فكان في لفظة ﴿ المغضوب عليهم ﴾ بموافقة أوليائه له : من الدلالة على تفرده بالإنعام ، وأن النعمة المطلقة منه وحده ، هو المنفرد بها - ما ليس في لفظة « المنعم عليهم » .

الوجه الثالث : أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره ، وتصغير شأنه ، ما ليس في ذكر فاعل النعمة ، من إكرام المنعَم عليه والإشادة بذكره ، ورفع قدره : ما ليس في حذفه . فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه ، ورفع قدره ، فقلت : هذا الذي أكرمه السلطان ، وخلع عليه وأعطاه ما تمناه . كان أبلغ في الثناء والتعظيم من قولك : هذا الذي أُكرم وخلُع عليه وشُرف وأُعطي .

❋ ❋ ❋

س : هل ﴿ آمين ﴾ آية من سورة الفاتحة ؟

ج : « آمين » ليست آية من الفاتحة لأمور منها :

- عدم وجود دليل على أنها آية .
- عدم إثباتها في المصاحف[1].
- وقال صديق حسن خان في تفسيره[2] قيل : وليس من القرآن إجماعًا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف .

---

(١) وكذلك لم يتعرض عدد كبير من المفسرين لتفسيرها ، وهذا مما يدل على أنها ليست عندهم آية .

(٢) (فتح البيان ١/٥٥) .

● وإلى هذا إشار القرطبي رحمه الله[1] فقال : ويُسنُّ لقارىء القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتةٍ على نون (ولا الضآلين) : آمين ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن .

❋ ❋ ❋

س : هل (آمين) تقرأ بالمد أم بالقصر ؟ وهل يجوز أن تشدد الميم ؟

ج : حكى العلماء في (آمين) اللغتين المد أو القصر .

فقال بعضهم : هو بالمد على وزن فاعيل كياسين وقابيل وهابيل واستدلوا على ذلك بقول مجنون ليلى :

يارب لا تسلبني حبَّها أبدًا ويرحم الله عبدًا قـال آمينـا

أي : بالمد .

وقال آخرون : هو بالقصر على وزن يمين كما قال الشاعر[2] :

تباعـد مني فُطْحُـلٌ إذ سَأَلْتـهُ أمينَ فزاد اللَّهُ ما بيننا بُعدًا

● أما تشديد الميم فهو خطأ وقد نص على ذلك عدد من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (آمين) ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ - آمين معناها : اللهم استجب[3] (وهذا قول أكثر العلماء) .

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٨٩) .

(٢) قال صديق حسن خان (وقال جبير لما سأل فُطحلًا) ... فذكره .

(٣) وفي قولٍ : (اللهم اسمع لنا وتقبل واستجب) ، وفي قول : « لا تخيِّب رجاءنا » ، وفي ثالثٍ : (رب افعل) .

٢ – ومنها : أن معنى آمين : كذلك فليكن .

٣ – آمين : اسم من أسماء الله الحسنى . وقد قال بهذا بعض العلماء ولا دليل عليه .

٤ – قيل : وهو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآثام[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل التأمين ؟

ج : من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه »[(٢)] .

● وفي رواية : « إذا قال الإمام ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »[(٣)] .

● وأخرج مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيَّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال : « إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبَّر فكبِّروا ، وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا آمين يُجبكم الله ... »[(٤)] .

● وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين »[(٥)] .

---

(١) قال صديق حسن خان (فتح البيان ص٥٥) : رواه الطبراني عن عليٍّ بسند ضعيف .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٨١) ، ومسلم (ص٣٠٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٥) أخرجه ابن ماجة (حديث ٨٥٦) ، وابن خزيمة (حديث ٥٧٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨) بإسنادٍ حسن من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

س : هل يجب قول (آمين) في الصلاة ؟

ج : قول (آمين) في الصلاة مستحب لقول النبي ﷺ : « وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين »[1] .

وليس بواجب لقول النبي ﷺ : « اقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر معك من القرآن »[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل يُجهر بـ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يُسر بها ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يُجهر بآمين خلف الإمام في الصلاة الجهرية واستدلوا بأدلة منها :

الأول : أن النبي ﷺ كان يمد صوته بآمين[3] .

الثاني : قول النبي ﷺ : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم

= وله طرق أخرى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، وانظر مسند أحمد (١٣٥/٦) ، وسنن البيهقي الكبرى (٢/ ٥٦) .

وثمَّ طرق أخرى عن رسول الله ﷺ لكنها لا تخلو من مقال . انظر سنن ابن ماجة (٨٥٧)، وتاريخ بغداد (٤٣/١١)، وابن عدي في الكامل (٢٥٠/٣)، ومصنف عبد الرزاق (٩٨/٢).

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٧) ، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، ولفظه عند البخاري أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى فسلم على النبي ﷺ فردَّ وقال : « ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل » فرجع يُصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : « ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل (ثلاثًا) » فقال : والذي بعث بالحق ما أُحسن غيره فعلِّمني فقال : « إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ... » الحديث .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢٤٨) بإسناد صحيح من حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي ﷺ قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضآلين) فقال : آمين ومدَّ بها صوته .

قال أبو عيسى : حديث وائل بن حجر حديث حسن ، وبه يقول غير واحدٍ من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم ، يرون أن الرجل يرفع صوته =

على السلام والتأمين »[1] .

الثالث : أن أبا هريرة قال : للإمام لا تَفُتْنِي بآمين[2] .

الرابع : أن ابن الزبير صلى بالناس في المسجد فجهر بآمين فسمع للمسجد لُجة[3] بينما ذهب آخرون إلى أنه يُسر بآمين ، وذلك لأن معناها (عند الأكثر) اللهم استجب ، فعليه فهي دعاء والأصل في الدعاء الإسرار به ، والرأي الأول أقوى لكثرة الأدلة عليه ، ولأن الدعاء وإن كان الأصل فيه الإسرار إلا أن هذه صورة مستثناة منه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يُسمى المؤمِّن داعيًا ؟

ج : بعض أهل العلم يُسمي المُؤَمِّن داعيًا ، قال : لأن موسى عليه السلام كان يدعو على فرعون وجنده فيقول : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال : قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ [يونس : ٨٨ ، ٨٩] ، فقال هذا الفريق من أهل العلم : إن الدعاء ذكر عن موسى عليه السلام وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون كان يؤمِّن فنزل منزلة من دعا لقوله

= بالتأمين ولا يخفيها ، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق .

قلت : وأخرجه أيضًا أحمد في المسند (٣١٦/٤) ، وأبو داود (حديث ٩٣٢) وفي روايته ورفع بها صوته ، وغيرهم .

(١) إسناده حسن ، وتقدم .

(٢)(٣) أخرجهما البخاري معلقًا بصيغة الجزم (مع الفتح ٢٦٢/٢) باب جهر الإمام بالتأمين ، وفيه : وقال عطاء : آمين دعاء ، أمَّن ابن الزبير ومن وراءه حتى إن للمسجد لَلَجَّة ، وكان أبو هريرة ينادي الإمام : لا تفُتني بآمين .

وأخرجه موصولًا عبد الرزاق في المصنف بإسناد صحيح (٢٦٤٠) عن ابن جريج عن عطاء قال : قلت له : أكان ابن الزبير يؤمن على إثر أم القرآن ؟ قال : نعم ، ويؤمن من وراءه حتى إن للمسجد للجَّة ثم قال : إنما آمين دعاء ، وكان أبو هريرة =

تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ قالوا : فدل ذلك على أن من أمَّن على دعاءٍ فكأنما قاله ، وأيدوا ذلك بحديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يُعط أحدٌ قبلي إلا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيب لكم »[1].

***

س : هل يقول المأموم : ﴿ آمين ﴾ بعد انتهاء الإمام من قول : ﴿ آمين ﴾ أم يقولها بعد انتهاء الإمام من قول : ﴿ ولا الضالين ﴾ ؟ وضح ذلك بالأدلة ؟

ج : ذهب البعض إلى أن المأموم يقول : آمين بعد أن يقولها الإمام لعموم حديث « إنما جُعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ... الحديث »[2] والحديث « إذا أمَّن الإمام فأمنوا »[3] وهذا مذهب مرجوح ، والراجح أن المأموم يقول: ﴿آمين﴾ إذا قال الإمام ﴿ولا الضآلين﴾ وقد ورد ذلك صريحًا

= يدخل المسجد ، وقد قام الإمام قبله فيقول : لا تسبقني بآمين . وانظر أيضًا مسند الشافعي (ص ٥١) وابن أبي شيبة (المصنف ٤٢٧/٢) وسنن البيهقي الكبرى (٥٩/٢) وابن سعد (الطبقات ٢٦٦/٤) وتغليق التعليق (٣١٨/٢) .

(١) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن مردويه وليس بين يدي تفسير ابن مردويه إلا أنه باستقراء عدد من الأحاديث التي ساقها العلماء بأسانيدها وعزوها إلى ابن مردويه متفردًا بها رأينا أن الغالب عليها الضعف والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١١١٤) ، ومسلم (٤١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (سقط رسول الله ﷺ من فرسٍ فخُدِش – أو فجحش – شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى قاعدًا فصلينا قعودًا ، وقال « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبَّر فكبِّروا وإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد ») .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٨٠) ، ومسلم (حديث ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

في حديث النبي ﷺ الذي فيه « .. وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا : آمين يجبكم الله »[1].

وأيضًا حتى يتوافق تأمين الإمام مع تأمين المأمومين مع تأمين الملائكة فيغفر للمُؤمِّن بإذن الله .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا تترتب المغفرة للذنب في قول العبد ﴿ آمين ﴾ ؟

ج : تترتب مغفرة الذنوب على مقدمات جمعها حديث النبي ﷺ : « من وافق تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه » وهي :

١ – تأمين الإمام . ٢ – تأمين المأمومين . ٣ – تأمين الملائكة .
٤ – موافقة التأمين[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا وقد تقدم . وتقدم نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٧٨٢) مرفوعًا بلفظ : « وإذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا : آمين » .

(٢) والمراد بالموافقة لأهل العلم فيه أقوال منها : الموافقة في الإجابة وقيل : في الزمن . وقيل : في الصفة من إخلاص الدعاء ، والله أعلم .

سـورة البقـرة

س : اذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضل سورة البقرة ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة »[1].

● ومنها : ما أخرجه مسلم[2] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صواف تُحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة[3] » .

* * *

س : السور تتسمى ببعض ما فيها مثِّل لذلك ؟

ج : مثال ذلك : أن سورة البقرة ذُكرت فيها البقرة ، وسورة آل عمران ذُكر فيها آل عمران ، وسورة النساء ذكر فيها النساء وأحكام تتعلق بهن كثيرة ، وسورة المائدة ذكرت فيها المائدة وسورة الأنعام ذكرت فيها الأنعام ، وسورة الأعراف ذكرت فيها الأعراف ، وكذلك جُلُّ السُّورِ بل كلُّها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٨٠) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٤) .
(٣) البطلة هم السحرة .

س : سورة البقرة هل هي مكية أو مدنية ؟

ج : سورة البقرة : مدنية[1]، ويؤيد ذلك أمران :

الأول : أن الأنصار اختُصوا بأنهم أصحاب سورة البقرة وقد ناداهم العباس يوم حنين فقال : يا أصحاب سورة البقرة يا من بايع تحت الشجرة .

الثاني : الإجماع على كونها مدنية ، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يقال سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، أم يقال البقرة وآل عمران ؟

ج : الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنه لا بأس أن يقال البقرة وآل عمران ، وكذلك لا بأس أن يُقال سورة البقرة وسورة آل عمران ، والأمر في هذا واسع[2]، وقد تقدم أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا البقرة » .

- وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنًى عن يمينه ثم رمى ثم قال : هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة[3] .
- وقال العباس يوم حنين للأنصار : (يا أصحاب سورة البقرة) .

---

(١) واستثنى بعض العلماء من ذلك قوله تعالى : ﴿ ... واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

(٢) وقد ورد في هذا الباب **حديث ضعيف** فيه : « لا تقولوا سورة البقرة وسورة آل عمران ، ولكن قولوا السورة التي تُذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران ، وكذلك القرآن كله » .

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٥٨١/٣) ، ومسلم (مع النووي ٤٢/٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما رمى الجمرة ...... ثم قال : من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١)

الٓمٓ ﴿١﴾ (٢)

* * *

(١) تقدم الكلام على ما يتعلق بالبسملة في تفسير سورة الفاتحة فليراجعه من شاء .

(٢) وعلى سبيل الاختصار : هي أحرف لا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالى .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قول الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة : ١] والحروف التي في أوائل السور ؟

ج : ابتداءً فعلى وجه الإجمال للعلماء اتجاهان في تأويلها :

● فمنهم من يقول : إن (الٓم) ونحوها من الحروف التي بُدئت بها السور ، أحرفٌ لا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالى ، فلا نخوض في تأويلها ما دام لم يرد في تأويلها شيءٌ صريح من كتاب الله أو من سُنَّةِ رسول الله ﷺ .

● ومن العلماء من يقول : بل لنا أن نفسرها ونلتمس ما فيها من المعاني وأوجه التأويل فهي من القرآن ، وقد أمرنا الله عز وجل بتدبره وفهمه ، وقد نزل القرآن بلغة العرب كما قال سبحانه : ﴿ إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف:.٢] وقال تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقد استعملت العرب الحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات(١).

ثم إن أهل هذا القول الأخير التمسوا لها جملة تأويلات نورد منها ما يلي :

الأول : أن هذه الأحرف المقطعة التي في أوائل السور فيها اسم الله الأعظم لكننا لا ندري كيف يتألف منها اسم الله الأعظم .

الثاني : أنها سيقت للتحدي فكأن المعنى ألف ولام وميم أحرف ليست بغريبةٍ عليكم معشر العرب مدعي الفصاحة والبلاغة ، وأنتم تعرفون هذه الأحرف وتقرءونها ، وقد ألفنا القرآن منها ، ومع أنكم تعرفونها وتقرءونها إلا أنكم لا تستطيعون الإتيان بقرآن مثل هذا القرآن ولا تأليف ولو آية واحدة من مثله .

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره (المحرر) : والصواب ما قاله الجمهور أنها تُفسَّر ويلتمس لها التأويل لأنَّا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات .

ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم ، بأن الله عز وجل قال عقب ﴿ الٓمٓ ﴾ : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ١، ٢]، وعقب ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ بقوله تعالى : ﴿ كتاب أنزل إليك ﴾ [الأعراف : ١ ، ٢] ، وعقب قوله تعالى : ﴿ الٓر ﴾ بقوله تعالى : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ [فصلت : ١، ٢] ونحوها من الآيات .

الثالث : أن هذه الأحرف دالة على أسماء أُخذت منها وحذفت بقيتها ، أي : أنها رموز تستعملها العرب في كلامها[1] . فروي عن البعض أنهم قالوا : الألف من[2] الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد .

● ومنهم من قال في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: الألف تؤدي (أنا) واللام (الله) والميم (أعلم) فمعنى ﴿الٓمٓ﴾ عندهم: أنا الله أعلم، ومعنى ﴿الٓمٓصٓ﴾: أنا الله أفصل.

الرابع : قال بعض العلماء : هي أسماء للسور ، قال الزمخشري[3] : وعليه إطباق الأكثر ، ويعتضد بما روي في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾[4] .

الخامس : قال بعض العلماء : هي أقسام[5] أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها ، ووجه هذا الكلام أن إنسانًا لو أقسم فقال : والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديدًا ، وتكون (لا) جواب القسم .

السادس : ذهب بعض أهل العلم إلى أن الجمع بين هذه الأقوال ممكن

(١) وهذه واضحة في سؤال مستقل .

(٢) (من) أي : من لفظ الجلالة ، وكذلك (من جبريل) أي : اللام من اسم جبريل ، والميم من اسم محمد .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٣/١) .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٧٧/٢) ، ومسلم (مع النووي ١٦٨/٦) .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (٥٢) ، والطبري (٢٣٧) بإسناد صحيح عن عكرمة قال : (الٓمٓ) قسم .

فهي أسماء للسور ، وأسماء الله تعالى يفتتح بها السور (كسورة الرحمن) مثلًا ، فكل حرف دال على اسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم بأن الكلمة الواحدة قد يُراد بها عدة معانٍ كلفظ الأُمة مثلًا يطلق أحيانًا ويُراد به (**الدِّين**) كما في قول المشركين: ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وإن هذه أمتكم ﴾ [المؤمنون : ٥٢] ، ويطلق ويراد به (**الجماعة من الناس**) كما في قوله تعالى : ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ [القصص : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا ﴾ [النحل : ٣٦] ويطلق ويُراد به (**الحين**) كما في قوله تعالى : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمة ﴾ [يوسف : ٤٥] أي : بعد حين[١] ، وتطلق ويراد بها **الرجل الحنيف العاقل** ، كما قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ [النحل : ١٢٠] .

وقد اعترض على هذا التمثيل هنا – بمعنى أنه اعترض على جعل لفظ الأمة مشابهًا للفظ ﴿ آلم ﴾ من ناحية إطلاق الكلمة على عدة معانٍ ، فإن الأمة إنما دلت على معنى معين للوضع الذي سيقت فيه ، أما ﴿ آلم ﴾ فالموضع فيها واحد فكيف تتعدد معانيها في هذا الموضع الواحد ؟؟!! .

قلت : وإجمال القول في هذا المقام : أن هذه الأحرف لم يرد في تأويلها شيء صحيح من المعصوم ﷺ فيما علمنا ، ولم يُجمع العلماء في تأويلها على وجهة معينة ، وإنما اختلفوا كما رأيت وتعددت أقوالهم ، فالأمر على ما ذكره بعض أهل العلم حيث قالوا : فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) على قول لبعض العلماء .

س : ما هو مجموع الحروف المقطعة المذكورة في أوائل السور ؟ وما هي هذه الأحرف ؟

ج : عددها (أربعة عشر حرفًا) وهي ا لِ م ص ر ك هـ ى ع ط س ح ق ن[1] ، يجمعها قولهم : **(نص حكيم قاطع له سر)** .

❋ ❋ ❋

س : هل تكلمت العرب بالحروف المقطعة ؟

ج : ورد ذلك في بعض أشعارهم ، واستدل له بعض العلماء بحديث رسول الله ﷺ : « من أعان على قتل مسلمٍ ولو بشطر كلمة ... »[2] قال بعض العلماء : هو أن يقول في (اقتل) : اقْ ، أما الأشعار في ذلك فمنها :

فقلت لها قفي فقالت قاف

أي : قالت : (وقفت) .

ومنه الشعر الذي نقل عن زُهير :

بالخير خيرات وإن شرًّا فَا   ولا أريد الشر إلا أنْ تا

أراد : وإن شرًّا فشرٌّ ، وأراد : إلا أن تشاء .

ومنه قول الشاعر :

نادوهم ألا الجِمُوا ألا تا   قالوا جميعًا كلهم ألا فَا

---

(١) قال الرازي رحمه الله تعالى (١١/٢) : هذه الفواتح جاءت مختلفة الأعداد فوردت (ص ، ق ، ن) على حرف ، (طه ، طس ، يسٓ ، حم) على حرفين ، (آلم ، آلر ، طسم) على ثلاثة أحرف ، (آلمص ، وآلمر) على أربعة أحرف ، (كهيعص ، حم عسق) على خمسة أحرف ، والسبب فيه أن أبنية كلماتهم على حرفٍ وحرفين إلى خمسة أحرف فقط فكذا ههنا .

(٢) ضعيف جدًّا وقد حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع وقد أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠) ، والبيهقي (٢٢/٨) وفيه يزيد بن زياد الدمشقي وهو متروك .

يريد بقوله : (ألا تا) ألا تركبون ، وبقوله : (ألا فا) أي : فاركبوا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد عن النبي ﷺ شيء في فضل ﴿ الم ﴾ ؟

ج : لا أعلم شيئًا في هذا الباب عن رسول الله ﷺ إلا قوله : « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ولا أقول : ﴿ الم ﴾ حرف ولكن (ألف) حرف ، و (لام) حرف ، و (ميم) حرف »[1].

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذكرت الحروف المقطعة أوائل السور[2]، ولماذا كُررت ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● **منها :** أنها أوردت ليُعرف بها أوائل السور ، ويفصل به بين السورة والسورة التي تليها .

وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذا القول بقوله : وهذا ضعيف ، لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه ، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة .

● **ومنها :** أنها بُدىء بها لتفتح بها أسماع المشركين إذا تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تُلي عليهم المؤلف منه .

وضعف الحافظ ابن كثير هذا من وجوه :

أولها : أن الأمر لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور ولا يكون في بعضها دون بعض ، بل غالبها ليس كذلك[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٢٢٦/٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن وقد أُعلّ بالوقف ويبدو لي أنه الصواب ولكن على كل حال فيظهر لي أن له حكم الرفع والله تعالى أعلم .

(٢) ليس السؤال عن معاني الحروف المقطعة .

(٣) أي : غالب السور لم تبدأ بالحروف المقطعة .

الثاني : لو كان الأمر على ما ذكر من أن أسماع المشركين تفتح عند سماع هذه الأحرف لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .

الثالث : أن هذه السورة (البقرة) مدنية فليست خطابًا للمشركين .

● ومنها أن هذه الأحرف ذكرت في أوائل السور بيانًا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الأحرف المقطعة التي يتخاطبون بها .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية .

قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال : وجاء منها على حرف واحد كقوله :- ص ن ق - وحرفين مثل ﴿ حم ﴾ وثلاثة مثل ﴿ الم ﴾ وأربعة مثل ﴿ المر ﴾ و ﴿ المص ﴾ وخمسة مثل ﴿ كهيعص - و - حم عسق ﴾ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك (قلت :) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ﴾ [آل عمران : ١، ٢] ﴿ المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ [الأعراف: ١، ٢]

﴿ الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ﴾ [إبراهيم : ١ ، ٢] ﴿ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [السجدة : ١، ٢] ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ [فصلت : ١، ٢] ﴿ حم * عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ [الشورى : ١ - ٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر ، والله أعلم .

***

س : كم سورة افتتحها الله سبحانه وتعالى بالحروف المقطعة ؟ وما هي باختصار ؟

ج : افتتح الله عز وجل تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة وهذه السور هي :

﴿ الٓمٓ ﴾ سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة .

وبقوله عز وجل : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ الأعراف .

وبقوله عز وجل : ﴿الٓر﴾ سُوَرَ يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحِجْر .

وبقوله عز وجل : ﴿ الٓمٓر ﴾ الرعد .

وبقوله عز وجل : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ مريم .

وبقوله عز وجل : ﴿ طه ﴾ سورة طه .

وبقوله عز وجل : ﴿ طسٓمٓ ﴾ الشعراء والقصص .

وبقوله عز وجل : ﴿ طسٓ ﴾ النمل .

وبقوله عز وجل : ﴿ يسٓ ﴾ سورة يسٓ .

وبقوله عز وجل : ﴿ صٓ ﴾ سورة صٓ .

وبقوله عز وجل : ﴿ حمٓ ﴾ سُوَر غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

وبقوله عز وجل : ﴿ حمٓ . عٓسٓقٓ ﴾ الشورى .

وبقوله عز وجل : ﴿ قٓ ﴾ سورة قٓ .

وبقوله عز وجل : ﴿ نٓ ﴾ سورة القلم .

* * *

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

الكلمة	معناها
لا ريب فيه	لا شك فيه

❋ ❋ ❋

س : (ذلك) ، (تلك) تستعملان للإشارة إلى الغائب ، فلماذا عبر في هذه الآية الكريمة بلفظ ﴿ذلك الكتاب﴾ [البقرة: ٢]، ولم يُقل (هذا الكتاب)؟

ج : (ذلك) ، و (تلك) وإن وضعتا للإشارة إلى الغائب ، وهذا وضعت للإشارة إلى حاضر ، إلا أن الوضع قد ينعكس أحيانًا فتستعمل (ذلك) بمعنى (هذا) والعكس ، أي : أن (ذلك) ، و (تلك) تستعملان للحاضر أيضًا ، و (هذا) تستعمْل للغائب أيضًا .

● فمن استعمال ذلك للإشارة إلى حاضر قوله تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴾ [السجدة : ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي ﴾ [الشورى : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ [البقرة : ٢٥٢].

● أما مجيء هذا بمعنى (ذلك) فمنه قوله عليه السلام : « عُرض عليَّ قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر »[1] أي : ذلك البحر فعلى هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨ و ٢٧٨٩) ، والنسائي (٦/٤٠ - ٤١) ، ومسلم (حديث ١٩١٢) ، وأبو داود (٢٤٩٠)، والترمذي (١٦٤٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (٢٧٧٦) واللفظ للبخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت[1] عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت : فقلت وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ... » الحديث .

---

(١) يعني : أنها كانت زوجته .

(ذلك) قد تأتي بمعنى (هذا) ، و (هذا) قد تأتي بمعنى (ذلك) ، فمن الممكن إذن أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي : هذا الكتاب ، ومن الممكن أن تكون (ذلك) على بابها من أنها إشارة إلى الغائب على ما سيأتي بيانه – إن شاء الله تعالى – في السؤال التالي .

* * *

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ٢] ، وما المراد بالكتاب ؟

ج : ﴿ ذلك ﴾ معناها هنا (هذا)[١] أما الكتاب ، فعلى الصحيح من أقوال العلماء أن المراد به القرآن[٢]، والله أعلم .

---

(١) صح عن عكرمة رحمه الله (عند ابن أبي حاتم ٥٣) والطبري (٢٤٨) أن ﴿ ذلك الكتاب ﴾ معناه : هذا الكتاب .

● وبعض العلماء يقولون : (استعمل ذلك) لما تفيده الإشارة بلام البعد عن علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن ، والله أعلم .

● وبعض أهل العلم يقولون : (ذلك) إشارة إلى ما تقدم وهو قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ وكون ذلك تأتي وفيها إشارة إلى ما تقدمها فهذا وارد كما في قوله تعالى : ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ [البقرة : ٦٨] أي : بين الفارض والبكر ، وقال تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [الممتحنة : ١٠] إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] وكذلك قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ﴾ [الشورى : ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ ، [يوسف : ٥٢] وكقوله تعالى : ﴿ ذلكم أزكى لهم وأطهر ﴾ [البقرة : ٢٣٢] إشارة إلى ما تقدمه ، والله تعالى أعلم .

(٢) هذا على الصحيح من أقوال العلماء **أن المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ هو القرآن** ، ولكن هناك أقوال أخر للعلماء نورد بعضها :

● **الأول من هذه الأقوال** أن المراد بالكتاب هو المكتوب على الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كتب الله مقادير الخلائق =

= قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[1]، وهذا يحوي ما كتب على الخلائق من السعادة أو الشقاء والأجل والرزق وغير ذلك .

الثاني : أنه الكتاب الذي كتبه الله عز وجل على نفسه : « إن رحمتي تغلب غضبي »[2] .

الثالث : أنه الكتاب الذي وعد الله به نبيه ﷺ وفيه : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ... »[3] الحديث وفيه : « وإني منزل عليك كتابًا لا يغسله الماء ».

الرابع : أن ﴿ ذلك الكتاب ﴾ المراد به : التوراة والإنجيل ، و ﴿ الٓمٓ ﴾ المراد به : القرآن وهو اسم من أسمائه ، فكأن المعنى على هذا الوجه : هذا القرآن هو ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل ، يعني : أن التوراة والإنجيل يشهدان بصحته ، أو المعنى أن هذا الكتاب جامع لما في الكتابين التوراة والإنجيل .

الخامس : أن ذلك الكتاب إشارة إلى القرآن الذي في السماء ولم ينزل بعد .

السادس : أن ذلك الكتاب إشارة إلى الكتاب الذي وُعد به أهل الكتاب ووعدوا به المشركين من أهل المدينة ، وكانوا يستفتحون به عليهم .

وثمَّ أوجه أُخر أقواها ما قدمناه أولًا وهو أن المراد بالكتاب القرآن ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٤ ، ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢) ، وفي غير موطن من صحيحه ، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا » .. فذكر الحديث وفيه : وقال : « إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان ... » الحديث .

س : وضح المعنى اللغوي للكتاب[1] ؟

ج : الكتاب مصدر من كتب يكتب إذا جمع ، وقيل للكتيبة كتيبة لاجتماعها ، وتكتبت الخيل صارت كتائب ، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفري رحمها بحلقةٍ أو سير .

قال الشاعر :

لا تأمنن فـزاريـًّا حللـت بـه   على قلوصك واكتبها بأسيار

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ لا ريب ﴾ [البقرة : ٢] ؟

ج : معناها (لا شك)[2].

❋ ❋ ❋

س : هل يطلق الريب على غير الشك ؟

جـ : نعم يطلق الريب على غير الشك أحيانًا ، لكن المراد بالريب في الآية الكريمة الشك ، فـ ﴿ لا ريب فيه ﴾ معناها (لا شك فيه) ،أما إطلاق الريب على غير الشك ، فذكر بعض أهل العلم أن **الريب يطلق على التهمة** ومنه قول الشاعر :

بثينة قالت يا جميل أربتني   فقلت كلانا يا بثين مريب

---

(١) والكتاب يرد شرعًا ويراد به القرآن ، ويراد به غيره كذلك .
وقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] فُرض ، وقوله تعالى : ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ [الصافات : ١٥٧] قيل برهانكم وقيل غير ذلك ، وقوله : ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ [الرعد: ٣٨] أي : وقعت كتب عليه أن يموت فيه والمكاتبة بين العبد وسيده كتاب قال تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا ﴾ [النور : ٣٣] إلى غير ذلك ، والله أعلم .

(٢) قال ابن أبي حاتم في التفسير – (عقب أثر ٥٥) عن أبي الدرداء قال : الريب يعني الشك من الكفر –: ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين منهم ابن عباس وسعيد بن جبيرٍ وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء بن أبي رباح وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان والسدي وإسماعيل بن أبي خالد .

ويطلق الريب **أيضًا على الحاجة** ، واستدلوا بقول الشاعر :

قضينا من تهامة كل ريب   وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

***

س : ما هو الشك المنفي في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾؟

ج : الشك المنفي : هو الشك في كون القرآن من عند الله ، فالمعنى : ذلك الكتاب لا شك في أنه من عند الله سبحانه وتعالى ، وهو كقوله عز وجل : ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [السجدة : ٢] ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة: ٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – **هذا الكتاب لا شك في أنه من عند الله** ، ولبعض العلماء أقوال أُخر منها :

● لا شك فيه أنه هدى للمتقين .

● بعض العلماء يقول : هذا نفي معناه النهي ، والمعنى لا ينبغي لأحدٍ أن يشك فيه ولا يرتاب في أنه من عند الله والنفي يرد ، ومعناه النهي كما في قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٦٧] أي : لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج .

● ويأتي الخبر ومعناه الأمر كذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] – أي: أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم ، على وجه لبعض المفسرين ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض أسماء (الكتاب العزيز) ؟

ج : من هذه الأسماء . **(القرآن)** ، قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف : ٣] ، وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ [الإسراء : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ [الواقعة : ٧٧] ، إلى غير ذلك من الآيات .

● **ومنها الكتاب** قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ [ص : ٢٩] .

● **ومنها الفرقان** قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● **ومنها الذكر** قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جآءهم وإنه لكتاب عزيز﴾ [فصلت : ٤١].

● **ومنها (حبل الله)** قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلى غير ذلك ، وقد بلغ الرازي رحمه الله تعالى بهذه الأسماء إلى اثنين وثلاثين اسمًا لكنه أدخل الصفات في الأسماء ولا يسلم له أكثر ما ذكره ، والله أعلم .

* * *

س : الهدى في قوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] من أي أقسام الهداية ؟

ج : سبق بيان أن الهداية قسمين هداية دلالة ، وهداية توفيق أما الهداية في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ فمعناها - والله أعلم - ينتظم المعنيين جميعًا فيدخل فيها هداية الدلالة وهداية التوفيق ففي هذا الكتاب رشد وبيان ودلالة وتوفيق للمتقين ، والله تعالى أعلم .

س : لماذا خصت الهداية بالمتقين مع أن هذا الكتاب فيه هدى للخلق أجمعين كما قال تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : إذا أريد بالهداية هداية التوفيق فلا إشكال فالكتاب فيه توفيق للمتقين ولا يوفق به أهل الكفر والضلال .

أما إذا أُريد بالهداية هداية الدلالة فصحيح أن في الكتاب العزيز (هداية للناس) ولكن منهم من ينتفع بها ومنهم من لا ينتفع كما قال الله سبحانه في شأن ثمود الذين لم ينتفعوا بالهداية : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧]. فخص المتقون بالهداية دون غيرهم لأنهم المنتفعون بها كما قال الله عز وجل : ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ [النازعات : ٤٥] وقد كان النبي ﷺ منذر للناس أجمعين (مسلمهم وكافرهم) .

وقيل أراد المتقين والكافرين[١] لكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال تعالى : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل : ٨١] أي وتقيكم البرد ، ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من أي شيء أخذت التقوى ؟ ومن هم المتقون ؟

ج : التقوى مأخوذة من الاتقاء بما تجعله من حاجز بينك وبين ما تتقيه ومنه قول البراء بن عازب رضي الله عنهما : (كنا والله إذا احمر البأس[٢] نتقي به[٣] وإن الشجاع منا للذي يحاذي به – يعني النبي ﷺ)[٤].

---

(١) وهذا يتأتى إذا فسرت الهداية بالدلالة .
(٢) احمر البأس : اشتد الحرب .
(٣) أي جعلناه حاجزًا بيننا وبين العدو .
(٤) أخرجه مسلم (ص١٤٠١) .

● **وقال القرطبي :** وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُبيًّا =

● ومنه قول الشاعر :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

= رضي الله عنه عن التقوى فقال : (هل أخذت طريقًا ذا شوك ؟ قال : نعم قال : فما عملت فيه ؟ قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى) .

قلت : (مصطفى) عفا الله عنه لم يسعفني الوقت للوقوف على إسناده .

قال القرطبي رحمه الله : وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه :

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
وكن كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال الرازي رحمه الله تعالى : واعلم أن التقوى هي الخشية ، قال في أول النساء : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ [النساء : ١] ومثله في أول الحج ، وفي الشعراء : ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴾ [الشعراء : ١٠٦] يعني : ألا تخشون الله ، وكذلك قال هود وصالح ، ولوط ، وشعيب لقومهم ، وفي العنكبوت قال إبراهيم لقومه : ﴿ اعبدوا الله واتقوه ﴾ [نوح : ٣] يعني :اخشوه ، وكذا قوله : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة: ٤٨] واعلم أن حقيقة التقوى وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن ، والغرض الأصلي منها الإيمان تارة ، والتوبة أخرى والطاعة ثالثة ، وترك المعصية رابعًا والإخلاص خامسًا أما الإيمان فقوله تعالى : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ [الفتح : ٢٦] أي : التوحيد ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ [الحجرات : ٣] وفي الشعراء : ﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ [الشعراء : ١١] أي : ألا يؤمنون وأما التوبة فقوله : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ﴾ [الأعراف : ٩٦] أي : تابوا ، وأما الطاعة فقوله في النحل : ﴿ أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل: ٢] وفيه أيضًا ﴿ أفغيرالله تتقون ﴾ [النحل : ٥٢] وفي المؤمنين ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥٢] وأما ترك المعصية فقوله : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله ﴾ [البقرة : ١٨٩] أي : فلا تعصوه ، وأما الإخلاص فقوله في الحج : ﴿ فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج: ٣٢] أي : من إخلاص القلوب ، فكذا قوله : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ [البقرة: ٤١] واعلم أن مقام التقوى مقام شريف قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين =

وقال آخر :

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومِعصم

● أما من هم المتقون ففيهم أقوال لأهل العلم ، نورد منها ما يلي :

● قال بعض العلماء: إن المتقين هم الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبته.

● وقيل : هم قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان[1] وبرئوا من النفاق .

● وقيل : هم قوم تركوا ما لا بأس به حذرًا مما به البأس[2].

● وقيل: هم من وصفهم الله عز وجل بقوله[3]: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٣ ، ٤] .

= هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] وقال : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣] وعن ابن عباس قال عليه السلام : « من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده » وقال علي بن أبي طالب : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة . قال الحسن : التقوى أن لا تختار على الله سوى الله ، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله . وقال إبراهيم بن أدهم : التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيبًا ، ولا الملائكة في أفعالك عيبًا ولا ملك العرش في سرك عيبًا . وقال الواقدي : التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق . ويقال : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ويقال : المتقي من سلك سبيل المصطفى ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب الحرام والجفا . ولو لم يكن للمتقي فضيلة إلا ما في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ كفاه ، لأنه تعالى بيّن أن القرآن هدى للناس في قوله : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ثم قال ههنا في القرآن : إنه هدى للمتقين ، فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقيًا كأنه ليس بإنسان .

(١) قال ابن عطية : وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق .

(٢) أي : تركوا بعض المباحات خشية الوقوع في المحرمات .

(٣) صح هذا القول عن قتادة عند ابن أبي حاتم في التفسير (٦٤) ، والطبري (٢٦٥).

● وقيل : التقي هو الخائف .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره :

وأَوْلى التأويلات بقول الله جل ثناؤه : ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، تأويلُ من وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقُوا الله تَبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه ، فتجنبوا معاصيَه ، واتَّقوْه فيما أمرهم به من فرائضِه ، فأطاعوه بأدائها . وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وصَفهم بالتقوَى ، فلم يحصُرْ تقواهم إياه على بعضٍ ما هو أهلٌ له منهم دون بعض فليس لأحد من الناس أن يحصُر معنى ذلك على وَصْفهم بشيء من تَقوى الله عز وجل دون شيء إلا بحجة يجبُ التسليمُ لها . لأن ذلك من صفة القوم ، لو كان محصورًا على خاص من معاني التقوى دون العامِّ منها ، لم يدعِ الله جل ثناؤه بيانَ ذلك لعباده : إما في كتابه ، وإما على لسان رسوله ﷺ ، إذْ لم يكن في العقل دليلٌ على استحالة وصفهم بعموم التقوى .

فقد تبيَّن إذًا بذلك فسادُ قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتَّقَوُا الشرك وبرئوا من النِّفاق . لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسقٌ غيرُ مستَحِق أن يكون من المتقين ، إلا أن يكون – عند قائل هذا القول – معنى النفاق : ركوبُ الفواحش التي حَرَّمها الله جل ثناؤه ، وتضييعُ فرائضه التي فرضها عليه . فإن جماعةً من أهلِ العلم قد كانت تسمِّي من كان يفعل ذلك منافقًا . فيكون – وإن كان مخالفًا في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم – مصيبًا تأويلَ قول الله عز وجل : ﴿ للمتقين ﴾ .

***

س : أوصى الله عز وجل عباده بالتقوى في جملة آيات ، اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات . قوله تعالى : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ [النساء : ١٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها .. ﴾ الآية [النساء : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ [الحج : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [الحشر : ١٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ٢] .

* * *

س : اذكر بعض منافع التقوى المستنبطة من كتاب الله عز وجل ؟

ج : من منافعها ما يلي :

● الهداية لصاحبها قال تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] .

● نصرة الله لصاحبها قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ [النحل : ١٢٨] .

● تولي الله عز وجل لصاحبها قال الله تعالى : ﴿ والله ولي المتقين ﴾ [آل عمران : ٧٦] .

● إبعاد الحزن عن صاحبها في الآخرة قال الله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] .

● المخرج من الكرب والغم قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ﴾ [الطلاق : ٢] .

● الرزق قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢] .

● محبة الله عز وجل لصاحبها قال تعالى : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ [التوبة : ٤] .

● البصيرة والمغفرة قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

● تيسير الأمور قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

● تعظيم الأجر وتكفير السيئات قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ﴾ [الطلاق : ٥] .

● قبول العمل قال الله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [المائدة : ٢٧] .

● الفلاح قال الله تعالى: ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

● البشرى قال الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٣ ، ٦٤] .

● دخول الجنة قال الله تعالى : ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ [القلم : ٣٤] .

● النجاة من النار قال الله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم: ٧٢] .

* * *

س : اذكر بعض البواعث على التقوى ؟

ج : من البواعث على التقوى ما يلي[1]:

١ – خوف عقاب الله عز وجل (سواء العقاب الأخروي أو العقاب الدنيوي) .

٢ – رجاء الثواب (الثواب في الآخرة أو في الدنيا) .

٣ – خوف الحساب .

٤ – الحياء من نظر الله عز وجل (وهو مقام المراقبة) .

٥ – الحياء من الملائكة .

٦ – الشكر على نعم الله عز وجل بطاعته .

٧ – العلم لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٨ – تعظيم الله عز وجل (وهو مقام الهيبة) .

٩ – صدق المحبة[2]، وقد قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض الآيات التي تفيد أن المنتفعين بهذا القرآن هم (المؤمنون والمتقون) دون غيرهم ؟

ج : نورد من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

---

(١) ذكر ذلك بعض أهل العلم .

(٢) وقد أحسن القائل إذ يقول :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقد قال غيره :

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لو كان يظن الموت من ظمأ ... وقلت قفي عن ورود الماء لم يرد

ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

● قوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

● وقوله تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ [فصلت : ٤٤] .

● وقال تعالى في شأن اليهود : ﴿ وليزيدن كثيرًا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا ﴾ [المائدة : ٦٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس : ٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
يؤمنون – ينفقون – يوقنون – رزقناهم – على هدى من ربهم – المفلحون ؟

ج :

الكلمة	معناها
يؤمنون	يُصدِّقون
ينفقون	يُخرجون
يوقنون	يعلمون ويتيقنون ، واليقين هو ما حصلت به الثقة
رزقناهم	أعطيناهم
على هدى من ربهم	على نورٍ وتوفيق من ربهم واستقامة على ما جاءهم به بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم
المفلحون	المفلح هو من فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الإيمان لغة وشرعًا ؟

ج : أما الإيمان لغة فمعناه : التصديق ، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف : ١٧] وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ﴾ [يونس : ٨٣] .

ويزاد عليه شرعًا : القول والعمل ، فالإيمان شرعًا تصديق وقول وعمل .

● والإيمان كذلك هو ما ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... فذكر الحديث وفيه: « فأخبرني عن الإيمان ، قال[1]: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه ... »[2] فذكر الحديث .

* * *

س : كلمة (مؤمن) تتعدى لمفعولها بماذا ؟

ج : تتعدى بالباء ، وباللام .

● أما تعديها بالباء فكما في قول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] .

وتعديها باللام فكما في قوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى ﴾ [يونس: ٨٣].

وكما في قول اليهود لبعضهم : ﴿ ... ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

* * *

---

(١) أي : قال رسول الله ﷺ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم (٨) .

س : اذكر دليلًا على أن الأعمال من الإيمان ؟

ج : من الأدلة على ذلك : قول النبي ﷺ : « الإيمان بضع وستون - وفي رواية بضع وسبعون - شعبة والحياء شعبة من الإيمان » أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفي رواية لمسلم : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالغيب في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها أن الغيب كل ما غاب عن العباد ، وأخبر به الرسول ﷺ فيدخل فيه الإيمان بالملائكة والكتب المتقدمة وكذلك الرسل المتقدمون واليوم الآخر والجنة والنار[3] ولقاء الله عز وجل، وكل ما ذكر في القرآن من الغيوب.

● ومنها أن المراد بالإيمان بالغيب الإيمان بالقدر .

● بعض العلماء يقولون : إن ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ هم الذين آمنوا برسول الله ﷺ ولم يروه .

● ومن العلماء من يُدخل في الإيمان بالغيب الإيمان بالله عز وجل باعتبار أننا لا نرى الله سبحانه وتعالى ، وإلا فقد قال الله سبحانه : ﴿ فلنقصن عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٩) ، ومسلم (حديث ٣٥) .

(٢) أخرجها مسلم (ص٦٣) .

(٣) روى الطبري (٢٧٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال : آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب .

بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧] .

● ونحا بعض أهل العلم منحًى آخر فقالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ : يؤمنون في حال غيبهم أي : باطنًا كما يؤمنون ظاهرًا فيؤمنون بقلوبهم كما يؤمنون بألسنتهم ، فيفارقوا أهل النفاق الذين يؤمنون بألسنتهم وقلوبهم منكرة وهم مستكبرون .

هذا وقد أورد ابن عطية رحمه الله تعالى نحو هذه الأقوال[1] ثم قال : وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها ، والغيب في اللغة ما غاب عنك من الأمر ، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : أما القيام على الشيء فهو المداومة عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾[2] [آل عمران : ٧٥] وقوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٠٠) .

● وقال ابن العربي رحمه الله تعالى :

(التنقيح) إذا تأمَّل اللبيبُ المنصِفُ هذه التوجيهات تحقَّقَ أن الصحيحَ المراد بقوله : ﴿ يُؤْمنون بالغيب ﴾ كلُّ غَيْبٍ أخبر به الرسولُ ﷺ أنه كائن .

وقوله : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ عامٌّ في كل صلاة فَرْضًا كانت أو نَفْلًا .

وقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ عامٌّ في كلِّ نفقة ، وليس في قوَّة هذا الكلام القضاء بفرضيَّة ذلك كلِّه ، وإنما عَلِمْنَا الفرضيَّة في الإيمانِ والصلاة والنفقة من دليل آخر ، وهذا القولُ بمطلقه يقتضي مَدْح ذلك كله خاصة كيفما كانت صِفَته .

(٢) ما دمت مستمرًّا في مطالبته بالدين الذي عليه ، وسيأتي في آل عمران إن شاء الله .

● نقل القاسمي في محاسن التأويل عن الراغب قوله : إقامة الصلاة توفية حدودها وإدامتها ، وتخصيص الإقامة تنبيه على أنه لم يُرد إيقاعها فقط ، ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظ نحو ﴿ أقم الصلاة ﴾ [هود : ١١٤]، وقوله : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ [النساء : ١٦٣] و ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ [المائدة : ٥٥] ، =

من أهل الكتاب أمة قائمة ..﴾ [آل عمران : ١١٣] وقول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله »(١) .

● أما المراد بإقامة الصلاة فالمحافظة عليها وأداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها ، وكذلك ملازمتها جماعة في الفرائض ، والإكثار من النوافل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ ؟

ج : المراد بالدرجة الأولى الصلوات الخمس التي كتبها الله عز وجل على العباد وذكرت الصلوات الخمس بلفظ المفرد ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ كما في قوله تعالى : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ٢١٣] أي : الكتب .

ويلتحق بالفرائض النوافل أيضًا عند أهل التقى والفضل وإن لم تكن واجبة ، والله أعلم .

* * *

س : ما حكم إقامة الصلاة (التي هي عقب الأذان) ؟ وهل على تاركها إعادة ؟

ج : إقامة الصلاة سنة عند الجمهور ، ولا إعادة على تاركها ؛ لأن النبي ﷺ قال في شأن الصلاة : « تحريمها التكبير »(٢) فعليه لا صلة للإقامة

= ولم يقل المصلي إلا في المنافقين ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] .. وذلك تنبيه على أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل . انتهى .
قلت (مصطفى) : وهذا يحتاج مني إلى مزيد تحرير ، والله المستعان .

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٣/١ ، ١٢٩) ، الترمذي (٣٧/١) ، وأبو داود (٤٩/١)، =

بصحة الصلاة أو بطلانها ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالأذانين في حديث رسول الله ﷺ « بين كل أذانين صلاة » ؟

ج : المراد الأذان والإقامة ، والعرب تطلق على الشيء إذا اقترن بشيء آخر اسم الشيء الآخر إذا غلب عليه (أي : على سبيل التغليب) .

- فيقولون مثلًا : رأيت الشمسين (ويقصدون الشمس والقمر) .
- ويقولون : جاء العُمران ، ويقصدون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلى غير ذلك والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضل الصلاة؟

ج : نورد من هذه الأحاديث ما يلي :

- قول النبي ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر »[١].
- وسئل النبي ﷺ أي العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: «الصلاة لوقتها»[٢].
- وقوله عليه الصلاة والسلام : « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل ترون أن ذلك يُبقي من درنه شيئًا ، فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله عز وجل بهن الخطايا »[٣] .

= والدارمي (١/٢٧٥) ، والبيهقي (٢/١٧٣ ، ٣٧٩) ، وابن ماجة (٢٧٥) من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم » وله شواهد يصح بها أوردها الدارقطني (١/٣٥٩، ٣٦١)

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٠) ، ومسلم (٨٥) وغيرهما .

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « ابن آدم صلِ لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره »(١) .

● وقول النبي ﷺ : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ... – الحديث – ويجزىء عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »(٢).

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الصلاة لغة ؟

ج : **الصلاة تطلق على الدعاء** ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

● وقول النبي ﷺ : « ... وإن كان صائمًا فليصل »(٣) .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « اللَّهم صل على آل أبي أوفى »(٤) .

● ومنه أيضًا قول الشاعر :

تقول بنتي وقد قربت مُرتحلًا ... يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا

---

(١) أخرج أحمد (٥/٢٨٦) ، وأبو داود (٢/٦٣) من حديث نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أي : فليدع لأهل الوليمة ، وقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى (حديث ١٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دُعي أحدكم فليجب فإن كان صائمًا فليصل ، وإن كان مفطرًا فليطعم » .

(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٩٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : « اللهم صل على آل فلانٍ » فأتاه أبي بصدقته فقال : « اللهم صل على آل أبي أوفى » ، وأخرجه مسلم (حديث ١٠٧٨) .

● وتطلق الصلاة على القراءة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا ﴾[1] [الإسراء : ١١٠] .

● وتطلق على العبادة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية ﴾ [الأنفال : ٣٥] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (ينفقون) وما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : ينفقون معناها : يُخرجون ، والإنفاق هو إخراج المال من اليد نفقت الدابة خرجت روحها ، وأطلق على المنافق منافق ؛ لأنه يخرج من الإيمان ، وقولهم للمرأة : إنكِ نافقة أي : ستجدين من يتزوجك فتخرجين من بيت الوالد إلى بيت الزوج ، وأنفق القوم : فنى زادهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ [الإسراء : ١٠٠] .

● أما المراد بالنفقة هنا فمن العلماء من يقول : إنها الزكاة المفروضة وقال بعض أهل العلم : إنها النفقة على الأهل ، وقيل : المراد صدقة التطوع والصحيح أنها عامة في كل أنواع الإنفاق فيدخل فيها صدقة الفرض وصدقة النفل

---

(١) أخرج البخاري (٤٧٢٢) ، ومسلم (٤٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قال : نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ أي : بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ وأخرج البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾، قالت : أنزل هذا في الدعاء .
قلت : ولا يمنع أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة ، والله أعلم .

والإنفاق على الأهل إلى غير ذلك من أنواع النفقة الواجبة والمستحبة ، وهذا الذي اختاره الطبري رحمه الله تعالى[1] ، **قال رحمه الله (١/٢٢٤) :** وأولى التأويلات بالآية وأحقُّها بصفة القوم : أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مُؤَدِّين ، زكاةً كان ذلك أو نفقةَ مَنْ لزمتْه نفقتُه ، من أهل وعيال وغيرهم ، ممن تجب عليهم نَفَقتُه بالقرابة والمِلك وغير ذلك ؛ لأن الله جل ثناؤه عَمَّ وصفهم إذْ وصَفَهم بالإنفاق مما رزقهم ، فمدحهم بذلك من صفتهم . فكانَ معلومًا أنه إذ لم يخصُصْ مدْحَهم ووصفَهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبُها دونَ نوعٍ بخبر ولا غيره - أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمودِ عليها صاحبُها من طيِّب ما رزقهم رَبُّهم من أموالهم وأملاكهم ، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ . والله تعالى أعلم .

***

س : هل يستحب الإنفاق على الدوام ؟

ج : الإنفاق[2] له فقه كسائر المسائل الشرعية التي تحتاج إلى فقه فأحيانًا يجب الإنفاق وأحيانًا يستحب وأحيانًا يباح وأحيانًا يكره وأحيانًا يحرم شأنه شأن أكثر المسائل .

وقد قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

---

(١) انظر الخلف .

(١) هذا على تأويل الإنفاق بأنه عام (يشمل الفرض والنفل) .

● وقال الله سبحانه : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين .... ورجل آتاه الله مالًا فَسُلِّط على هلكته في الحق ..»(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك : «أمسك عليك بعض مالك»(٢).

● وقد جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بماله كله فقال له النبي ﷺ : « ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر » قال : أبقيت لهم الله ورسوله(٣).

● وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس »(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣) ، ومسلم (حديث ٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين رجلٌ آتاه الله مالًا فسلّط على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلّمها » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٩) ، وأحمد (٣٨٧/٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عز وجل عليه وفيه أنه قال : قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك » .

(٣) أخرج أبو داود (حديث ١٦٦٢) ، والترمذي (٣٦٧٥) وقال : حديث حسن صحيح . والدارمي (٣٩١/١ - ٣٩٢) وغيرهم بإسناد حسن من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقلت : مثله قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله قلت : لا أسابقك إلى شيء أبدًا .

(٤) صحيح وسيأتي تخريجه في آية الوصيّة إن شاء الله تعالى .

● فهذه وغيرها نصوص يتحرك المؤمن في ضوئها فيعلم متى يُنفق ومتى يمسك وأين ينفق وأين يُمسك ، ومتى ينفق كل ماله ، ومتى يمسك بعض ماله وليعلم أن الاقتصاد غير البخل ، وأن الجود غير التبذير .

وأن المنع في محل الإعطاء مذموم ، والإعطاء في محل المنع مذموم كذلك ويعلم متي يُطبق حديث رسول الله ﷺ : « ابدأ بمن تعول »[1] ومتى يطبق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] ومتى ينزل حديث الصحابي الجليل وزوجته الصحابية الكريمة اللّذين عجب الله عز وجل من صنيعهما مع الأضياف لما نوما صبيانهما وأطفأا مصباحهما وأوهما الضيف أنهما يأكلان[2]!! .

● ويعلم كذلك أين ينفق هل ينفق فيما يحبه الله ويرضاه ويبتغي بذلك وجه الله فيكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ [الروم : ٢٩] أما أنه ينفق أموالًا ثم تكون عليه حسرة .

● ويعلم كذلك لمن ينفق أولًا وهل الأقربين أولى بالإنفاق عليهم إذا

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ (انظر صحيح مسلم ص٧١٧ - ٧١٨) ترتيب محمد فؤاد .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٣٧٩٨) ، ومسلم (حديث ٢٠٥٤) ، والترمذي (٣٣٠٤)، وقال : حديث حسن صحيح . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (واللفظ للبخاري) أن رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من يضم - أو يضيف هذا - » فقال رجل من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً فهيئت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما » فأنزل الله ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

كانوا أهل حاجة كما قال تعالى : ﴿ يتيمًا ذا مقربة ﴾ [البلد : ١٥] وكما قال تعالى : ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة : ٢١٥] أو أن المسكين ذا المتربة أولى لقوله تعالى : ﴿ أو مسكينًا ذا متربة ﴾ [البلد : ١٦] أو أن (في كل كبدٍ رطبةٍ أجر) ...

إلى غير ذلك من الضوابط التي تضبط بها مسائل الإنفاق ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من هم الموصوفون بقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

- أن هؤلاء هم الموصوفون قبل هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾ وهم مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب .
- أن هؤلاء هم أهل الكتاب خاصة ، لأن مؤمنو العرب تقدم ذكرهم .

والراجح لديَّ – والله أعلم – أن الآية عامة فيدخل فيها المؤمن من العرب والمؤمن من أهل الكتاب ومن آمن من غيرهم كذلك .

وذلك لأن مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ممن آمن كلهم يؤمنون بما أُنزل إلى الرسول ﷺ وما أُنزل من قبله .

- قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥].

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالًا بعيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

● وقال تعالى : ﴿ .. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١٥٢] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قد تأتي (الواو) عاطفة لصفاتٍ على صفات اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى ﴾ [الأعلى : ١- ٤] فالموصوف واحد وكذلك قوله تعالى[1]: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون .. ﴾ [البقرة : ٢ ، ٣] .

ومنه أيضًا قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

والله تعالى أعلم .

* * *

(١) على قول لفريق من أهل العلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ .. وما أنزل من قبلك ﴾ ؟

ج : المراد – والله أعلم – ما نزل على الأنبياء قبل نبينا ﷺ وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف الأولى ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى: ١٩] إلى غير ذلك مما نزل على الأنبياء عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل الكتابي الذي آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ؟

ج : من هذه الآيات والأحاديث نورد ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ – ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

• وقال النبي ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين .. رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به .. »[1] الحديث . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم أن يكون أجر من آمن مِن أهل الكتاب أعظم من أجر مَن آمن من العرب ؟

ج : لا يلزم ذلك ، صحيح أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بالنبي محمد ﷺ » وقال تعالى : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [القصص : ٥٤] ولكن قد يكون هناك من العرب من آمن وحصل له من التصديق ما يفوق أضعاف إيمان الكتابي وتصديقه كما هو الشأن في أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وبلال وعمار رضي الله عنهم أجمعين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [البقرة : ٥] فيه رد على القدرية وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن القدرية يزعمون أنهم يخلقون إيمانهم وهداهم ، ففي قول الله عز وجل : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ ردٌّ عليهم فلم يقل أولئك على هدًى من أنفسهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المفلحون ؟

ج : هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ..... ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ والمفلح هو من فاز وظفر بما طلب

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٥٤) ، والبخاري (حديث ٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

ونجا مما هرب ، فالمفلحون هم الذين فازوا بالجنان ونجوا من النيران ، والعلم عند الله تعالى . والفلح أصله في اللغة الشق والقطع وفيه قول الشاعر :

قد علمت خيلك أني الصَحْصَح[1]   وأن الحديد بالحديد يُفلح

ويفُلح أي : يشق ، وفلاحة الأرض : شقها للحرث والأفلح هو الذي شقت شفته السفلى ، وحي على الفلاح : هلموا إلى الفوز ودخول الجنة .

* * *

س : هذه الآيات الكريمة ﴿ الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ١ - ٤] ذكرت فيها أوصاف للمتقين منها . يؤمنون بالغيب - يقيمون الصلاة- مما رزقهم الله ينفقون- يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة، فهل تنحصر صفات المتقين في هذه الصفات؟

ج : تنحصر صفات المتقين في هذه الآيات إذا راعينا أن قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ [البقرة : ٤] عام فيدخل فيه كل ما أمر الله به وكل ما نهى الله عنه وكل خبر ...

ولكن إذا أردنا تفصيلًا فالمتقون لهم صفات ذكرت في آيات أخر كما في سورة آل عمران ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران : ١٣٤] وكما في قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها صفات المتقين ، فالحاصل أن صفات المتقين تؤخذ من مجموع الآيات التي وردت في صفاتهم ،

---

(١) الصحصح هو الشديد الصلب ، والبيت ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه .

وكذلك سائر الأحكام الشرعية تؤخذ من مجموع الآيات والأحاديث التي وردت فيها ، والله تعالى أعلم .

***

س : الآيات التسع عشرة من سورة البقرة انتظمت أصناف الناس الثلاثة ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن يقال : انتظمت هذه الآيات أصناف الناس الثلاثة وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون .

- فالآيات الأربع عقب قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ في المؤمنين وأوصافهم .
- وآيتان في وصف الكفار .
- وثلاث عشرة آية في وصف أهل النفاق ؛ والله أعلم .

***

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سواء – ختم – غشاوة ؟

ج :

الكلمة	معناها
سواء	يستوي أي : يستوي عندهم الإنذار وعدمه
ختم	غطّى
غشاوة	غطاء على العين يمنعها من الرؤية ، ومنه قول الشاعر : هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الكفر لغة ؟

ج : الكفر يطلق على التغطية والستر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ﴾ [الحديد : ٢٠] فالكفار هنا هم الزراع على قولٍ قويٍّ جدًا لأهل العلم لأنهم يغطون الحبَّ .

● ومن هذا الباب قول الشاعر : في ليلة كفر النجومَ غمامُها .

ولذلك سُمِّي الليل كافرًا لتغطية ظلمته ما لبسته .

والكافر من الأرض هو ما بَعُد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد ومن حل بتلك المواضع فهو من أهل الكفور ، ويُقال الكفوْر : القرى[١]، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالكفر في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ومن المراد بالذين كفروا .. ؟

ج : المراد بالكفر هنا – والله أعلم –: الكفر الذي هو ضد الإيمان ، ﴿ والذين كفروا ﴾ هنا هم الذين لم يؤمنوا بالغيب ولا برسالتك ولا بالحق الذي جئتهم به ، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يوقنون بالآخرة وهم أيضًا الذين غطوا الحق وستروه[٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) ومنه قولهم في بعض البلاد بمصدر كفر كذا .. يقال لأنها كانت بعيدة عن العمران ، فالله أعلم .

(٢) وقد يأتي الكفر ويراد به جحود النعمة والإحسان كما في قوله عليه الصلاة والسلام في النساء : « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر =

س : هل المراد بالكفار في هذه الآية الكريمة : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ﴾ [البقرة : ٦] صنف خاص من الكفار أم عموم الكفار ؟

ج : المراد – والله أعلم –: صنف خاص من الكفار[1]، أما من هذا الصنف الخاص من الكفار الذين أشير إليهم في الآية الكريمة فللعلماء فيهم أقوال أمثلها وأقواها هم الكفار الذين سبق في علم الله سبحانه وتعالى أنهم يموتون على الكفر وحقت عليهم كلمة العذاب ووجب عليهم الخلود في النار كأبي لهب وأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم من المشركين الذين ماتوا على شركهم ، وكذلك رؤساء اليهود الذين ماتوا على كفرهم كحييّ بن أخطب وغيره ، وكل من سبق في علم الله أنه يموت على الكفر ، عياذًا بالله .

والحامل لنا على هذا القول أن هناك من أهل الكفر كفار إذا أنذرتهم أسلموا ، وإذا ذكرتهم تذكّروا ، وعموم أصحاب النبي ﷺ كانوا كفارًا

= كله ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيرًا قط ».

● وقال البغوي في تفسيره (معالم التنزيل ٦٤/١) :

والكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر عناد ، وكفر نفاق . فكفر الإنكار : أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به ، وكفر الجحود هو : أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود . قال الله تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] وكفر العناد هو : أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

وَلَقد عَلِمْتُ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ... مِن خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّة دينًا

لولا المَلامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدتَنِي سَمْحًا بذاكَ مُبِينا

وأما كفر النفاق : فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب ، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له .

(١) وقد نقل ابن عطية رحمه الله تعالى (في كتابه المحرر الوجيز) الاتفاق على أنها (أي الآية) غير عامة لوجود كفارٍ قد أسلموا بعدها .

فهداهم اللّه بنبيه محمد ﷺ فذكَّرهم فتذكروا وأنذرهم فآمنوا وصدقوا المرسلين ، واللّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالإنذار وما الفرق بينه وبين الإشعار[1] ؟

ج : المراد بالإنذار : الإعلام والإبلاغ ، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز (أي لأخذ العدة والاحتياط) فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعارًا ولم يكن إنذارًا . قاله القرطبي رحمه اللّه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ؟

ج : المعنى – واللّه أعلم – : أن الكفار الذين كتبت عليهم الشقاوة وحقت عليهم كلمة العذاب يستوي ويتعادل عندهم الإنذار من عدمه فهم لا ينتفعون بإنذار ولا بغير إنذار ، واللّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ننذر الكافرين ، وقد قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ؟

ج : ننذرهم لأمور منها .

● **الأول : أن اللّه عز وجل أمرنا بإنذارهم** ، قال اللّه عز وجل : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك[2] وإن لم تفعل فما بلغت

(١) من قولهم (أشعرته بكذا) وليس المراد إشعار البدن .
(٢) والمسلمون له تبع في هذا ﷺ .

رسالته .. ﴾ [المائدة : ٦٧] .

- وقال تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر .. ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .
- وقال تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] .
- وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ١٢١] .

الثاني : أننا لا نعلم من الذي كتبت له الهداية والسعادة ممن كتبت له الغواية والشقاء ، فلو علمنا من الذي كتبت له الغواية والشقاء لتركنا إنذاره إذا أمرنا اللَّه بذلك .

الثالث : أننا ننذرهم رجاء انتفاعهم كما قال الواعظون من بني إسرائيل : ﴿ معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ [الأعراف : ٧] .

الرابع : رجاء انتفاعنا قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى اللَّه وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات تؤدي نفس المعنى الوارد في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة :٦] ؟

ج : من الآيات التي تؤدي معنى هذه الآية الكريمة ما يلي .

- قوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جآءتهم كل آية حتى يرو العذاب الأليم ﴾ [يونس :٩٦ ، ٩٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا

قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الفائدة المرجوة من إعلام الله عز وجل نبيه ﷺ بقوله : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة: ٦] ؟

ج : الفائدة من ذلك – والله أعلم – : هي جلب الراحة النفسية لرسول الله ﷺ حتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات ولا يهلكه الحزن بسبب استمرارهم على كفرهم وعنادهم كما قال الله تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ﴾ [الكهف : ٦] وكما قال تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] وكما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ [النحل : ١٢٧] وكما قال تعالى : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ [لقمان : ٢٣] وإنما عليه ﷺ أن يؤدي ما عليه من البلاغ ويكل ما وراء ذلك إلى الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى : ٤٨] وكما قال سبحانه : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [العنكبوت : ١٨] وليس معنى ذلك أن الشخص يقصر في الدعوة إلى الله بل عليه أن يبذل قصارى جهده في ذلك كما قال نوح عليه السلام : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا فلم يزدهم دعائيَ إلا فرارًا ... ثم إني دعوتهم جهارًا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا ... ﴾ [نوح : ٦ – ٩] .

❋ ❋ ❋

س : كيف لا يحزن المسلم على كفر الكافر ، ونفس المؤمن مجبولة على حب الخير للعباد فلا يسمع المؤمن بكافر يُسلم إلا وفرح لذلك ، ولا يسمع عن مسلم ارتد إلى الكفر إلا وحزن لذلك ؟

ج : صحيح أن المسلم يحزن لكفر الكافر ، ويفرح لإسلام الكافر ، لكن كيف يوجه قوله تعالى : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ [النحل : ١٢٧] يوجَّه بأن يقال: إن النهي عن الحزن إنما هو عن الحزن الشديد الذي يذهب بالنفس حسرات ويقطعها ويهلكها كما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال سبحانه : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] ، واللَّه أعلم .

* * *

س : وضح مواطن الوقف التام في قوله تعالى : ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ [البقرة : ٧]؟

ج : الوقف التام عند قوله تعالى : ﴿ وعلى سمعهم ﴾ فيكون السياق ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ وتكون الجملة قد تمت ، قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ جملة تامة أيضًا .

- فيكون الختم على القلوب وعلى الأسماع ، وتكون الغشاوة على الأبصار ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

- فدلت الآية الكريمة على أن الختم يكون على السمع والقلب ، والغشاوة تكون على البصر .

وقد قال تعالى : ﴿ فإن يشأ اللَّه يختم على قلبك ﴾ [الشورى : ٢٤] فالختم هنا على القلب كذلك ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س : البصر يكون عليه غشاوة كما ذكر اللَّه عز وجل في قوله :

﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ [البقرة :٧] فهل يُطبع عليه أيضًا ؟

ج : نعم يُطبع عليه ، ودليل ذلك قوله عز وجل : ﴿ أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [النحل : ١٠٨] .

❋ ❋ ❋

س : من العلماء من قرأ ﴿ غشاوةً ﴾ بالنصب فعلى أي أساس نصبت ؟

ج : نصبت على معنى (وجعل) أي : ختم اللَّه على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوةً ، فيكون من الباب الذي مثل له بعض العلماء حيث أنشدوا .

علفتها تِبنًا وماءً باردًا أي : علفتها تبنا وسقيتها ماءًا

● وكقول الشاعر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلدًا سيفًا ورمحًا

أي : متقلدًا سيفًا وحاملًا رمحًا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور العذاب ، ومما اشتق لفظ (العذاب) ؟

ج : من صور العذاب الضرب بالسياط والحرق بالنار والقطع بالحديد إلى غير ذلك مما يؤلم الإنسان ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ [النور : ٢] والعذاب مشتق من الحبس والمنع .

قال القرطبي رحمه اللَّه : يُقال في اللغة :(أعذبه عن كذا) أي : أحبسه وأمنعه ، ومنه سمي عذوبة الماء ، لأنها قد أعذبت ، واستعذب بالحبس في الوعاء ليصفو ويفارقه ما خالطه وأورد أثرين عن علي رضي اللَّه عنه: أعذبوا

نساءكم عن الخروج أي : احبسوهن .

والآخر قاله وقد شيَّع سرية فقال : أعذِبوا عن ذكر النساء فإن ذلك يكسركم عن الغزو .

* * *

س : ما هو المراد بالختم على السمع والقلوب ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : الختم مصدر ختمت الشيء ختمًا فهو مختوم ومختَّم شدِّد للمبالغة ، ومعناه : التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل إلى ما فيه ولا يوضع فيه غير ما فيه ، ثم قال : والختم يكون محسوسًا كما بينا ، ومعنىً كما في هذه الآية ، فالختم على القلوب : عدم الوعي عن الله سبحانه وتعالى مفهوم مخاطباته والفكر في آياته ، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تُلي عليهم أو دُعوا إلى وحدانيته ، وعلى الأبصار : عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته ، وإضافة إلى المعنى المتقدم نورد هنا قول الطبري رحمه الله .

قال الطبري رحمه الله في تفسيره :

وقال بعضهم : إنما معنى قوله : ﴿ ختم الله على قُلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] إخبار من الله جل ثناؤه عن تكبرهم ، وإعراضهم عن الاستماع لِمَا دُعُوا إليه من الحق ، كما يقال : إنَّ فلانًا لأُصَمُّ عن هذا الكلام ، إذا امتنع من سَمَاعه ، ورفع نفسه عن تفهُّمه تكبرًا .

قال أبو جعفر : والحق في ذلك عندي ما صَحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول الله ﷺ ، وهو ما : حدثنا به محمد بن بشار قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عَجْلان ، عن القَعْقَاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نُكْتةٌ سوداءُ في قلبه،

فإن تاب ونَزَع واستغفر ، صَقَلت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تُغْلق قلبه ، فذلك « الرَّانُ » الذي قال جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] » .

فأخبر ﷺ أنَّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الخَتْم من قبل اللَّه عز وجلَّ والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك ، ولا للكفر منها مَخْلَص ، فذلك هو الطَّبع . والختم الذي ذكره اللَّه تبارك وتعالى في قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف ، التي لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثمَّ حلها . فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف اللَّه أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضِّه خَاتمَه وحلِّه رباطَه عنها .

ويقال لقائلي القول الثاني ، الزاعمين أنَّ معنى قوله جل ثناؤه ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ ، هو وَصْفُهم بالاستكبار والإعراض عن الذي دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبُّرًا : أخبرونا عن استكبار الذين وَصَفهم اللَّه جل ثناؤه بهذه الصفة ، وإعراضِهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعاني اللواحق به – أفعلٌ منهم ، أم فعلٌ من اللَّه تعالى ذكرهُ بهم ؟ .

فإن زعموا أنَّ ذلك فعلٌ منهم – وذلك قولهم – قيل لهم : فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذي خَتم على قلوبهم وسمْعهم . وكيف يجوز أن يكون إعراضُ الكافرِ عن الإيمان ، وتكبُّره عن الإقرار به – وهو فعله عندكم – خَتمًا من اللَّه على قلبه وسمعه ، وختمهُ على قَلبه وسَمْعه ، فعلُ اللَّه عز وجل دُون الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك – لأن تكبُّره وإعراضه كانا من ختم اللَّه على قلبه وسمعه ، فلما كان الختمُ سببًا لذلك ، جاز أن يسمى مُسَبِّبه به – تركوا قولَهم ، وأوجبوا أنَّ الختمَ من اللَّه على قلوب الكفار وأسماعهم ،

معنىً غيرُ كفْرِ الكافِرِ ، وغيرُ تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به . وذلك الدخولُ فيما أنكروه .

***

س : في قوله تعالى ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] ردٌّ على القدرية وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا الرد أن اللَّه سبحانه وتعالى بيَّن في هذه الآية الكريمة أنه هو سبحانه هو الذي ختم على قلوب الذين كفروا ، والقدرية يزعمون خلاف ذلك فيزعمون أن العبد يختار لنفسه ما يشاء ولا تدخل للرب سبحانه وتعالى في أفعالهم .

***

س : لماذا أُفرد السمع وجُمع البصر وقدِّم السمع على البصر ؟

ج : يذكر بعض أهل العلم أن ذلك لفضل السمع على البصر ، قالوا : فالرجل يسمع من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوقه ومن تحته وفي النور وفي الظلمة أما البصر فليس كذلك ، فلهذا أفرد وقدم عليه السمع في هذه الآية ، وفي قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ اللَّه سمعكم وأبصاركم ﴾ [الأنعام : ٤٦] وفي قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ [السجدة : ٩] واللَّه أعلم[1] .

***

(١) وعندي وجه ذكره لي بعض الأطباء ، ألا وهو أن كل الحبال التي توصل إلى الأعضاء المزدوجه على خطين فالبصر يأتيه خطان ، أما السمع فهو خط واحد إذا قطع فقد الشخص السمع بأذنيه معًا فلا يوجد رجل أصم بأذن ويسمع بأخرى (إلا إذا كان ذلك خارجيًّا) أما العمى فليس كذلك ، واللَّه أعلم .

س : ما هو سبب الختم على قلوب الكافرين ؟

ج : من أسباب ذلك : الكفر والمعاصي واستحباب الدنيا على الآخرة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ بل طبع اللَّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا ﴾ [النساء : ١٥٥] وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن اللَّه لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [النحل : ١٠٧ ، ١٠٨] .

● وروى الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى في مسنده عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين » الذي ذكر اللَّه عز وجل في القرآن ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : ١٤] »[١].

وأخرج الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالى من حديث حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء ، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضَاء حتى يصيرَ على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السمواتُ والأرض ، والآخر أسودُ مربَادًا كالكوز مُجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه »[٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٧) وبتحقيق أحمد شاكر رحمه اللَّه رقم (٧٩٣٩) والطبري في تفسيره (٣٠٤) وغيرهم وإسناده حسن .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٤٤) .

والصفا : هو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، قال القاضي عياض : ليس تشبيهه بالصفا بيانًا لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء .

س : اذكر بعض الأوصاف التي وصف اللّٰه عز وجل بها قلوب الكافرين ؟

ج : قال القرطبي رحمه اللّٰه تعالى (١/١٨٦) :

وقال أهل المعاني : وصف اللّٰه تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف : بالختم والطبع والضيق والمرض والرَّيْن والموت والقساوة والانصراف والحَمِيَّة والإنكار . فقال في الإنكار : ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٢] . وقال في الحَمِيَّة : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾ [الفتح : ٢٦] . وقال في الانصراف : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة :٢٧] . وقال في القساوة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] . وقال : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة : ٧٤] . وقال في الموت : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . وقال : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٣٦] . وقال في الرَّيْن : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] . وقال في المرض : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] . وقال في الضيق : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . وقال في الطبع : ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣] . وقال : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] : وقال في الختم : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة : ٧] . وسيأتي بيانها كلها في مواضعها إن شاء اللّٰه تعالى .

* * *

وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

السفهاء – شياطينهم – يمدهم – طغيانهم – يعمهون – فما ربحت تجارتهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
السفهاء شياطينهم	ضعاف العقول رؤساؤهم في الكفر

الكلمــة	معناهــا
يمدهم	يطيل لهم المدة ويمهلهم ويُملي لهم – يطيل أعمارهم وينعم عليهم حتى يزدادوا طغيانًا فيزيدهم عذابًا
طغيانهم	كفرهم وضلالهم
يعمهون	يعمون – يتحيرون في الكفر – يترددون – وقال البعض : إن العمى في العين والعمه في القلوب
فما ربحت تجارتهم	فما ربحوا في تجارتهم

❋ ❋ ❋

س : مم اشتقت كلمة الناس ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال أشهرها قولان :

الأول : أنها مشتقة من النَّوس وهو الحركة ، ومنه قول أم زرع تصف أبا زرع : (أناس من حلي أُذني) .

والثاني : أنها مشتقة من النسيان ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] وقال رسول اللَّه ﷺ : « فنسي آدم فنسيت ذريته » .

ومنه قول الشاعر :

لا تنسين تلك العهود فإنما سُميت إنسانًا لأنك ناسي

ومنه أيضًا :

فإن نسيت عهودًا منك سالفة فاغفر فأول ناسٍ أول الناس

***

س : قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] من هم هؤلاء الناس وأين كانوا يتواجدون على عهد رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : هؤلاء هم المنافقون ، وكانوا يتواجدون في مدينة رسول اللَّه ﷺ والعتاة منهم كانوا بالبوادي .

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠] وقال تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [التوبة : ١٠١] .

● وقال تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل اللَّه على رسوله ﴾ [التوبة : ٩٧] .

س : ما هو اصل الخدع في اللغة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن أصل الخدع الفساد ، ومنه قول الشاعر :

أبيض اللون لذيذ طعمه   طيب الريق إذا الريق خَدَعَ

فيخادعون اللّه – على هذا التأويل – يفسدون إيمانهم وأعمالهم فيما بينهم وبين اللّه سبحانه وتعالى بالرياء ، لكن هذا الوجه ضعيف عندي .

● وقيل : أصله الإخفاء ، ومنه مخدع البيت الذي يحرز فيه الشيء ومنه قول النبي ﷺ : « صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها »[1] ومنه قول العرب : انخدع الضب في جحره .

فمعنى ﴿ يخادعون اللّه ﴾ : يظنون أنهم يُخفون حالهم عن اللّه سبحانه وتعالى ، واللّه عز وجل أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يخادع المنافقون ربهم عز وجل ؟ وكيف يخادعون المؤمنين ؟

ج : هم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [البقرة : ٩] ولكنهم لقلة علمهم باللّه عز وجل يظنون أنهم يخدعونه فيظنون أنهم بإظهارهم ما أظهروا من الإيمان وحلفهم على كونهم مؤمنين – مع إسرارهم الكفر – أنهم يخادعون اللّه عز وجل بذلك وأن ذاك نافعهم عنده ، وأنه يروَّج عليه كما يروَّج على بعض المؤمنين ، ولا يدري هؤلاء الأغبياء البلهاء أن اللّه عز وجل يستوي عنده السر والعلن[2]، وهو سبحانه مطلع

(١) أخرج أبو داود (حديث ٥٧٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٥) ، والبيهقي (٣/١٣١) وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها ، وصلاتها في مُخدعها أفضل من صلاتها في بيتها » .

والمعنى الإجمالي لهذا الحديث له أحاديث تشهد له . والله أعلم .

(٢) أخرج البخاري (٤٨١٧) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٥) من حديث عبد اللّه بن

على ما في القلوب وسيجازيهم على ما فيها .

وخداعهم للمؤمنين إظهار الإيمان والشهادتين بألسنتهم وإظهار المحبة لأهل الإيمان واستبطان الكفر والعداوة .

وخداع اللّٰه والمؤمنين إياهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك ، وادخار العذاب الأليم والمآل الوخيم وسوء المغبة لهم ، وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم بإخباره تعالى بالوحي عن حالهم ، واللّٰه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع المرض الموجود في قلوب المنافقين ؟

ج : قيل : هو **(الشك)** وقال آخرون : هو **(الرياء)** وقيل : هو **(الغل والحقد والحسد)**[1] والأول رأي الأكثرين ، واللّٰه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لأهل العلم قولان في تأويل قوله عز وجل : ﴿ فزادهم اللّٰه مرضًا﴾ [البقرة : ١٠] فما هما ؟

ج : التأويل الأول : هو أن المراد الدعاء عليهم بزيادة المرض . التأويل الثاني : أنه إخبار من اللّٰه سبحانه وتعالى عن زيادة مرضهم كما قال عز وجل : ﴿ فزادتهم رجسًا إلى رجسهم ﴾ [التوبة : ١٢٥] والله أعلم .

= مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم - فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل اللّٰه عز وجل ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ الآية [فصلت : ٢٢] .

(١) الغل والحقد والحسد لارتفاع راية المؤمنين وإعلاء كلمة الدين .

س : هل كان النبي ﷺ يعلم أعيان المنافقين ؟

ج : كان النبي ﷺ يعرف بعضهم ولا يعرف الآخرين .

أما الدليل على أنه كان يعرف بعضهم هو ما ورد في قصة صلاته ﷺ على عبد اللّه بن أُبي بن سلول[1] ، وكذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بن اليمان بأسماء كثير منهم – ، ولذلك أطلق على حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . من ذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بأسماء الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك الذين هموا بقتل رسول اللّه ﷺ في ظلماء الليل عند عقبة هناك[2] أما الدليل على أنه ﷺ كان لا يعلم بعضهم فهو قوله تعالى : ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [التوبة : ١٠١] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٤) من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما قال : « لما تُوفي عبدُ اللّه بن أُبَيٍّ جاء ابنهُ عبدُ اللّه بن عبد الله إلى رسولِ الله ﷺ فأعطاه قميصه ، وأمَرَهُ أن يكفِّنَه فيه ، ثمَّ قامَ يُصلِّي عليه ، فأخذ عمرُ بن الخطاب بثوبه فقال : تُصلِّي عليه وهو منافق ، وقد نَهاك اللّه أن تَستغفِرَ لهم ؟ ! قال : « إنما خيَّرني اللّه – أو أخبرني اللّه – فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تَستغفِر لهم ، إن تَستغفِر لهم سبعين مرَّةً فلن يَغفِر اللّه لهم ﴾ فقال : سأزيدُه على سبعين » . قال : فصلى عليه رسولُ اللّه ﷺ وصلَّينا معه ، ثم أنزلَ اللّهُ عليه ﴿ ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبدًا ، ولا تَقُمْ على قبرِهِ ، إنهم كفروا باللّه ورسوله وماتوا وهم فاسِقون ﴾ » [التوبة :٨٤] .

(٢) أخرج مسلم (ص ٢١٤٤) من حديث أبي الطفيل قال: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاس . فَقَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ! كَمْ كان أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ . قَلَ : كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ . وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحيَاة الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . وَعَذَرَ ثَلَاثَةً . قَالُوا : مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ . وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَىٰ فَقَالَ : إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ . فَلَا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ . فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ .

س : لماذا كف النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان كثير منهم ؟

ج : أجاب العلماء على ذلك بعدة أجوبة منها :

● أن الأحكام على الناس إنما تجري على الظاهر الذي ظهر منهم ، وأما ما وراء ذلك فعلمه عند الله تبارك وتعالى . وقد قال النبي ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله »[1].

● وقال النبي ﷺ : « إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس »[2].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥) ، ومسلم (حديث ٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٥١) ، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث عليٌّ بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ ، من اليمن ، بذهبةٍ في أديمٍ مقروظٍ[1]. لم تحصل من تُرَابها[2]. قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل[3] . فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء . قال : فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » قال : فقام رجل غائر العينين . مشرف الوجنتين . ناشز الجبهة[4]. كثُّ اللحيةِ . محلوقُ الرأس . مشمر الإزار . فقال : يا رسول الله ! =

---

(١) (في أديم مقروظ) أي : في جلد مدبوغ بالقرظ . والقرظ حب معروف يخرج في غُلُف كالعدس من شجر العضاه .

(٢) (لم تحصل من ترابها) أي : لم تميز ولم تصفَّ من تراب معدنها .

(٣) (وإما عامر بن الطفيل) قال العلماء : ذكر عامر ، هنا ، غلط ظاهر . لأنه توفي قبل هذا بسنين . والصواب الجزم بأنه علقمة بن علاثة . كما هو مجزوم به في باقي الروايات .

(٤) (ناشز الجبهة) أي : مرتفعها .

● أن النبي ﷺ تركهم تأليفًا للقلوب حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه فيكون تحدثهم بذلك سببًا لتخلف كثيرٍ منهم عن الإسلام[1].

● أن النبي ﷺ فعل ذلك ليبين لأمته أن القاضي لا يقضي بعلمه ، قال القرطبي رحمه الله تعالى : وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه ، وإن اختلفوا في سائر الأحكام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= اتَّق الله . فقال : « ويلك ! أو لستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله » قال : ثمَّ ولى الرجلُ . فقال خالدُ بن الوليد : يا رسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا . لعله أن يكون يصلي » . قال خالدٌ : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسول الله ﷺ : « إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس[1]. ولا أشق بطونهم » قال : ثم نظر إليه وهو مقف[2] فقال : « إنه يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله . رطبًا لا يجاوز حناجرهم . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . قال : أظنه قال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود » .

(١) وأخرج البخاري حديث (٣٥١٨) من حديث جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثُروا ، وكان من المهاجرين رجل لعابٌ فكسع أنصاريًّا ، فغضب الأنصاريُّ غضبًا شديدًا حتى تداعوا ، وقال الأنصاريُّ : يا للأنصار ، وقال المهاجريُّ : يا للمهاجرين . فخرج النبيُّ ﷺ فقال : « ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ » ثم قال : ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعةِ المهاجري الأنصاري . قال : فقال النبي ﷺ : « دعوها فإنها خبيثة » . وقال عبد الله بن أبي بن سلول : أقد تداعوا علينا ؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . فقال عمر : ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث ؟ لعبد الله . فقال النبيُّ ﷺ : لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه » .

(١) (لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس) أي : أفتش وأكشف . ومعناه : إني أمرت بالحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر .

(٢) (وهو مقف) أي : مولٍّ ، قد أعطانا قفاه .

س : في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾[البقرة : ٨] رد على المرجئة وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه : أولًا أن معتقد هؤلاء هو أن الإيمان مجرد قول باللسان وإن لم يعتقد القلب ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [المائدة : ٨٥] ولم يقل بما عملوا وبقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلٰه إلا الله ... » الحديث ، هذه حججهم .

ولكن في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ رد عليهم فها هم قوم قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ، ونفى الله عز وجل عنهم الإيمان ، فقال سبحانه : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ وكم من آية يذكر اللَّهُ سبحانه وتعالى فيها الذين آمنوا ويقيدها بالعمل الصالح فيقول : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[الكهف: ١٠٧] وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا ﴾[النساء : ١٤٢] ، وقال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »[1].

وقال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .. ﴾ [البقرة : ٢٧٥] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ، ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا ، وقال مسلم في آخره : قال ابن أبي عُمر : قال سفيان : يعني : قاطع رحم .

س : المنافق نفاق الاعتقاد ماذا يسمى بعد زمان رسول الله ﷺ ؟

ج : يسمى – عند بعض العلماء – : زنديق .

❋ ❋ ❋

س : من هو رئيس المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ؟

ج : رئيسهم : هو عبد الله بن أُبي بن سلول ، وهو الذي تولى كبر حديث الإفك[1].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى النفاق ، ومن هو المنافق ؟

ج : النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر ، فالمنافق هو الذي يظهر الخير ويُسر الشر . ويظهر الإيمان ويبطن الكفر ، وهو أيضًا الذي يخالف قوله فعله وسرُّه علانيته ، ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه .

❋ ❋ ❋

س : أين نزلت صفات المنافقين ؟ ولماذا ؟

ج : نزلت صفات المنافقين : في السور المدنية ، وذلك لأن مكة لم يكن بها نفاق ، بل كان الأمر في مكة على خلاف النفاق ، فكان كثير من أهل الإسلام بمكة يخفون إسلامهم ويسرون بإيمانهم خوف القتل من المشركين ، أما المدينة فلما كثر فيها المسلمون وقويت شوكتهم بدأ أهل الكفر يُظهرون

---

(١) حديث الإفك أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) ، وأحمد (٦/١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧) ، وغيرهم ، وسيأتي الكلام عليه في محله ، إن شاء الله ، والشاهد منه هنا هو قول عائشة رضي الله عنها وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي بن سلول .

الإسلام ويبطنون الكفر خوف السيف وكثر المنافقون بالمدينة ومن حولها من الأعراب ، كما قال الله تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ... ﴾ [التوبة : ١٠١] أما المهاجرون من مكة فلم يُعلم فيهم أهل نفاق ، لأن المهاجر كان يهاجر فيترك أهله وماله وولده ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

* * *

س : إلى كم قسم ينقسم النفاق ؟

ج : ينقسم النفاق إلى نفاق اعتقاد ونفاق عمل .

● **أما نفاق الاعتقاد** فهو الذي يُخلِّد صاحبه في النار وهو أن يُبطن صاحبه الكفر ويُظهر الإسلام ، وأهله قال الله فيهم : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] .

● ٢ – **نفاق العمل :** وهو من الكبائر ، ومنه قول النبي ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[1].

وقال فيه أيضًا عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[2].

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣) ، ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٤) ، ومسلم (حديث ٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هو الإفساد المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ [البقرة : ١١] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بالإفساد هنا الإفساد بالكفر وموالاة الكافرين ، وصد الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن الإيمان بالقرآن[١]. ويعمدون إلى إلقاء الشُّبه والوشايات بين العباد . وقال فريق آخر من العلماء : إن الإفساد أعم مما ذكر فيدخل فيه ما ذُكر ويدخل فيه أيضًا العمل بالمعاصي والنميمة وإيقاع الشر وكل ما سماه الله أو سماه رسوله ﷺ فسادًا . والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف يُذم أهل النفاق وهم لا يشعرون أنهم مفسدين ؟

ج : أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها :

● أنهم (أي : أهل النفاق) كانوا يعملون الفساد سرًّا ويظهرون الصلاح ، وهم لا يشعرون أن الله سبحانه وتعالى يُطلع نبيه ﷺ على أفعالهم .

● والوجه الآخر أن يكون فسادهم في نظرهم إصلاحًا ، وهم لا يشعرون أن ذلك فساد[٢]، وقد عصوا الله ورسوله في تركهم إظهار

---

(١) ويؤيد هذا القول قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ [الأنفال : ٧٣] فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين . وقال تعالى أيضًا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا * إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [النساء : ١٤٤ ، ١٤٥] .

(٢) ويكون هذا تزيين من الشيطان عياذًا بالله ، كما قال الله سبحانه : ﴿ أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسنًا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [فاطر : ٨] =

الحق وتبيينه واتباعه . والله أعلم .

* * *

س : بمَ يتعلل أهل النفاق لدفع وصف الإفساد عن أنفسهم ؟

ج : يتعللون بقولهم : ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ أي : إننا بممالأتنا للكفار وصداقتنا معهم نريد بذلك الإصلاح بينهم وبين المؤمنين ، والله أعلم .

* * *

س : أهل الإجرام يفسدون في الأرض ويرتكبون الكبائر ويزعمون أنهم أهل صلاح ويصفون أهل الإيمان بالرذالة والفساد ، هل من أدلة على ذلك ؟

ج : نعم الأدلة على ذلك كثير .

● قال الله سبحانه وتعالى في شأن أهل النفاق : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ [البقرة : ١١ ، ١٢].

● وقالوا أيضًا : ﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ [البقرة : ١٣] .

● وقال فرعون لقومه : ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ [غافر : ٢٩] .

● وقال فرعون عن نبي الله موسى ﷺ : ﴿ إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ [غافر : ٢٦] .

● وقال قوم شعيب لشعيب عليه الصلاة والسلام : ﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت

= وكما قال سبحانه : ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ [النمل : ٢٤] ، وكما قال عز وجل : ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ﴾ [الكهف : ١٠٤] .

الحليم الرشيد ﴾[1] [هود : ٨٧] .

وقال قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] .

❋ ❋ ❋

س : من هو السفيه ؟ وعلى من يطلق السفه ؟

ج : السفيه : هو الجاهل ضعيف الرأي قليل المعرفة بما ينفعه ويضره .
والسَّفه يطلق على الكفار كما قال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

● ويطلق على المنافقين كما قال تعالى : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٣] .

● ويطلق على الجاهل كقوله تعالى : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ .. ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

● ويطلق على من لا يحسن التصرف ، ومنهم النساء والصبيان كما قال عدد من المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا ... ﴾ [النساء : ٥] : إن السفهاء هنا هم النساء والصبيان ، والله أعلم .

أما أصل السَّفه فهو الخفة والرِّقة ، ومنه قول القائل : ثوبٌ سفيه إذا كان رديء النسج خفيفه ، أو كان باليًا رقيقًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحامل لأهل النفاق على قولهم : آمنّا عند لقاء المؤمنين ؟

ج : الحامل لهم على ذلك هو خوفهم السيف وطلبهم المصلحة في الدنيا ، وهذا يؤيد أن النفاق إنما يكون في الغالب إذا كان للمسلمين شوكة والله تعالى أعلم .

---

(١) يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ، ومرادهم : السفيه الضال .

س : ما المراد بالشياطين في قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم .. ﴾ [البقرة : ١٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالشياطين هنا رؤساء الكفر ، وقال آخرون : إنما هم الكهان ، وقال فريق ثالث : إنهم شياطين الجن ، وأقوى الأقوال لديَّ هو القول الأول أنهم رؤساء الكفر ومن على شاكلتهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل من الإنس شياطين ؟

ج : نعم من الإنس شياطين ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

● وقال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم[1] قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [البقرة : ١٤] .

❋ ❋ ❋

س: قول المنافقين لشياطينهم: ﴿إنا معكم﴾ [البقرة: ١٤] معكم في ماذا؟

ج : معهم في الاعتقاد والموالاة والنصرة والمعاونة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الجزاء إنما يكون من جنس العمل دلِّل على ذلك بجملة أدلة ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى في شأن المنافقين لما استهزءوا بأهل الإيمان وقالوا لرؤساء

---

(١) والراجح لدينا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ هم رؤساء الكفر ، على ما قد بيناه ، والله أعلم .

الكفر : ﴿ إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [البقرة : ١٤] ، قال سبحانه : ﴿ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [البقرة : ١٥] .

● ولما سخروا من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ [التوبة: ٧٩] قال سبحانه : ﴿ سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [التوبة : ٧٩] .

● وقال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

● وقال تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢].

● وقال تعالى : ﴿ .. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٥ ، ١٢٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] .

● وقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .. ﴾ الآية [البقرة : ١٩٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكذلك في مجال الخير :

قال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وقال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد: ١٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة »[١].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢) ، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[1].

وقال عليه الصلاة والسلام : « ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته »[2].

***

س : ما هو أصل الطغيان ؟

ج : أصل الطغيان مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] أي : ارتفع وعلا وتجاوز .

ومنه قوله سبحانه في شأن فرعون : ﴿ إنه طغا ﴾ [النازعات : ١٧] أي : تجاوز الحد في الظلم والكفر حين قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] وحين (ذبح الأبناء) .

***

س : اذكر بعض صور استهزاء الله عز وجل بالمنافقين يوم القيامة وخداعه لهم ؟

ج : منها إجمالًا قول الله عز وجل : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني

---

(١) إسناده ضعيف لكن معناه صحيح فلمعناه جملة شواهد ، وأما كون إسناده ضعيفًا فقد أخرجه أبو داود (حديث ٤٩٤١) ، والترمذي (حديث ١٩٢٤) وغيرهم من طريق أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا ، وأبو قابوس ضعيف ، لكن للمعنى شواهد كما قدمنا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ [الحديد : ١٣ ، ١٤] .

● ومنها ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري[٣] رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تضارون في رؤية رَبِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما » ، ثم قال : « ينادي مناد ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصَّليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كلِّ آلهة مع آلهتهم . حتى يبقى من كان يعبدُ الله من بر أو فاجر وغُبرَاتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يُؤتى بجَهَنَّم تعرضُ كأنها سرابٌ ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبُدُون ؟ قالوا : كنَّا نعبُد عزَيْرًا ابن الله ، فيقال : كذَبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ ؟ ، قالوا : نريد أن تسقِينَا فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيحَ ابن الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريدُ أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوَجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا مناديًا ينادي : ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا . قال : فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوْه فيها أوَّلَ مرة ، فيقولُ : أنا ربكم فيقولون : أنت ربُّنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينَهُ آية تعرفونَه ؟ فيقولون : السَّاق . فيكشف عن ساقه ، فيسجدُ له كل مؤمن ، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجدَ فيعود ظهرهُ طَبَقًا واحِدًا » .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ [البقرة: ١٦] .

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (حديث ١٨٣) .

وكيف اشتروها ؟

ج : المعنى – والله أعلم – محتمل لوجوه منها :

١ – أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

٢ – اشتروا الكفر بالإيمان كما قال تعالى : ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا ﴾ [آل عمران : ١٧٧] .

٣ – استحبوا الضلالة على الهدى كما قال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] .

● أمَّا كيف اشتروها فلذلك وجوه منها :

● أنهم فضلوا موالاة الكافرين ومجالستهم واتباع أقوالهم على موالاة رسول الله ﷺ ومجالسة أهل الإيمان واتباع القرآن ، هذا وجه .

ووجه آخر : أنهمَ بعد أن حصل لهم الإيمان بالله عز وجل ارتدوا على أدبارهم ورغبوا في الكفر كما قال تعالى : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم ﴾ [محمد : ٢٥] . والله أعلم .

* * *

س :ما معنى قوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ؟ [البقرة : ١٦] .

ج : المعنى – والله أعلم – فما ربحوا في تجارتهم .

وهنا نورد بحثًا سريعًا للطبري رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله : فإن قال قائل : فما وجه قوله : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ؟ وهل التجارة مما تربح أو توكس ، فيقال : ربحت أو وضعت ؟

قيل : إن وجه ذلك على غير ما ظننت . وإنما معنى ذلك : فما ربحوا في تجارتهم – لا فيما اشتروا ، ولا فيما شروا . ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عربًا فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم ، مسلك خطاب بعضهم

بعضًا ، وبيانهم المستعمل بينهم . فلما كان فصيحًا لديهم قول القائل لآخر : خاب سعيك ، ونام ليلك ، وخسر بيعك ، ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله - خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام ، فقال : « فما ربحت تجارتهم » إذ كان معقولًا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة ، كما النوم في الليل . فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحوا في تجارتهم ، وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

وشر المنايا ميتٌ وَسْطَ أهله   كَهُلْكِ الْفَتَاةِ أَسْلَمَ الحَيَّ حاضره

يعني بذلك : وشر المنايا منية ميت وسط أهله ، فاكتفى بفهم سامع قِيلِهِ مرادَه من ذلك ، عن إظهار ما ترك إظهاره ، وكما قال رؤبة بن العجَّاج :

حَارِثُ ! قد فَرَّجْتَ عَنِّي هَمِّي   فنامَ لَيْلِي وتَجَلَّى غَمِّي

فوصف بالنوم الليل ، ومعناه أنه هو الذي نام ، وكما قال جرير بن الخَطَفِي :

وأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُه   فَأَعْمَى ، وأما ليلُه فبَصِيرُ

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده وصف النبهانيِّ بذلك .



مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

استوقد – صم – بكم – صيِّب – حذر الموت – محيط بالكافرين – يكاد

ج :

الكلمــة	معناهــا
استوقد	أوقد ، كقوله : (استجاب بمعنى أجاب)
صمٌّ	لا يسمعون
بكمٌ	الأبكم هو الأخرس ، وقيل : الأبكم هو الذي لا يتكلم ولا يفهم فإن فهم و لم يتكلم فهو الأخرس
صيِّب	مطر
حذر الموت	خوف الموت
محيط بالكافرين	مُهلكهم، وشاهده ﴿إلا أن يُحاط بكم﴾ [يوسف: ٦٦] وقيل : عالمٌ بهم وشاهده ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .
يكاد	يقترب

س : لمن ضُرب هذا المثل ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : هذا المثل مضروب للمنافقين ، فالمنافق كمستوقد النار[١].

✵ ✵ ✵

س : وضح وجه الشَّبه بين المنافق ومستوقد النار في المثل المذكور ؟

ج : وجه الشَّبه في ذلك أن المنافق لما قال في أول أمره لا إلٰه إلا الله وعرف الحلال والحرام كمستوقد النار لما أوقدها أضاءت له ما حوله فأبصر ما ينفعه مما يضره ، فلما أن ذهب نورها عنه بقي متحيرًا لا يدري أين يذهب ولا كيف يتحرك ، فقد رأى بعض أماكن الأمن وبعض مواطن الخطر فيخشى إن سار في الطريق الذي ظن أنه آمن كان خطرًا فبقي متحيرًا مترددًا لا يدري كيف يصنع .

فكذلك المنافق لما نقض لا إلٰه إلا الله ضلَّ الطريق عن الحلال والحرام والتبست عليه أموره وبقي متحيرًا مترددًا شاكًّا كما قال الله تعالى : ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾[٢] [التوبة : ٤٥] ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٣٩٠) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [البقرة : ١٧] وأن المنافق تكلم بـ (لا إلٰه إلا الله) فأضاءت له الدنيا فناكحَ بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سُلبها المنافق ؛ لأنه لم يكن له أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه .

(٢) وقد نحا بعض المفسرين منحًا آخر فقالوا : هذا مثل ضربه الله عز وجل للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه ، والله أعلم .

س : كلمة الذي في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] هل هي للمفرد (على بابها) أم هي بمعنى الذين ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

● أحدهما أنها بمعنى (الذين) في هذا الموطن ، وحجة أصحاب هذا القول أن (الذي) تقع للواحد وللجمع ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والذي[1] جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ [الزمر : ٣٣]. وأيضًا قول الشاعر :

إن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

فالمعنى إذن عند هذا الفريق من العلماء : مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارًا .

● وقال آخرون : إن الذي هنا للمفرد ووحَّد (الذي) و (استوقد) ؛ لأن المستوقد كان واحدًا من الجماعة تولى الإيقاد لهم فلما ذهب الضوء رجع عليهم جميعًا ، فقال : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا عُبر في الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ؟

ج : هذا – والله أعلم – لبيان شدة الأذى والعذاب الذي لحق بالمنافق فنقضه (لا إلـٰه إلا الله) لم يُذهب الانتفاع بها فقط بل جلب له ضررًا فوق عدم الانتفاع به فكذلك مستوقد النار ، أوقد النار (والنار تحمل إشراقًا

---

(١) وليس من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] فمعنى : ﴿ خضتم كالذي خاضوا ﴾ خضتم خوضًا كالذي خاضوه . والله أعلم .

وإحراقًا فهي تضيء للناس وتُحرق أيضًا وتحمل دخانًا مؤذيًا كذلك فلما ذهب اللَّه بنور هذه النار بقي منها ما يُحرق ويؤذي فازداد المنافق همًّا إلى همِّه وغمًّا إلى غمه فيا ليته كان في ظلمات فقط بل جاء في هذه الظلمات ما هو أخطر منها وهو إحراق النار التي أوقدها بيديه ودخانها المؤذي فكان كل ذلك وبالًا عليه[1] ونفس البلية يقع فيها المنافقون في الآخرة لما يقسم النور فيعطى كلٌّ نوره فيطفىء نور المنافقين وهم أحوج ما يكونون إليه فيقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم .... .

***

س : لماذا قيل في الآية الكريمة ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ [البقرة : ١٧] ، ولم يقل ذهب نورهم ؟

---

(١) ونحوه ذكره ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في تفسيره القيم فقال(ص ١١٦): وتأمل قوله ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية فإن النار فيها إشراق وإحراق فذهب بما فيها من الإشراق–وهو النور– وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية ، وتأمل كيف قال : ﴿ بنورهم ﴾ ولم يقل بضوئهم مع قوله : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ ؛ لأن الضوء هو زيادة في النور ، فلو قال : ذهب اللَّه بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا للشيء وزيادته . وأيضًا فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم ، وأيضًا فإن اللَّه سبحانه سمَّى كتابه نورًا ، ورسوله نورًا ، ودينه نورًا ومن أسمائه النور ، والصلاة نور فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله ، واللَّه أعلم .
وقال رحمه اللَّه (ص ١٢٥) : ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق ، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق ، وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها اللَّه تعالى إياها يوم القيامة نارًا مؤصدة تطلع على الأفئدة .

ج : أجاب على ذلك ابن القيم رحمه الله[1] : وقال سبحانه وتعالى ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل : ذهب نورهم ، وفيه سرٌّ بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى ، فإن الله تعالى مع المؤمنين و ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] .

فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خصَّ بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم ، فليس لهم نصيب من قوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] ولا من ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ [الشعراء : ٦٢] والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا أفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : أفرد النور ؛ لكون الحق واحد وهو صراط الله المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرقَ الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

● وقال بعض العلماء : أُفرد النور لفضله ، وجمعت الظلمات لنقصها ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون ﴾ [النحل : ٤٨] فأفرد اليمين وجمعت الشمائل ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك

(١) في تفسيره القيم (ص ١١٥) .

وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ... ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ اللَّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ [البقرة : ٢٥٧] . واللَّه أعلم .

***

س : اذكر بعض الحكم التي اشتمل عليها هذان المثلان المضروبان للمنافقين ؟

ج : أورد العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى قدرًا كبيرًا من هذه الحكم العظيمة فقال[1] :

وقد اشتمل هذان المثلان على حكمٍ عظيمةٍ منها : أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة ، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبةٍ بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار .

ومنها : أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله ، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان . فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، يقوم بها ويدوم بدوامها . فإذا لم توجد مادة الإيمان طفىء كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

ومنها : أن الظلمة نوعان ، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور ، وظلمة حادثة بعد النور . وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه . فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة ، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار ، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء ، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط .

---

(١) التفسير القيم ص ١٢٠ .

ومنها : أن في هذا المثل إيذانًا وتنبيهًا على حالهم في الآخرة ، وأنهم يعطون نورًا ظاهرًا ، كما كان نورهم في الدنيا ظاهرًا . ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ، وبقوا في الظلمة على الجسر ، لا يستطيعون العبور . فإنه لا يمكن أحدًا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر . فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، وإلا ذهب اللّٰه تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه . فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار ، وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم النور .

ومن ههنا يعلم السر في قوله تعالى ﴿ ذهب اللّٰه بنورهم ﴾ ولم يقل : أذهب اللّٰه نورهم .

فإن أردت زيادة بيان وإيضاح ، فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنهما ، وقد سئل عن الورود ؟ فقال : « نجيء نحن يوم القيامة على تَلٍّ فوق الناس . قال : فتدعَى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد : الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك ، فيقول : من تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا . فيقول : أنا ربكم . فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ، فيتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم – منافق أو مؤمن – نورًا ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاليب وحَسَك ، تأخذ من شاء اللّٰه تعالى . ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون . فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفًا لا يحاسبون . ثم الذين يلونهم ، كأضوإ نجم في السماء ، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللّٰه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء – وذكر باقي الحديث » .

فتأمل قوله « فينطلق فيتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم نور : المنافق

والمؤمن » ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ ذهب اللّه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ وتأمل حالهم إذ أطفئت أنوارهم ، فبقوا في الظلمة ، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل .

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة :« لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده » والموحد حقيق بأن يتبع الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل .

وتأمل قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ [القلم : ٤٢] وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضع ، وقوله في الحديث :« فيكشف عن ساقه » وهذه الإضافة تبين المراد بالساق المذكور في الآية .

وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه وتعالى بعد هذا . وذلك يفتح لك بابًا من أسرار التوحيد ، وفهم القرآن ، ومعاملة اللّه سبحانه وتعالى لأهل توحيده الذين عبدوه وحده ، ولم يشركوا به شيئًا ، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها ، فانطلق بها واتبعته إلى النار . وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه . فسبحان اللّه رب العالمين . قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة ، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم .

ومنها : أن المثل الأول متضمن لحصوله الظلمة ، التي هي الضلال والحيرة التي ضدها الهدى . والمثل الثاني : متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن . فلا أمن ولا هدى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

قال ابن عباس وغيره من السلف : مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله ، فاتقى ما يخاف،

فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فبقي في ظلمته خائفًا متحيرًا . كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم ، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم ، وقاسموهم الغنائم . فذلك نورهم . فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف . قال مجاهد : إضاءة النار لهم : إقبالهم إلى المسلمين والهدى ، وذهاب نورهم : إقبالهم إلى المشركين والضلالة . وقد فسرت تلك الإضاءة وذهاب النور : بأنها في الدنيا ، وفسرت بأنها في البرزخ وفسرت بيوم القيامة . والصواب : أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة ، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم ، جزاء وفاقًا ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت : ٤٦] فإن المعاد يعود إلى العبد فيه ما كان حاصلًا منه في الدنيا . ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] ﴿ ويزيد اللّه الذين اهتدوا هدى ﴾ [مريم : ٧٦] ومن كان مستوحشًا مع اللّه بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد . ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث ، فيموت العبد على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه . ويعود عليه عمله بعينه ، فينعم ظاهرًا وباطنًا ، فيورث من الفرح والسرور واللذة والبهجة ، وقرة العين والنعيم ، وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه – ما هو من أفضل النعيم ، وأجله وأطيبه وألذه ، وهل النعيم إلا طيب النفس ، وفرح القلب وسروره وانشراحه ، واستبشاره ؟!

هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه ، وتلذ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين ، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه ، وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه ، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار ،

وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده متبوعها والابتهاج بها ، والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال ومتبوعه فيها في هذه الدار .

وقد جعل اللَّه سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثرًا وجزاء ولذة ونعيمًا يخصه ، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه . لهذا تنوعت لذات أهل الجنة ، وآلام أهل النار ، وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات . فليست لذة كل من ضرب في كل مرضاة اللَّه بسهم وأخذ منها بنصيب كلذة من إنما سهمه ونصيبه في نوع واحد منها ولا ألم من ضرب في كل مساخط اللَّه بنصيب كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه .

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يستمتع به العبد من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما يقابله من الأعمال في الدنيا ، فقد رأى قِنْوًا من حَشَف معلقًا في المسجد للصدقة . فقال : « إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة » فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله ، فيجزىء على تلك الصدقة بحشف من جنسها .

وهذا الباب يفتح لك أبوابًا عظيمة من فهم المعاد ، وتفاوت الناس في أحواله ، وما يجري فيه من الأمور .

***

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : ذكر هذا المعنى إجمالًا ابن القيم رحمه اللَّه تعالى فقال :

شبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار ، وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم ، وصيامهم معهم ، وسماعهم القرآن ،

ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره ، قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا .
ولهذا قال تعالى في حقهم : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ إليه ؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا . فهم لا يرجعون إليه . وقال تعالى في حق الكفار : ﴿ فهم لا يعقلون ﴾ ، لأنهم لم يعقِلوا الإسلام ، ولا دخلوا فيه ، ولا استناروا به ، لا بل يزالون في ظلمات الكفر صم بكم عمي .

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا ، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا ، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا ، وإلى طريق الرشاد غاديًا . لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية . ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها . وتمكنت منها أيد الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها . وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل ، فلم تصغ بعد إلى الملام . ووُعظت بمواعظ أنكَى فيها من الأسنة والسهام ، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة ، وأسر الهوى والشهوة . وما لجرح بميت إيلام .

❋ ❋ ❋

س : هل يصح أن يضرب للجماعة مثلٌ بالواحد ؟

ج : نعم يصح ذلك ، فقد قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة ﴾ [لقمان : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة :٥].
● وقال تعالى : ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت ﴾ [الأحزاب : ١٩] واللّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الظلمات التي بقى فيها المنافق ؟

ج : هي ظلمات الشك والكفر والارتياب والنفاق .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة : ١٨] عن ماذا ؟

ج : ﴿ صمٌّ ﴾ عن استماع الحق[1] ﴿ بكم ﴾ عن النطق بالخير والإيمان فهم لا يتكلمون به ، ﴿ عمي ﴾ لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل .

فلما كانوا غير منتفعين بسمعهم وأبصارهم وألسنتهم وأفئدتهم وصفوا بأنهم صم بكم عمي ،وهذا كما قال الله سبحانه : ﴿ وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ ، [الأحقاف : ٢٦] وكما قال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة وصف مستوقد النار بكونه (أصم أبكم أعمي) ؟

ج : الفائدة بيان اجتماع الظلمات التي تراكمت عليه فهو يعيش فيها فإضافةً إلى ما هو فيه من ظلمات نشأت عن ذهاب النور ومهلكة بقاء إحراق النار ، فهو أيضًا مصاب بالعمى والصمم ثم هو أبكم أيضًا .

❋ ❋ ❋

---

(١) لأنهم لم يقبلوه ، وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه ، والصمم الانسداد ، وقد قال الشاعر :

صمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرت به   وإن ذكرت بسوء كلهم أذن

وأخرج الطبري رحمه الله تعالى (أثر ٤٠١) بإسناد حسن عن قتادة قال قوله : ﴿ صم بكم عمي ﴾ صم عن الحق فلا يسمعونه ، عمي عن الحق فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به .

س : قوله تعالى : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة : ١٨] لا يرجعون إلى ماذا وعن ماذا ؟

ج : لا يرجعون عن ضلالتهم ونفاقهم ،ولا يرجعون إلى الحق والإسلام والهدى والإيمان ، ولا يرجعون إلى التوبة والاستغفار . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو توجيه العلماء للفظ (أو) في قوله تعالى ﴿ أو كصيب ﴾ ؟

ج : من العلماء من يقول : إن (أو) هنا بمعنى الواو ، فالمعنى على هذا أن للمنافقين مثلين مثل الذي استوقد نارًا ، ومثل أصحاب الصيب .

● وكون « أو » تأتي بمعنى الواو صحيح كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ .

وقال الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأنّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدرًا كما أتى موسى ربه على قدر

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن (أو) هنا للتنويع فمن المنافقين من مثله مثل الذي استوقد نارًا ، ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب . والذي شجع على هذا القول أن المنافقين أصناف ، والكفار أصناف ، وأهل الإيمان قسمين[1] :

فأهل الإيمان منهم السابقون المقربون ، ومنهم الأبرار أصحاب اليمين ، كما

(١) وهذا على وجه الإجمال لكن على وجه التفصيل فالدرجات يوم القيامة متعددة متفاوتة كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله =

ذكرهم اللّه سبحانه في سورة الواقعة فقال سبحانه : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ [الواقعة : ١٠ ، ١١] ثم قال تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة : ٢٧] وفي ختام السورة قال سبحانه : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة : ٨٨-٩١].

● وأهل الكفر ذكر اللّه بعض شأنهم في سورة النور فقال سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جآءه لم يجده شيئًا ووجد اللّه عنده فوفاه حسابه واللّه سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ [النور : ٤٠] .

فهذه الآيات في كفار جهلة وكفار يحسبون أنهم يحسنون صنعًا (على ما سنبينه إن شاء اللّه في سورة النور) وكذلك أهل النفاق هنا منهم من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ومنهم من مثله كأصحاب الصيب[1] ، واللّه أعلم .

= للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »[1] .

وقال تعالى : ﴿ هم درجات عند اللّه ﴾ [آل عمران : ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] إلى غير ذلك .

وكذلك الكفار دركات متعددة في جهنم ، وكذلك أهل النفاق ، واللّه أعلم .

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه تعالى - بعد أن ذكر بعض الآثار والأقوال -: فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا ، مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة ، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ، ومنافقون وهم قسمان : خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ، ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالًا من الذين قبلهم ، وهذا المقام =

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/١١) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا .

....

= يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله ، ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ﴾ الآية [النور :٣٩ :] ، ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ﴾ [النور : ٤٠] فقسم الكفار ههنا إلى قسمين : داعية ومقلد ، كما ذكرهما في أول سورة الحج ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [الحج : ٣] وقال : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [الحج : ٨] وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الإنسان إلى قسمين : سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الأبرار .

فتلخّص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار ، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ، وأن المنافقين أيضًا صنفان : منافق خالص ، ومنافق فيه شعبة من نفاق ، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق . إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب عليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله .

ثم قال رحمه الله ص ٨٨ :

وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون أو في قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ بمعنى الواو كقوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] أو تكون للتخيير أي : اضرب لهم مثلًا بهذا وإن شئت بهذا ، قال القرطبي : أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري أن كلًّا منهما مساو للآخر =

س : وضح هذا المثل بشيء من التفصيل ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ [البقرة : ١٩] ؟

ج : مثل المنافقين مثل أصحاب الصيب (والصيب هو المطر) الذي نزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .

فالصيب	هو مثل	القرآن
الظلمات	هي مَثَل	الآيات المشتبهة
الرعد	هو مثل	آيات الإنذار والتهديد
البرق	هو مثل	الهداية والنور والحجج الباهرة في كتاب الله عز وجل

فحظ أهل النفاق من القرآن هو الآيات المشتبهة التي يتحيرون فيها ويترددون ، كما قال تعالى : ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ [التوبة :٤٥].

- وحظهم أيضًا آيات التهديد والإنذار فهم يحسبون كل صيحة عليهم .
- وحظهم من الهداية والنور البرق الذي يخشون منه أن يخطف أبصارهم من شدة ضوئه فكذلك هناك قاصرو النظر لا ينظرون إلى ما في الصيب من نفع عام على البلاد والعباد ولكن حظهم من الصيب الظلمات والرعد والبرق فكما قدمنا أن **الصيب هو القرآن** ، دل على ذلك قول النبي ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ... »[1].

فالصيب به تدب الحياة إلى البلاد والعباد بإذن الله ، ويفرح به عقلاء

= في إباحة الجلوس إليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلًا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم (قلت) وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة – ومنهم – ومنهم – ومنهم – يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم ، كما ضرب المثلين في سورة لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ [النور :٣٩] إلى أن قال : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾الآية [النور : ٤٠] فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين ، والله أعلم بالصواب .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٩) ، ومسلم (حديث ٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

الناس ؛ لما فيه من خير وصلاح للبلاد والعباد والشجر والدواب ، وهؤلاء العقلاء الذين حمدوا اللَّه عز وجل على ما منَّ به من هذا الصيِّب هم **أهل الإيمان** الذين قبلوا هدى اللَّه الذي جاء به نبي اللَّه محمد ﷺ .

أما أهل النفاق فعقولهم ضعيفة لا تدرك ما وراء هذا الصيب من نفع ، وغاية ما تدركه من الصيب أنه يلوِّث الأرض ويجلب إليها الوحل والطين ويُعطل المسافر عن سفره.. ونحو ذلك ، هذا غاية ما تدركه أبصار أهل النفاق هؤلاء .

● **وتنزيل هذا على كتاب اللَّه عز وجل :** أن المؤمن يعلم تمام العلم ويؤمن غاية اليقين أن ما جاءه من اللَّه تبارك وتعالى على لسان نبيه ﷺ كله خير فإذا أُمر بأمرٍ سمع وأطاع للَّه عز وجل ، وإذا نهي عن أمرٍ انتهى وانكف وإذا اشتبهت عليه آية قال: ﴿ آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: ٧] .

● فإذا أمره بالحج والعمرة مثلًا علم ماذا أعد اللَّه للحجيج من مغفرة الذنوب وأن الحج يهدم ما كان قبله كما أخبر النبي ﷺ[1]، وأن الحجيج يرجعون من حجهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وأن المتابعة بين الحج والعمرة تنفي الذنوب كما تنفي الكير خبث الحديد ، وأن الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة ، فيقدم على الحج بلا تردد ولا توان .

أما المنافق فحظه من ذلك أن يقول : لماذا أذهب وأطوف بأحجارٍ وأرمي أحجارًا وأهرق دماءً وأفارق الزوجة والولد وأُضيع أموالي وأفارق أوطاني ، وأزاحم الناس ويزاحموني .... .

هذا هو حظ المنافق الغبي من هذا الباب .

● وإذا أتينا إلى الجهاد مثلًا ، علم المؤمن ماذا أعد اللَّه للمجاهدين من الفضل وتكفير الذنوب والخطايا ، وتذكر فضائل الجهاد ، وأدرك ما فيه من عزة لأهل الإيمان ، وردع لأهل الكفر والظلم ، كما قال تعالى ﴿ ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا .

ومساجدُ يذكر فيها اسم اللّٰه كثيرًا ولينصرن اللّٰه من ينصره إن اللّٰه لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٤٠] ، فيقدم حينئذ على الجهاد وتهون عليه نفسه للّٰه سبحانه وتعالى وطلبًا لمرضاته ونيل جناته .

أما المنافق فحظه قوله كيف أشرَّد وأُجرح وأخرج من بيتي فأقتل وقد تقطع يدي وتُفقأ عيني وتذهب رجلي وتُرمل زوجتي وييتم أولادي فيدع الجهاد غافلًا عما وراءه من ثواب .

● ولو أتينا إلى الصوم مثلًا ، علم المؤمن ما فيه من فضل وأيقن بالثواب الوارد فيه ، وأن صاحبه ينادي من باب الريان ، وأن الصوم يورث التقوى ، وأن اللّٰه عز وجل يرضى عن الصائم ولخلوف فم الصائم عند اللّٰه أطيب من ريح المسك ... .

أما المنافق فيقول : لماذا أجوِّع نفسي وأمنعها شهواتها وأحرمها من لذيذ الطعام والشراب وحسان النساء ، ولا يدرك ببصره القاصر ما في الصوم من علو الدرجات وحط الخطيئات وإقالة العثرات و ... .

● وإذا عمدنا إلى الصلاة مثلًا : علم المؤمن ما أعد اللّٰه عز وجل للمصلين من أجر وعلم كيف تتساقط خطاياهم واحدة تلو الأخرى وسائر ما في الصلاة من فضل .

أما المنافق فيقول : لماذا أُصلي وأرهق نفسي بالقيام والقعود والركوع والسجود وأصبُّ الماء البارد على جسمي يؤذيني ، وأضيع وقتي ولا يدري الجاهل أن البركة من اللّٰه عز وجل ، ولا يُدرك الحائر أنه ربَّ دعوة دعا بها مُصل في صلاته دفع اللّٰه بها عنه البلاء ورفع اللّٰه عنه بها العناء وجعله اللّٰه بها من السعداء .

وهكذا سائر العبادات .

فحظ المنافق من كتاب اللّٰه ظلمات تُظلم عليه وتُخيم على عقله ، حظه

من كتاب الله الآيات المتشابهات (وهي الظلمات) ، فإذا سمع قوله تعالى عن شجرة الزقوم : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات : ٦٤] قال بجهله : هذا يدل على الكذب إذ كيف تخرج شجرة في أصل الجحيم والنار تأكل الخشب ؟ ! ! ! ، ولا يدري الجاهل أن الله على كل شيء قدير ، وأن النار إنما تحرق ما تحرقه بإذن الله ، وقد قال الله عز وجل لها ﴿ يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٩] فكانت كذلك بردًا وسلامًا عليه ﷺ ولا يدري الجاهل أن الله عز وجل جعل هذه الشجرة فتنة للظالمين كما قال سبحانه : ﴿ إنا جعلناها فتنةً للظالمين ﴾ [الصافات : ٦٣] .

وإذا مرَّ هذا المنافق الجاهل على آية كقوله تعالى – في بيان عدد خزنة جهنم – ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ [المدثر : ٣٠] يقول هذا الجاهل المنافق الكافر : تسعة عشر ؟ ! ! ! إذن نحن قادرون على سحقهم واحتلال الجنة بالقوة ، ويخفى على هذا الجاهل أن هذا العدد جعله الله فتنة لأهل الكفر كما قال سبحانه : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنونَ وليقولَ الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [المدثر : ٣١] .

أما المؤمن فيعلم أن ملكًا واحدًا يقدر – بإذن الله – أن يدمر الأرض ومن عليها بل ويفعل أعظم من ذلك بإذن الله .

● يعمد الكافر المنافق الجاهل إلى الآية كقوله تعالى لما أسرى بنبيه ﷺ : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس ﴾ [الإسراء : ٦٠] فيقول المنافق: كيف يُسرى برجل من مكة إلى بيت المقدس ويرجع في نفس الليلة ولا يملك دابة تحمله لهذا المكان ، وكيف يعرج به إلى السماء السابعة ويصبح بين أظهرنا

هذا وجهة هذا الكافر المنافق لا يعلم أن الله على كل شيء قدير ، يقول للأمر إذا أراده كن فيكون .

يعمد المنافق إلى آية تحويل القبلة ، فيقول : لماذا هذا التردد ، ويخفى عليه قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] هذا حظ هذا المنافق من كتاب الله عز وجل ، حظه الآيات المتشابهة التي تزيده شكًّا وحيرة وترددًا لقلة علمه بالله سبحانه ويقينه به .

● حظه من كتاب الله عز وجل هذا الرعد ، فإذا سمع آية وعيد ظن أنها ستحل به فورًا ، إذا سمع قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ [فصلت : ١٣] ظن أن هذه الصاعقة ستنزل عليه .

إذا سمع آية تتحدث عن النفاق ظن أنها تفضحه ، وأن الناس كلهم يعلمون حاله كما قال تعالى : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ [المنافقون: ٤] يظن أن الآيات الكريمات كلها تفضحه وتظهر أمره للناس وتفشي سره ، كما أنزل الله أمرهم في سورة براءة وقال فيها : (ومنهم ،... ومنهم ،.... ومنهم) .

حظه من الهداية والنور الوارد في كتاب الله هذا البرق ، فكتاب الله نور ، وآياته كلها نور يستضاء به ويُبصر به المؤمن ، أما هذا المنافق فيخشى إن نظر في هذا النور الشديد الذي هو من شدته كالبرق أن يذهب بصره ويصاب بالعمى ، ويذهب هذا النور ببصره[1] ، فهو يكره النور ويحب

(١) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : لأن البصر كلما كان أضعف كان النور أشد إذهابًا له كما قال الشاعر :

مثل النهار يزيد أبصار الورى نورًا ويعمي أعين الخفاش

وقال الآخر :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

وبصائر الكفار والمنافقين في غاية الضعف فشدة ضوء النهار تزيدها عمى ، وقد =

الظلمات كالخفاش ضعيف البصيرة إذ قال الشاعر فيه :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم ص ١١٨ فما بعدها :

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلًا آخر مائيًّا . فقال تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ [البقرة : ١٩] فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب مستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها . فذهب نوره ، وبقي في الظلمات حائرًا تائهًا ، لا يهتدي سبيلًا ، ولا يعرف طريقًا ، وبنصيب أصحاب الصيِّب ، وهو المطر الذي يصوب ، أي : ينزل من عُلو إلى سُفل . فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب ؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له فيما وراء ذلك ، مما هو المقصود بالصيب ، من حياة البلاد والعباد ، والشجر والدواب ، فإن تلك الظلمات التي فيه ، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب . فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ، ولوازم ذلك : من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره ، وصانع عن صنعته ، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام ، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل

= صرح الله تعالى بهذا العمى في قوله : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ [الرعد: ١٩] وقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ فاطر: ١٩].

محبوب . وهذه حال أكثر الخلق ، إلا من صفت بصيرته . فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق ، والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة ، وملامة اللوام ، ومعاداة من يخاف معاداته . لم يقدم عليه ؛ لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة ، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون ، وفيها تنافس المتنافسون ، وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر ، ومفارقة الأهل والوطن ، ومقاساة الشدائد ، وفراق المألوفات ، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته . فإنه لا يخرج إليه ، ولا يعزم عليه . وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان ، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد ، والزواجر والنواهي ، والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات ، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه . والناس كلهم صبيان العقول ، إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء ، وأدرك الحق علمًا وعملًا ومعرفة ، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ، ويعلم أنه حياة الوجود .

وقال الزمخشري : لقائل أن يقول : شبه دين الإسلام بالصيب ؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من تشبيه الكفر بالظلمة وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الأفزاع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى : أو كمثل ذوي صيب . والمراد : كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة ، فلقوا منها ما لقوا .

قال : والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه : أن المثلين جميعًا من جهة التمثيلات المتركبة ، دون المفرقة ، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه .

وهذا القول الفحل ، والمذهب الجزل ، بيانه : أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولًا بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك . فتشبهها بنظائره ، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئًا واحدًا بأخرى مثلها . كقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] الغرض : تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة . وتساوي الحالين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر من ذلك إلا بما يزيده من الكد والتعب ، وكقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ﴾ [الكهف : ٤٥] المراد : قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات . فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوية بعضها ببعض ، وتصييرها شيئًا واحدًا فلا كذلك ، لما وصف من وقوع المنافقين في ضلالتهم ، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل . وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة ، مع رعد وبرق وخوف من الصواعق .

قال : فإن قلت : أي المثلين أبلغ ؟

قلت : الثاني ؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ، وفظاعته . وكذلك أفرادهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ .

وقال أيضًا ص ١٢٧ (التفسير القيم) :

قول الله تعالى ذكره : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ [البقرة: ١٩] .

الصيب : المطر الذي يصوب من السماء أي : ينزل منها بسرعة ، وهو مثل للقرآن الذي به حياة القلوب ، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان . فأدرك المؤمنون ذلك منه ، وعلموا ما يحصل لهم به من الحياة التي لا خطر لها . فلم يمنعهم منها ما فيه من الرغد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات ، التي حذر الله بها من خالف أمره . وأخبر أنه منزلها على من كذب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي خلاف أهوائها ، فهي كالظلمات والرعد والبرق . ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق . بل يستأنس بذلك ويفرح به ، لما يرجو من ورائه من الحياة والخصب .

وأما المنافق فإنه قد عمي قلبه ، ولم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر ، ورعدًا عظيمًا وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه . فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله مشاهدة ذلك البرق ، وشدة لمعانه ، وعظم نوره . فهو خائف أن يختطف بصره ؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه . فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف . فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه . وإن فقد الضوء قام متحيرًا ، لا يدري أين يذهب ، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات ، وحياته هو في نفسه ، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة ، ولا شعور له بما وراء ذلك . فالوحشة لازمة له . والرعب والفزع لا يفارقانه ، وأما من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع، وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، فإنه يستأنس بذلك ، ولا يستوحش منه ،

ولا يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ، ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء ، حكمة بالغة ، وأسبابًا منتظمة ، نظمها العليم الحكيم . فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط . لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون ، وارتاب مما اطمأن به العالمون ، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون . فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش في نحر الظهيرة ، وسمعه في المثل المائيّ كسمع من يموت من صوت الرعد . وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سماع الرعد . فإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ، جالت فيها وصالت ، وقامت بها وقعدت ، واتسع فيها مجالها ، وكثر قيلها وقالها . فملأت الأسماع من هذيانها ، والأرض من دواوينها ، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم ، والقائمين بدعوتهم ، والمحامين عن حوزتهم ، والمقاتلين تحت ألويتهم ، والمكثِّرين لسوادهم . ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم – هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك ، وكشف أستارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، ولم يزل عز وجل يقول : ومنهم ، ومنهم ، ومنهم حتى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم ، وظهرت أسرارهم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾ [البقرة : ١٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم كلما تليت عليهم آيات الكتاب العزيز

جعلوا أصابعهم في أذانهم لئلا يسمعوا القرآن فيؤمنوا به وبمحمد ﷺ وذلك عندهم كفر ، والكفر موت ، وهذا كما فعل قوم نوح إذا حكى نوح عليه السلام فعلهم معه فقال : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا﴾ [نوح : ٧] .

ومنه أيضًا تواصيهم بعدم الاستماع لهذا القرآن ، بل وباللغو عند تلاوته كما قال سبحانه : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ [البقرة : ٢٠] ؟

ج : أوجز الشنقيطي رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام فقال[1]: ضرب الله في هذه الآية المثل للمنافقين إذا كان القرآن موافقًا لهواهم ورغبتهم عملوا به ، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم . والقسم لهم من غنائم المسلمين ، وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن ، وإذا كان غير موافق لهواهم . كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا . وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ [النور: ٤٨ ، ٤٩] .

وقال بعض العلماء : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ أي : إذا أنعم الله عليهم بالمال والعافية قالوا : هذا الدين حق ما أصابنا منذ تمسكنا به إلا الخير ﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ أي : وإن أصابهم فقر أو مرض أو ولدت لهم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ص ٥٢ – ٥٣) .

البنات دون الذكور . قالوا : ما أصابنا هذا إلا من شؤم هذا الدين وارتدوا عنه . وهذا الوجه يدل له قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ [الحج : ١١] .

وقال بعض العلماء : إضاءته لهم معرفتهم بعض الحق منه وإظلامه عليهم ما يعرض لهم من الشك فيه .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ [البقرة : ٢٠] يرجع إلى من ؟

ج : فيه قولان :

فمن قال : إنه يرجع إلى أصحاب المطر فالمعنى عنده ، ولو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق .

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى ولو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، والله أعلم .



يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

س : ما معنى هذه الكلمات :

أندادًا – وأنتم تعلمون – من مِثله – شهداءكم – من دون الله – أُتوا به متشابهًا – خالدون .

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
أندادًا	أمثالًا – أكفاءً – نظراء – عدلاء ، قال حسان :

الكلمة	معناها
	أتهجوه ولست له بندٍّ فشر كما لخير كما الفداء
وأنتم تعلمون	تعلمون أنه لا ند له
من مِثله	من مثل القرآن – وقيل من مثل محمد ﷺ
شهداءكم	أعوانكم – أنصاركم
من دون الله	الآلهة التي تُعبد غير الله سبحانه وتعالى
أُتوا به متشابهًا	جيء إليهم بالثمار متشابهة في اللون مختلفة في الطعم
خالدون	الخلود هو البقاء

***

س : وضح معاني مفردات قوله تعالى : ﴿ يا أيها ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : (يا) حرف نداء ، (أي) منادى مفرد (ها) للتنبيه .

***

س : من المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : أن المراد عموم الناس (الكفار والمؤمنون) ، فيكون الخطاب للمؤمنين باستدامة العبادة كما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله ... ﴾ [النساء: ١٣٦] .

ويكون الخطاب للكافرين لابتدائها .

و (الثاني) أن المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ الكفار الذين لم يعبدوه ، والقول الأول أقوى[1]، والله أعلم .

***

س : ما مدى صحة القول القائل بأن كل آية أولها ﴿ يا أيها الناس ﴾ إنما نزلت على رسول الله ﷺ بمكة ، وكل آية أولها ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فإنما نزلت بالمدينة ؟

ج : أما قوله : إن كل آية فيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ إنما نزلت بمكة فغير صحيح ، فإن سورة البقرة مدنية على ما بيناه ، ومع ذلك ففيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ وكذلك سورة النساء مدنية[2] وفيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ .

● أما قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وكونها كلها نزلت بالمدينة

---

(١) إذ لا دليل على التخصيص ، والله أعلم .

(٢) وعلى وجه الخصوص قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم .. ﴾ [النساء: ١] .

فقد صححه القرطبي رحمه الله ، ولكنه يحتاج مني إلى تحرير ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا نُص في الآية الكريمة : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾ [البقرة : ٢١] ، على صفة الخلق دون غيرها من الصفات ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إنما نصَّ على صفة الخلق هنا ؛ لأن المشركين كانوا يعترفون أن الله خالقهم كما قال الله سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩]، فإذا كانوا مقرين بأن اللّه عز وجل خالقهم فلا جرم أن يكون تذكيرهم بصفة الخلق حجة عليهم وتقريعًا لهم . واللّه تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : المراد هنا – والله أعلم – الأمر بالتوحيد والتزام شرائع الدين[1].

* * *

س : ما معنى ﴿ خلق ﴾ وهل تطلق على البشر ؟

ج : يطلق الخلق على الإنشاء والاختراع والإبداع ، ويطلق الخلق على التقدير ، ومنه ما ذكره القرطبي حيث قال : خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته

(١) وقد تقدم الكلام على تفسير العبادة في سورة الفاتحة بما فيه الكفاية .

قبل القطع ، والمعنى قدرت[1] الجلد الذي يكفي لصنع السقاء قبل أن أقطعه .

● أما إطلاقه على البشر فقد قال الله عز وجل في شأن المشركين : ﴿ وتخلقون إفكًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

❋ ❋ ❋

س : إذا ثبت عند المشركين أن الله عز وجل خلقهم فقد خلق الذين من قبلهم ، فلماذا قال تعالى : ﴿ الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : جرى الكلام على التنبيه والتذكير ليكون أبلغ في العظة فذكرهم بمن قبلهم ليعلموا أن الذي أمات من قبلهم سيميتهم أيضًا وليفكروا فيمن قبلهم كيف كانوا وعلى أي الأمور مضوا من إهلاك من هلك ، وليعلموا أنهم يبتلون كما ابتلوا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ... ﴾ [البقرة : ٢١] تضمن دعوة الخلق إلى عبادة الله عز وجل بطريقين وضحهما ؟

ج : هذان الطريقان اللذان تضمنتهما الآية الكريمة هما :

الأول : تذكير الناس بأن الله عز وجل خلقهم وخلق الذين من قبلهم ، فالذي خلق جديرٌ بأن يُعبد .

الثاني : امتنان الله عز وجل عليهم بذكر ما لله عز وجل عليهم من الحقوق

(١) قدرت أي : حددت .

فهو سبحانه قد أسدى إليهم أنواعًا من النعم من جعل الأرض فراشًا والسماء بناءً وإنزال المطر وإخراج الثمرات ؛ لأن المنعم يستحق أن يُعبد ويُشكر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لعلكم بعبادتكم ربكم عز وجل أن تجعلوا بينكم وبين النار وقاية ، وتجعلوا أيضًا بينكم وبين غضب الله عليكم وقاية .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى جعل في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا ﴾ [البقرة : ٢٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – صيَّر .

وكلمة (جعل) لها معان أُخر في غير هذا الموطن منها :

● خلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ [المائدة : ١٠٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] .

● ومنها سمَّى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءًا ﴾ [الزخرف : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] أي : سموهم .

وبعض العلماء يقولون : إن (جعل) قد تأتي زائدة أحيانًا ، كما قال الشاعر :

وقد جعلت أرى الاثنين أربعة

والواحد اثنين لما هدني الكبر

س : اذكر حديثين في معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[1].

● والحديث الثاني أخرجه أحمد بإسناد صحيح من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه[2].

إن نبي الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطئ فقال له عيسى : إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن ، فقال : يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال : فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم سره أن يكون عبده كذلك وإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وآمركم بالصلاة فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وآمركم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧١٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٣٠) بسند صحيح .

بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوُّ فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرًا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل » قال : فقال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم » قالوا : يا رسول الله وإن صام وإن صلى ؟ قال : « وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل » .

* * *

س : اذكر بعض استدلالات العلماء من ناحية النظر والعقل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ؟

ج : لهم استدلالات كثيرة على ذلك ، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه .

كما قال بعض الأعراب ، وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات

أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وحكى الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل فقال : ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ، فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع ، فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال : ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح ، يعني بذلك : البيضة إذا خرج منها الدجاجة .

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز :

فيا عجبًا كيف يعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقال آخرون : من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت ، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها ، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٧ ، ٢٨] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأراييج والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا .

* * *

س : اذكر بعض براهين البعث المستنبطة من هذه الآيات الكريمة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢]؟

ج : ذكر هذه البراهين الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء

البيان فقال[1]:

قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢] أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت وبيَّنها مفصلة في آيات أخر .

الأول : خلق الناس أولًا المشار إليه بقوله : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني ، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ [الروم: ٢٧] الآية وقوله : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وكقوله : ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ [الإسراء: ٥١] وقوله : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ [يس : ٧٩] وقوله : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس ﴾ [ق : ١٥] الآية . وكقوله : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ [الحج : ٥] وكقوله : ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ [الواقعة : ٦٢] الآية ..

ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول ، كما في قوله : ﴿ وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه ﴾ [يس : ٧٨] الآية . وقوله : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيًّا * أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا ﴾ [مريم : ٦٦ ، ٦٧] ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله : ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ [مريم: ٦٨] الآية .. إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني : خلق السموات والأرض المشار إليه بقوله : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ ؛ لأنهما من أعظم المخلوقات ، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى . وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض

(١) أضواء البيان (١/٥٣) .

أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر : ٥٧] وقوله : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ [يس : ٨١] وقوله : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى ﴾ [الأحقاف : ٣٣] وقوله : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ [الإسراء: ٩٩] وقوله : ﴿ ءأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها ﴾ [النازعات : ٢٧ ، ٢٨] الآية .. إلى غير ذلك من الآيات .

البرهان الثالث : إحياء الأرض بعد موتها ؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت ، كما أشار له هنا بقوله : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ وأوضحه في آيات كثيرة كقوله : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ [فصلت : ٣٩] وقوله : ﴿ وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ [ق : ١١] يعني : خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظامًا رميمًا . وقوله : ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ [الروم : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ [الأعراف: ٥٧] إلى غير ذلك من الآيات .

***

س : ما معنى فراشًا ، وبناءً في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ [البقرة : ٢٢] ؟

ج : **فراشًا** أي : ممهدة كالفِراش ، وجعلها مستقرة كما في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض قرارًا ﴾ [غافر: ٦٤] .

وبناءً معناها : سقفًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون ﴾ [الأنبياء: ٣٢] . والله أعلم .

س : لماذا سميت السماء سماء ؟

ج : سميت بذلك لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء[1].

❋ ❋ ❋

س : ما هو أعظم ذنب يرتكبه الناس ؟

ج : أعظم ذنب هو أن تجعل لله ندًّا ، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فأجاب ، فسأله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - كما في الصحيحين[2] - أي الذنب أعظم يا رسول الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك » قال : قلت له : إن ذلك لعظيم ، قال : قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قال : قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » .

---

(١) قال الطبري رحمه الله (٣٦٦/١) :
وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخرَ فهو لما تحته سَمَاءٌ . ولذلك قيل لسقف البيت : سَمَاوةٌ ؛ لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سَمَا فلان لفلان ، إذا أشرف له وقَصدَ نحوه عَاليًا عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ اليَمَانِي وَأَهْلِهِ ... ونَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ

وكما قال نابغة بني ذُبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فرأَيْتُ منها ... تُحَيْتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ القِرَامِ

يريد بذلك : أشرفت لي نظرةٌ وبدت . فكذلك السماء سميت للأرض : سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٧) ، ومسلم (حديث ٨٦) ، وفي بعض الطرق في الصحيحين أيضًا : فأنزل الله عز وجل تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

س : ما هو حق الله عز وجل على عباده ، وما هو حق العباد على الله عز وجل ؟

ج : حق الله عز وجل على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يا معاذُ أتدري ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا أتدري ما حقهم عليه ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال : « أن لا يعذبهم »[1] .

* * *

س : اذكر بعض صور جعل الأنداد لله عز وجل ؟

ج : من هذه الصور : قول القائل : ما شاء الله وشاء فلان ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان »[2] .

- ومنها قول القائل : مطرنا بنوء كذا ونوء كذا[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٣) ، ومسلم (ص ٥٩) وفي بعض الطرق « أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا » .

(٢) أخرجه أبو داود (٥/٢٥٩) وابن ماجه (٢١١٨) ، وأحمد (٥/٧٢ و ٣٨٤ و ٣٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٢/٥٢٢) ، ومسلم (٢/٥٩)، وأبو داود (٤/٢٢٧) وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

● ومنها الحلف بغير الله عز وجل(١) .

● ومنها ما درج عليه العامة : لولا الكلب لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لما قبضنا على اللصوص(٢) .

وقول الأطفال في بعض الدول (علي يا أبو مخ خلّي الدنيا تُرخ ، علي يا أبو مركب خلّي الدنيا تكركب) وكأن هذا مأخوذ من إحدى فرق الضلال الذين يزعمون أن عليًّا في السحاب يسيرها ويُجريها .

● ومنها السجود لغير الله عز وجل .

● ومنها تشريع شرعة غير شرعة الله عز وجل يُحكم بها العباد ويقضى عليهم بها قال تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم

---

(١) أخرج الترمذي (٥/١٣٥ مع تحفة الأحوذي) وأبو داود (٣٢٥٧) والنسائي (١٩/٧) وابن ماجه (٢٠٩٨) وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » .
وهو حديث يصح بشواهده .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٢٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا ﴾ قال : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، ويقول : لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان .
لا تجعل فيها فلان فإن هذا كله به شرك .
وفي إسناده شبيب بن بشر .
قال الدوري عن ابن معين : ثقة ، قال : و لم يرو عنه غير أبي عاصم ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، حديثه حديث الشيوخ ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطىء كثيرًا.
والأثر أخرجه الطبري (٤٨٥) من طريق شبيب عن عكرمة و لم يصل به إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] .

● ومن أعظمها دعاء غير الله ، قال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] .

● ومنها محبة غير الله وطاعته كمحبة الله وطاعته ، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبًّا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

***

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] ، الخطاب فيها لمن ؟ ويعلمون ماذا ؟

ج : قيل : الخطاب فيها للمشركين ، والمراد بالعلم هنا علمًا خاصًّا وهو أنهم يعلمون أن الله عز وجل خالقهم[1] ورازقهم وهو سبحانه أنزل من السماء ماءً وأنه سبحانه يجير ولا يجار عليه وبيده ملكوت كل شيء ، فيعلمون أنه سبحانه وتعالى المنعم عليهم دون الأنداد .

وقيل : المعنى تعلمون أنه الواحد الرزاق .

وقيل : إن الخطاب هنا للمؤمنين ، والمعنى : لا ترتدوا أيها المؤمنون وتجعلوا لله أندادًا بعد علمكم أن الله واحد لا شريك له والله أعلم .

***

(١) قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ [الزخرف : ٨٧].

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] ؟

ج : المعنى الإجمالي – والله تعالى أعلم – : إن كنتم في شك مما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله سبحانه وتعالى ، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك ولن تستطيعوه .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ .. من مثل من ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن ﴿ من مثله ﴾ أي : من مثل القرآن ، والقول الثاني ﴿ من مثله ﴾ أي : من مثل محمد ﷺ في كونه بشرًا ، وفي كونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك تلا هذا القرآن عليكم . والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي تحدى الله عز وجل فيها الكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● **تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن** فقال سبحانه : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور : ٣٤] وقال سبحانه : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه

قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [هود : ١٣] .

وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وتحداهم الله فرادى وتحداهم جماعات ، وتحداهم بمكة وبالمدينة ، فلم يعارض القرآن بشيء طائل من عهد رسول الله ﷺ إلى الآن .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض وجوه الإعجاز في هذا القرآن الكريم ؟

ج : من هذه الوجوه ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال[(١)]:

ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى ، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء ، وأمر بكل خير ، ونهى عن كل شر كما قال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] أي : صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها ، كما قيل في الشعر : إن أعذبه

(١) (٩٢/١) .

أكذبه ، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئًا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح ، ثم تجد له فيه بيت أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته ، وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] وقال : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ [الزخرف : ٧١] وقال في الترهيب : ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ﴾ [الإسراء : ٦٨] ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك : ١٦ ، ١٧] وقال في الزجر : ﴿ فكلًا أخذنا بذنبه ﴾ [العنكبوت : ٤٠] وقال في الوعظ : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ [الشعراء: ٢٠٥] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة ، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي ، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأرعها سمعك فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، ولهذا قال تعالى :

﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية ، وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة ، وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم . ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » – لفظ مسلم – وقوله ﷺ : « وإنما كان الذي أوتيته وحيًا » أي : الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم ، وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة .

وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة ، فقال : إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب ، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا

أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وإنا أعطيناك الكوثر .

* * *

س : ما معنى ﴿ شهداءكم ﴾ [البقرة : ٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أعوانكم ونصراءكم ، وقيل : آلهتكم ، وقيل : هي على بابها ، والمعنى : ائتوا بشهداء يشهدون لكم أن ما أتيتم به يعادل القرآن أو يقاربه .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ [البقرة : ٢٤] علمٌ من أعلام النبوة وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه – والله أعلم – أنه لم يستطع أحد من الكافرين أن يأتي بأي سورةٍ مثل هذا القرآن ، لا في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده إلى الآن .

* * *

س : بم يتقون النار ؟

ج : يتقونها بالإيمان بالله ورسله ، وطاعة الله ورسوله .

* * *

س : من هم الناس ؟ وما هي الحجارة التي ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [البقرة : ٢٤] ؟ وهل للنار وقود آخر غير ما ذكر في الآية الكريمة ؟

ج : أما المراد بالناس هنا – والله أعلم – فهم الكفار الذين يموتون على

الكفر ، أما الحجارة فقد قال بعض أهل العلم : إنها حجارة الكبريت .

وقال آخرون : إنها الأصنام ، كما قال تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

أما هل للنار وقود آخر غير ما ذكر: فنعم لها وقود غير ما ذُكر، منه فسقة الجن، قال الله تعالى : ﴿ .. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ﴾ [الجن : ١٥] .

* * *

س : هل الجنة والنار مخلوقتان الآن ؟

ج : نعم مخلوقتان الآن ، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا ، نورد منها ما يلي :

- قول الله عز وجل – في شأن الجنة – : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ [الحديد : ٢١] .
- وقوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أُعدت للكافرين ﴾ [آل عمران:١٣١].
- وقوله تعالى: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: ٢٩].
- وقوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا ﴾ [الإنسان : ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .
- وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٤٤) ، ومسلم (٣٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »[1] .

● ولما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : « إن له مرضعًا في الجنة »[2] .

● ومنها قول النبي ﷺ: « أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »[3]

● ومنها قول رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت ربِّ أكل بعضي بعضًا ، فأذن لها بنفسين نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير »[4] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلِّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين »[5] .

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً[6] فقال النبي ﷺ : « تدرون ما هذا ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها »[7] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٥٥) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا وله طرق أخرى صحيحة في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٧٧) ، ومسلم (حديث ١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦) وجبة أي : سقطة .

(٧) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٤) .

● وجملة أحاديث أخرى كثيرة جدًّا في هذا الباب تركنا ذكرها خشية الإطالة فمنها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعًا في عذاب القبر ونعيمه وفيه ... « أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ... » الحديث[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤) بإسناد صحيح مرفوعًا وفيه أن البراء قال :
خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنّ على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثًا ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت =

● وحديث « لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها .. »[1] الحديث .

= توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » .

(٣) أخرج أبو داود (٤٧٤٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفَّها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ ، قال : فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها =

● وحديث « أرواحهم في حواصل طير خُضرٍ تسرح في الجنة ... »[1] .

● وحديث المعراج[2].

● وحديث الرجل الذي خسف به فهو يتجلجل في النار .. الحديث .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التبشير في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا ... ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟

ج : التبشير هو : الإخبار الذي يظهر أثره على البشرة – وهي ظاهر الجلد – لتغيرها بأول خبرٍ يرد عليك ، ويستعمل التبشير غالبًا في السرور مقيدًا بالخير المبشر به وغير مقيدٍ ، بمعنى أنه قد تأتي البشارة بالخير منصوصًا عليه كما في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم ﴾ [يونس : ٢] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وقد تأتي مطلقة غير مقيدة بنوع التبشير ، كما في قوله تعالى : ﴿ فبشر

= فحفَّها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها » .

وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٥٦٠) ، والنسائي (٣/٧) ، وأحمد (٣٣٢/٢) ، والحاكم (٢٧/١) .

(١) وسيأتي بتمامه في تفسير آل عمران إن شاء الله تعالى فانظره هناك عند قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (حديث ١٦٣) وفي آخره قال أنس بن مالك فيما يرويه عن رسول الله ﷺ : « ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... ﴾ [الزمر : ١٨] وكما في قوله تعالى : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٤] .

● وتستعمل البشرى في الغم والشر أحيانًا ، ولكنها تكون مقيدة كما في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] ، وكما في قول النبي ﷺ : « وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »(١).

***

س : في قوله تعالى : ﴿ ... وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٥] ردٌّ على فرقتين : المرجئة وطوائف من الصوفية وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا الرد يتمثل في أن الإيمان النافع قُيد بالعمل الصالح لقوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٥] ، والمرجئة يقولون : إن لا إله إلا الله تنفع صاحبها بلا عمل ولا يشترط معها العمل ، والآية الكريمة – كما قدمنا – ربطت الإيمان بالعمل الصالح .

● ووجه الرد على طوائف من الصوفية أن بعضهم يزعم أن المجنون أعلى درجة وأرفع منزلة من المؤمن العاقل ، وهذا جهل منهم واضح ، فالمجنون – وإن قدر الله سبحانه له الجنة(٢)– إلا أن المؤمن الذي يعمل الصالحات قد يفوقه بإذن الله ، وذلك لأن الله سبحانه قال : ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ ، وقال : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف : ٧٢] والمجنون لم يعمل والله أعلم .

***

س : ما معنى ﴿ جنات ﴾ ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

ج : الجنات هي البساتين والحدائق ، وسميت بهذا الاسم ؛ لأنها تُجنُّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣) بإسناد يُحسَّن بمجموع طرقه ، والله أعلم .

(٢) وقد وردت أحاديث فيها أنه يختبر يوم القيامة وستأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

من فيها (أي : تستره بأشجارها)[1] .

* * *

س : ما هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟

ج : هذه الأنهار – والله تعالى أعلم – هي الأنهار المذكورة في سورة محمد قال الله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات .. ﴾ [محمد : ١٥] .

* * *

س : قولهم : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟ ما المراد به ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

الأول : أن المراد بقولهم : ﴿ من قبل ﴾ أي : في الحياة الدنيا ، ودليل هذا القول : قولهم في آية أخرى : ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ [الطور : ٢٦] فمعنى ﴿ قبل ﴾ هنا أي : في الحياة الدنيا .

الثاني : أن المراد بقولهم : ﴿ من قبل ﴾ أي : في الجنة لكن في وقت تقدم الوقت الذي قدمت لهم فيه الثمرة ، وذلك لأنهم في الجنة يرزقون ثم يرزقون فإذا أتوا بطعام وثمار في وقت فأكلوا منها ثم أُتوا بها في وقت آخر قالوا : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ يعنون : أن هذا الذي أكلناه في مرة سابقة ، لكن يجدون طعمًا آخر وإن تشابه اللون ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ وأتوا به متشابهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] ما معناه ؟

(١) ولا يلزم في الجنات المُعدة عند الله أن تستر من فيها عن غيره ، فقد قال تعالى : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ [المطففين : ٢٣] ، فأهل الجنة يرى بعضهم بعضًا ويتزاورون ... وإنما المراد بيان المعنى اللغوي .

ج : المراد – والله أعلم – يشبه بعضه بعضًا في المنظر لكن يختلف في المطعم .
وقيل : يشبه بعضه بعضًا في الحسن ، بمعنى أن كل ما رزقوه حسن .

***

س : قال الله سبحانه وتعالى في شأن النار : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ [البقرة : ٢٤] فهل النار لا يدخلها إلا الكافرون ؟

ج : النار يدخلها الكافرون ، ويدخلها أيضًا قوم من المسلمين ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فويلٌ للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ... ﴾ [الهمزة : ١] .

وقال النبي ﷺ : « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار »[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب .

إلا أن المسلمين (من قدَّر الله عليه دخول النار منهم) يدخلونها ثم يخرجون كما أخبر بذلك النبي ﷺ[2] .

أما قوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ فيحمل على وجوه :

● منها أن يُقال : إن هذه نار مخصوصة معدة للكافرين وهي التي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).
(٢) وتأتي الأحاديث في ذلك في أبواب الشفاعة قريبًا إن شاء الله عند قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئًا ... ﴾ [البقرة : ٤٨] .

وقودها الناس والحجارة .

● أن يقال : إن هذه النار مُعدَّة للبقاء الدائم للكافرين ومن ثمَّ كانوا هم أهلها وهي مُعدَّة لهم ليس كالعابر الذي يأتيها ثم يخرج منها والله تعالى أعلم .

***

س : هل الأنهار تجري من تحت الجنات حقيقة ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن المعنى أن الأنهار تجري من تحت أشجارها ولم تذكر الأشجار ؛ لأن الجنات دالة عليها .

ولقائل أن يقول : إن الآية على ظاهرها ، والله أعلم بصفة جري الأنهار . والعلم عند الله تعالى .

***

س : النهر مأخوذ من ماذا ؟

ج : النهر مأخوذ من الاتساع ، وأنهرت أي : وسعت ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ... »[1] أي : ما وسَّع الذبح حتى يجري فيه الدم كالنهر .

وهل النهر هو الأخدود بما فيه من ماءٍ يجري ؟ أم هو الأخدود فقط ؟ للعلماء في ذلك قولان ، والله أعلم .

***

س : هل الأفصح أن يقال : (زوج) أو (زوجة) ؟

ج : الأفصح أن يُقال : (زوج) وهو الأكثر استعمالًا في كتاب الله وسنة

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣١/٩) ، ومسلم (مع النووي ١٢٢/١٣) ، وأحمد (١٤٠/٤ ، ١٤٢) وغيرهم من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله ليس لنا مدًى ، فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل ، ليس الظُّفر والسن ، أما الظفر فَمُدى الحبشة وأما السن فعظمٌ » .

رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ﴾ [الأحزاب : ٣٧] قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس : ٥٦] ومنه ما ورد في كتب السنن والمسانيد (مما لا يكاد يحصى) قولهم عن (عائشة زوج النبي ﷺ) .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما « ... وإن لزوجك عليك حقًّا »[1].

ويجوز أيضًا أن يقال : زوجة (بالتاء) ، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[2]، وفي رواية أخرى : (إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة)[3].

وقال الفرزدق :

وإن الذي يسعى ليُفسد زوجتي   كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها[4]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٥) ومسلم (ص ٨١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) بإسناده إلى أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال : (لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه ، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه .فسمعت عمارًا يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي .

(٣) الرواية الأخرى في البخاري (٣٧٧٢) .

(٤) أسد الشرى : هي أشد الأسود شراسة وضراوة ، ويستبيلها معناه : يطلب بولها .

س : قوله تعالى : ﴿ أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الحيض ، والبول ، والبزاق ، والنفاس ، والمخاط ، والغائط ، والأحقاد ، والضغائن ، إلى غير ذلك .

قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان كلُّ واحدة منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يصقون ، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألُوَّة » .

– قال أبو اليمان[١]: يعني : العود ، ورشحهم المسك[٢].

---

(١) أحد رواة الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (ص ٢١٨٠) قال ابن القيم رحمه الله :
قول الله تعالى ذكره :

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كُلَّما رُزِقوا منها من ثَمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل وأُتوا به مُتشابهًا ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فتأمل جلالة المبشِّر ومنزلته وصدقه ، وعظمته وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة ، وقد بشرك به ، وضمنه لك ، وجعله أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات ، وما فيها من الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب ، وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد ، وعدم انقطاعه .

و (الأزواج) جمع زوج . والمرأة زوج للرجل ، وهو زوجها . هذا هـو .

= الأفصح ، وهو لغة قريش . وبها نزل القرآن كقوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة : ٣٥] ومن العرب من يقول : زوجة ، وهو نادر ، لا يكادون يقولونه .

وأما(المطهرة) فإن جرى صفة على الواحد ، فيجري صفة على جمع التكثير إجراء له مجرى جماعة ، كقوله تعالى : ﴿ ومساكن طيبة ﴾ [الصف : ١٢] وقولهم : قُرًى ظاهرة ، ونظائره .

و (المطهرة) من طهرت من الحيض ، والبول ، والنفاس ، والغائط ، والمخاط ، والبصاق وكل قذر ، وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة ، والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبَذاء ، وطهر طرفها من أن تطمح إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ . قال عبد الله بن المبارك : حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ من القذر ، وقال : « من الحيض والغائط والنخامة والبصاق » وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس (مطهرة : لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنجسن) وقال ابن عباس أيضًا (مطهرة من القذر والأذى ، لا يبلن ، ولا يتغوطن ، ولا يمذين ، ولا يمنين ، ولا يحضن ، ولا يبصقن ، ولا يتنخمن ، ولا يلدن) وقال قتادة : (مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم) وقال عبد الرحمن بن زيد (المطهرة : التي لا تحيض ، وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ، ألا تراهن يدمين ، ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال : وكذلك خلقت حواء ، حتى عصت ، فلما عصت قال الله لها : إني خلقتك ، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة »[1] .

قول الله تعالى ذكره :

﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة . فلما أمرهم بالسجود ظهر ما في قلوب الملائكة من الطاعة والمحبة .

* * *

(١) لا أعلم له إسنادًا يقوم به .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

بعوضة – ينقضون – الميثاق – الخاسرون ؟

ج :

الكلمة	معناها
بعوضة	صغيرة البق (فالبعوض صغار البق) ، وقيل : هي الناموسة المعلومة لدى الناس[1].
ينقضون	النقض هو حل الشيء بعد عقده .
الميثاق	العهد المؤكد باليمين .
الخاسرون	الخسران هو النقصان ، والخاسرون هم الذين نقصوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله بمعصيتهم لله عز وجل

(١) وانظر ما سيأتي في سؤال خاص بها إن شاء الله .

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : لم يصح لها سبب نزول ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الحياء لا ينبغي أن يصد عن الحق وتعلمه دلّل على ذلك ؟

ج : ابتداءً فقد جاء في فضل الحياء جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ .

- **فقد قال عليه الصلاة والسلام :** « الحياء من الإيمان »[١].
- **وقال** ﷺ : « الحياء لا يأتي إلا بخير »[٢].
- **وكان النبي** ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها[٣].
- **وقال عليه الصلاة والسلام :** « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[٤].
- **وأثنى النبي ﷺ على عثمان لحيائه** فقال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »[٥] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل الحياء .
- ولكن هذا الحياء لا ينبغي أن يصد عن معرفة الحق وتعلّمه وتعليمه فالصحابة رضي الله عنهم أعقل الناس وأشدهم حياء بعد نبيهم ﷺ ومع ذلك لم يصدهم الحياء عن الفقه في الدين ، فقد جاءت أم سليم رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .
(٢) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .
(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .
(٥) في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » ؟!!!

عنها امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم إذا رأت الماء »[1].

● وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال : جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له – وعائشة عنده – : يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : « بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك » .

● وفي الباب أيضًا ما أخرجه مالك في الموطإ[2] من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق – وهو صائم – فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم ، فعائشة العالمة الفقيهة أم المؤمنين لم يمنعها الحياء أن تعلّم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة .

● وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يُجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » ، فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه من أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم .

● ونحوه في صحيح مسلم أيضًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون :

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها .
(٢) أخرجه مالك في الموطإ (٢٩٢/١) وإسناده صحيح .

لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء ، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة رضي الله عنها فأُذِن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك ، فقالت : لا تستحِ أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت قال رسول الله ﷺ : « إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل » .

● فها هي أم المؤمنين الفقيهة العالمة عائشة رضي الله عنها تُعلِّم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك .

● وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياءُ من الفقه في الدين .

● وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بالشخص مسائله حتى يخرج عن الحيِّز المباح إلى المحظور المذموم فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، والله يؤتي الحكمة من يشاء .

✹ ✹ ✹

س : ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه بعدة أشياء اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الأشياء التي ضرب الله عز وجل بها المثل في كتابه ما يلي :

● **الذباب** قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم

الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٧٤] .

● **البعوضة** قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] .

● **العنكبوت** قال الله تبارك تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

● **الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة** ، قال الله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ [إبراهيم : ٢٤ – ٢٦] .

● **العبد المملوك** قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [النحل : ٧٥] .

● **الرجل الأبكم الذي لا يقدر على شيء** قال الله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ [النحل : ٧٦] .

● **العبد الذي فيه شركاء متشاكسون** ، قال الله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا رجلًا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجلٍ هل يستويان مثلًا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٢٩] .

● **الريح التي فيها صرٌّ** قال الله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه

الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧] .

* * *

س : ما هو وجه إيراد هذا المثل ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : ورد عن بعض أهل العلم أنهم قالوا – في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ – : هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك ، قال : ثم تلا ﴿ فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[1] [الأنعام : ٤٤] .

* * *

س : قال بعض العلماء : إذا سمعت المثل من كتاب الله فلم أفهمه حزنت على نفسي فما مستنده في ذلك ؟

ج : مستنده في ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] فأفادت الآية الكريمة أن الذين يعقلون الأمثال هم العالمون فكونه لا يفهم المثل يعني أنه ليس من العالمين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري (٥٥٥) ، (٥٥٦) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٧١) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ، وقد تكلم بعض العلماء في رواية أبي جعفر عن الربيع ، والله أعلم .

س : ما هو المراد بالبعوضة في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة .. ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : قال عدد من أهل العلم : إن المراد بالبعوضة هي صغيرة البق (أي : البق الصغير) ويطلق البعوض أيضًا على الناموس المعروف عند الناس[1].

قال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقوله عز وجل : ﴿ بعوضة فما فوقها ﴾ أي : بعوضة فما زاد عليها في الجثة أو في الغرض المقصود من التمثيل كجناحها ، والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق ، والبق يطلق على حيوان صغير شديد اللسع منتن الرائحة ضعيف جدًّا قد يقتله مجرد اللمس ويكون بجدران بعض الدور وفي فُرُشها ، وإذا ضُغط عليه بضاغط انفجر دمًا ، كما يطلق البق على الناموس[2] وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر ، وله ستة أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخرطوم مجوَّف ، وهو مع صغره يغوُصُ خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجمل قد يموت من قرصته السامة أحيانًا .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ، ما المراد به ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : فما فوقها فما هو أكبر منها ، ودليله قول النبي ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى : شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته كما

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد سمعت أهل بعض البلدان يطلقون البق على الناموس الممتلىء دمًا .

تحط الشجرة ورقها »[1].

الثاني : فما فوقها أي : فما دونها في الحقارة ، كما يُقال مثلًا فلان جاهل فتقول هو فوق ذلك ، أي : أشد من الجاهل .

قال الفراء في معاني القرآن : فالذي (فوقها) يريد أكبر منها وهو العنكبوت والذباب ولو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد أصغر منها لجاز ذلك ولست أستحسنه لأن البعوضة كأنها في غاية الصغر فأحبُّ إليَّ أن أجعل (ما فوقها) أكبر منها ، ألا ترى أنك تقول : (يُعطى من الزكاة الخمسون فما دونها) والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول فوقه ، فيهما أو دونه فيهما ، وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل : إن فلانًا لشريف فيقول السامع : وفوق ذاك ، يريد المدح ، أو يقول : إنه لبخيل فيقول الآخر : وفوق ذاك يريد بكليهما معنى أكبر ، فإذا عرفت أنت الرجل فقلت دون ذلك فكأنك تحطه عن غاية الشرف أو غاية البخل ، ألا ترى أنك إذا قلت : إنه لبخيل وفوق ذاك تريد فوق البخل ، وفوق ذاك وفوق الشرف ، وإذا قلت دون ذاك فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلًا عن درجته ، فلا تقولن وفوق ذاك إلا في مدحٍ أو ذمٍّ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله عز وجل لا يستحي أن يُمثل بأي شيءٍ كان صغيرًا أو كبيرًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قوله تعالى : ﴿ يُضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ، من قائله ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن قائله هو الله سبحانه وتعالى ، والمعنى لما قال الكفار ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلًا ﴾ فالإجابة عليهم قل إن الله يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، أي : يهدي بهذه الأمثال أناسًا كثيرين ويضل بها أناسًا كثيرين .

ومما يؤيد هذا القول قوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون * وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [المدثر : ٣١] ، فقوله تعالى : ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ من قول الله عز وجل وهو كقوله سبحانه في سورة البقرة : ﴿ يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ .

والقول الثاني : أنه من قول الكافرين ، كأنهم قالوا : ما مراد الله سبحانه وتعالى بهذا المثل الذي يفرِّق به الناس إلى ضُلالٍ ومهتدين . والله تعالى أعلم .

* * *

س : الأمثال في القرآن الكريم يُضل الله عز وجل بها فريقًا من الناس ويهدي بها فريقًا وضح ذلك ؟

ج : المثل إذا جاء في كتاب الله عز وجل ازداد به المؤمن هداية وتوفيقًا بإذن الله فإذا ضرب المثل صدق به المؤمن وعلم أنه من عند الله فيزيد الله المهتدي هدًى ويؤته تقواه أما الكافر أو المنافق والفاسق فإذا ضرب الله

عز وجل المثل ارتاب فيه وتحير وتردد في أمره واعترض فينصرف عن القرآن فيصرف الله قلبه كما قال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

***

س : من هم الفاسقون في قوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : الفاسقون هم من سبق في علم الله عز وجل أنهم يموتون على الكفر . والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى الفسق لغة وشرعًا ؟

ج : الفسق أصله في كلام العرب الخروج عن الشيء.

يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .

وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها .

وشرعًا هو الخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك سمي الفاسق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما .

وقال الله جل ذكره في صفة إبليس : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف : ٥٠] يعني : خرج عن طاعته واتباع أمره ، هذا والفسق قد يكون بكفر وقد يكون بعصيان ، وهو الوارد في السؤال التالي .

***

س : هل هناك فسق دون فسق ؟ اذكر أدلة على ما تقول ؟

ج : نعم هناك فسق دون فسق ، فهناك فسق بمعنى الكفر يخرج عن الملة ،

وفسق دون ذلك .

أما الأدلة على الفسق المخرج عن الملة فمنها :

● قوله تعالى في شأن قوم فرعون : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ [الزخرف : ٥٤] فلا شك أن قوم فرعون كانوا كفارًا ، وقد قال الله فيهم : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] .

● وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة : ٢٠] ، فهذا فسق مكفر ، وذلك لأن الله جل ذكره قال في الكفار : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] .

وأما الفسق الذي هو كفرٌ دون الكفر فمنه قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٤] فالفسق هنا أعم من كونه كفرًا فيدخل فيه القاذف المسلم ، ولا شك في ذلك .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جآءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] فالفسق هنا عام أيضًا .

● ومنه قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[١] فالفسق هنا غير مكفر ، ولا شك ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٧٠٧٦) ، وكذلك أخرجه مسلم (٦٤) ، والنسائي (١٢٢/٧) ، وابن ماجة (٦٩) .

س : ما معنى ﴿ ينقضون ﴾ [البقرة : ٢٧] ؟

ج : النقض هو إفساد ما أُبرم (من بناء أو حبل أو عهد أو غير ذلك) ومنه نقضت المرأة ضفائرها أي : حلتها بعد أن ضفرتها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العهد الذي نقضه هؤلاء الفاسقون ؟

ج : لأهل العلم في تأويل ذلك العهد وجوه منها :

١ – أنه العهد الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من صلبه كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .. ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

٢ – أنه وصية الله تعالى إلى خلقه وأمرهم بطاعته ونهيهم عن معصيته .

٣ – أنه العهد الذي أُخذ عليهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ إذا بُعث فيهم كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١] .

٤ – أنه العهود التي تكون بين الناس .

وثمَّ أقوال أُخر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة الأثر الوارد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي فيه أنه حمل قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ [البقرة : ٢٧] ، على الخوارج وكيف يوجه هذا الأثر في حالة صحته ؟

ج : الأثر صحيح ، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير [١] من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه[٢] رضي الله عنه قال : الحرورية الذين قال الله : ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ [البقرة: ٢٧].

● أما بالنسبة لتوجيه الأثر : فكما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : إنه تفسير على المعنى لا أن الآية أُريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ بالنهروان ، فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام ، والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضًا .. انتهى الغرض مما ذكره رحمه الله ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو الذي أمر الله به أن يوصل وقطعه هؤلاء الفاسقون ؟

ج : أمر الله عز وجل بأن يوصل الآتي :

١ – التصديق بجميع أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فأمرنا الله أن نؤمن بهم جميعًا ولا نكفر بواحدٍ منهم ، قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] فمن كذَّب واحدًا من

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨ ، ٢٩٣) .
(٢) وأبوه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

المرسلين فقد كذبهم جميعًا ، قال الله تعالى : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٢٣] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٤١] ، وهم إنما كذبوا نبيهم .

٢ - أمر الله عز وجل أن توصل عبادته في الأرض فيعبده كل جيل في كل زمان ومكان ويقيمون شرائعه ويحفظون حدوده .

٣ - أمر الله عز وجل بوصل القول بالعمل .

٤ - أمر الله عز وجل أن توصل الأرحام فقال سبحانه : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد : ٢٢ ، ٢٣] .

فقطع المفسدون في الأرض هذا كله ، فأشركوا بالله عز وجل ما لم ينزل به سلطانًا ، وناقض عملُهم قولَهم ، وقطعوا الأرحام وآمن بعضهم ببعض النبيين وكفر ببعض ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هي صورة الإفساد في الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ويفسدون في الأرض ﴾ [البقرة : ٢٧] ؟

ج : للإفساد في الأرض صور منها :

● عبادة غير الله عز وجل ، والجور في الأفعال ، وارتكاب الكبائر وإحداث البدع والإسراف في المعاصي وسفك الدماء .

***

س : هل يجوز نقض العهد مع الكفار أو الفساق ؟

ج : لا يجوز نقض العهد مع الكفار ولا مع الفساق ولا مع المؤمنين .

● قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [المائدة : ١] .

● وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ [النحل : ٩١ ، ٩٢] .

● وقال تعالى : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلًا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [النحل : ٩٤ ، ٩٥] .

● وأمر الله نبيه ﷺ إذا خاف من قوم خيانة أن ينبذ إليهم عهدهم قال تعالى : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

● وقال النبي ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه ... »[١].

***

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ منها حديث ابن عمر في الصحيحين (عند البخاري ٣١٨٨) ، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تكفرون بالله – استوى – فسواهن – عليم ؟

ج :

الكلمة	معناها
تكفرون بالله	تجحدون وجوده – تعبدون معه غيره .
استوى	علا وارتفع – وقيل : أقبل وقصد ، لتعديها بإلى ، والله أعلم .
فسواهن	سوى سطوحهن بالإملاس فلا اعوجاج ولا صدوع فيهن ولا فطور ، وقيل : قضاهن كما في قوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ [فصلت: ١٢]
عليم	عالم تمام العلم .

***

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] ؟

ج : في معناها قول الله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ [غافر : ١١] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم .. ﴾ [البقرة : ٢٨] استفهام ما هو المراد به ؟

ج : المراد من هذا الاستفهام التوبيخ والتعجب والتقرير فيُتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجج ، ويوبخوا لذلك ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] فيه موتتان وإحياءان وضحهما ؟

ج : أرجح الأقوال لديَّ في ذلك – والله تعالى أعلم – ما يلي :

- أن الموتة الأولى هي قبل خروجهم إلى الدنيا من بطون أمهاتهم وقت أن كانوا عدمًا أو وقت أن كانوا خاملي الذكر لا يذكرون كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ [الإنسان : ١] .
- الإحياء الأول هو خلقهم .
- والموتة الثانية هي عند انقضاء آجالهم .
- والإحياء الثاني هو إحياؤهم يوم القيامة[1]، والله تعالى أعلم .

---

(١) واختار نحوه الطبري رحمه الله تعالى : وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بيَّنَّا – =

فإن قيل : هذا لم يشتمل على الحياة التي تكون في القبر ، فالإجابة على ذلك أنها لم تذكر في هذه الآية الكريمة ؛ لأنها في حكم الحياة الدنيا أو لعلها لم يعتد بها في هذا المقام ، والله أعلم .

= بتأويل قول الله جل ذكره : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أن معنى قوله : ﴿ وكنتم أمواتًا ﴾ أموات الذكر خمولًا في أصلاب آبائكم نطفًا لا تُعرفون ولا تُذكرون فأحياكم بإنشائكم بشرًا سويًّا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتًا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك كما قال : ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب كما قال جل ذكره : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ [المعارج : ٤٣] ، وقال : ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [يس : ٥١] .

وعلّل ابن جرير رحمه الله تعالى اختياره لهذا القول بقوله (قبل أن يورده) : ١ ص ٤٢١ فأما وجه تأويل من تأول قوله : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ أي : لم تكونوا شيئًا فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس ، والأمر الخامل الذكر : هذا شيء ميت ، وهذا أمر ميت يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودُرُوس أثره من الناس ، وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه : هذا أمر حيٌّ ، وذكر حيٌّ يراد بوصفه ذلك أنه نابه متعالم في الناس كما قال أبو نُخيلة السعدي :

فأحييت لي ذكري وما كنت خاملًا ولكن بعض الذكر أنبَهُ من بعض

يريد بقوله : (فأحييت لي ذكري) أي : رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورًا حيًّا بعد أن كان خاملًا ميتًا فكذلك تأويل قول من قال في قوله : ﴿ وكنتم أمواتًا ﴾ لم تكونوا شيئًا أي : كنتم خمولًا لا ذكر لكم ، وذلك كان موتكم فأحياكم فجعلكم بشرًا أحياء تُذكرون وتُعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم من دروس ذكركم وتعفّي آثاركم وخمول أموركم ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرًا كالذي كنتم قبل الإماتة تتعارفون في بعثكم وعند حشركم . والله أعلم .

وثمَّ أقوال أخر في تفسير الإماتتين والإحياءين نورد بعضها .

● منها أن الموتة الأولى هي أثناء وجودهم في ظهر آدم عليه السلام .

والإحيـــاء الأول إخراجهم من ظهره

● والموتة الثانية هي الموت بعد أن يعيشوا ما كتبه الله لهم من عمر في الحياة الدنيا .

● والإحياء الثاني هو البعث للحساب .

● ومنها أن الموتـة الأولـى نُطفًا في أصلاب الرجال

والإحيـــاء الأول نقلهم من الأرحام

والموتة الثانية الموت في الدنيا بعد انقضاء الأجل

الإحياء الثاني الإحياء في القبر للمسألة

والموتة الثالثة هي إماتتهم في القبر

والإحياء الثالث حياة النشر إلى الحشر

فعلى هذا القول الثاني هي ثلاث إماتات وثلاث إحياءات .

وإذا انضم إليها كونهم في صلب آدم وإخراجهم من ظهره والشهادة عليهم فهي على هذا الأخير أربع موتات وأربع إحياءات.

وأضاف إليهم البعض (موتة وإحياء ليس عليهما دليل صحيح) وهما أنه سبحانه خلقهم قبل آدم كالهباء ثم أماتهم (فهي خمس إذا أضيف إليها هذا القول الذي ليس عليه دليل) وثمَّ موتة سادسة وهي للعصاة من أمة محمد ﷺ .

إذا دخلوا النار يميتهم الله عز وجل فيها إماتة ثم يحييهم[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم =

س : ما مدى صحة حديث خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ؟

ج : الراجح في هذا الحديث أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقد أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى (حديث ٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ ، لكن رجَّح الإمام البخاري رحمه اللَّه أنه من حديث أبي هريرة عن كعب الأحبار (وليس عن رسول الله ﷺ) وهذا هو الصحيح والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خلق الله لنا ما في الأرض جميعًا ؟

ج : فريق من أهل العلم يقولون : خلق اللَّه لنا ما في الأرض لنعتبر ونتعظ ونوقن بالموت وبالجزاء وبالحساب .

- ومن العلماء من يقول : خلقها اللَّه عز وجل للانتفاع بها .
- ومن العلماء من يقول : (لتتقووا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته) .

= لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » فقال رجل من القوم : كأن رسول اللَّه ﷺ قد كان بالبادية .

• والصواب في ذلك عندي – واللّه أعلم – أن كل ذلك وارد فمما خلقه اللّه لنا أشياء للانتفاع ، ومما خلقه اللّه لنا أشياء للاعتبار والاتعاظ ، ومما خلقه اللّه لنا أشياء لنتقوى بها على طاعته سبحانه وننزجر بها عن معصيته واللّه أعلم .

***

س : بعض العلماء يرى أن الأصل في الأشياء المخلوقة هو الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل هل من دليل يشهد لهم على صحة ما ذهبوا إليه ؟

ج : الدليل هو قوله تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه ﴾ [الجاثية : ١٣] واللّه تعالى أعلم .

***

س : أيهما خُلق أولًا الأرض أم السماء ؟

ج : نورد هنا أولًا – بمشيئة اللّه تعالى – جملة الآيات التي يمكن أن يُستدل بها في هذا الباب .

الآية الأولى • قال اللّه تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] .

الآية الثانية • قول اللّه تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى

السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ [فصلت : ٩ - ١٢] .

الآية الثالثة ● وقال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٣] .

الآية الرابعة ● وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

الآية الخامسة ● وقال تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

هذا غاية ما يمكن أن يُستدل به في هذا المقام ، وبالنظر في مجمل هذه الأدلة لم يتضح لي منها أيهما خُلق أول على وجه التحديد الدقيق فغاية ما يستفاد منها لدي ما يلي :

الآية الأولى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] يُستفاد منها أن خلق ما في الأرض جميعًا كان قبل تسوية السموات[١] .

الآية الثانية*: وهي قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم

(١) وهذا إذا اعتبرنا أن (ثمَّ) هنا تفيد الترتيب الزمني .

استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت : ٩ - ١١] .

تُفيد هذه الآية الكريمة أن خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كان قبل الاستواء إلى السماء وهي دخان .

● لكن لنا عند هذه الآية الكريمة وقفة تتلخص في الآتي :

● أن الأرض خلقت في يومين كما قال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ .

● أن جعل الرواسي من فوقها والبركة فيها وتقدير الأقوات فيها كل ذلك كان في أربعة أيام كما قال تعالى : ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقَدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ .

لكن ينشأ هنا سؤال ألا وهو : هل الأربعة أيام تبدأ من ابتداء خلق الأرض أم بعد اليومين اللذين خلق اللَّه عز وجل فيهما الأرض ؟

● فإن قلنا بالأول فيستقيم لنا القول إلى حدٍّ ما فيكونُ خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كل ذلك في أربعة أيام .

وقضاء السموات السبع كان في يومين فيكون الإجمالى ستة أيام ، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

● وإن قلنا بالثاني تكون الأرض خلقت في يومين ، وتقدير الأقوات في أربعة أيام ثم يأتي قضاء السموات في يومين فيكون الإجمالي ثمانية أيام ، وهذا لا يوجد له مستند صحيح - فيما علمت - بل المستند يعارضه وهو قوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ إلا أن يُقال : إن خلق السموات وكونها كانت دخانًا كان قبل خلق الأرض لقوله تعالى :

﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ فهذا له وجه والله أعلم .

الآية الثالثة : وهي قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها ... ﴾ [النازعات : ٢٧] تُفيد أن بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإخرج ضحاها كان قبل دحو الأرض .

أما الآية الرابعة : فليس فيها دليل واضح يُحدد أيتهما خلق أول .

والآية الخامسة : تفيد أنهما كانتا رتقًا (أي : ملتصقتين) .

هذا غاية ما ظهر لي من أدلة من كتاب الله عز وجل يمكن أن يستشهد بها وهذه أوجه الاستشهاد التي ظهرت لي منها وها هي أيضًا أقوال بعض العلماء في هذا الباب ، وبالله التوفيق .

● أخرج البخاري[1] في صحيحه من طريق المنهال عن سعيد قال : **قال رجل لابن عباس :** إني أجد في القرآن أشياء يختلف عليَّ ، قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

وقال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ [النساء : ٤٢] ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام : ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية وقال : ﴿ أم السماء بناها – إلى قوله دحاها ﴾ [النازعات : ٢٧–٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين – إلى طائعين ﴾ [فصلت : ٩ –١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى ﴿ وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ٩٦] ﴿ عزيزًا حكيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] ﴿ سميعًا بصيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] فكأنه كان ثم مضى فقال ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ في النفخة الأولى ، ثم يُنفخ في الصور ﴿ فصعق من في

---

(١) وصله البخاري رحمه الله تعالى بعد إيراد الحديث وذلك (مع الفتح ٨/٥٥٥ – ٥٥٦) .

السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللّه ﴾ [الزمر : ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾[الطور : ٢٥] ، وأما قوله : ﴿ ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ ولا يكتمون اللّه ﴾ فإن اللّه يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عُرف اللّه لا يكتم حديثًا، وعنده ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ [النساء:٤٢]، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿ دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] ، وقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ [فصلت : ٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين ﴿ وكان اللّه غفورًا رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥] سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله أي لم يزل كذلك ، فإن اللّه لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلًا من عند اللّه .

● **وذكر الحافظ ابن كثير رحمه اللّه جملة الآيات ثم قال : وفي** هذا دلالة على أنه ابتدأ بخلق الأرض أولًا ثم خلق السموات سبعًا ، وهذا شأن البناء أن يُبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك ، وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء اللّه ، فأما قوله تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقًا أما السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٣] فقد قيل : إن ثمَّ ههنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر .

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل : إن الدحي كان قبل خلق السموات .

ثم قال ابن كثير رحمه اللَّه بعد أن ذكر قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ... ﴾ [فصلت : ١١] وقوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ... ﴾ [فصلت : ٩] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء ، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض ، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها ﴾ قالوا : فذكر خلق السماء قبل الأرض **وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء ، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء ، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا و حديثًا** ، وقد حررنا ذلك في سورة النازعات ، وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت سورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كانت مودعًا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها ، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم .

● **أما القرطبي رحمه اللَّه تعالى** فذكر أقوالًا وختمها بقوله : فقد اختلفت فيه الأقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل ، واللَّه أعلم بما فعل .

وقال ابن جزي الكلبي في تفسيره : فائدة : هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾

ظاهره خلاف ذلك والجواب من وجهين : أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكون ثم لترتيب الأخبار والله أعلم .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى في فتح القدير : وقد استدل بقوله تعالى : ﴿ ثم استوى ﴾ على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء ، وكذلك الآية التي في حم السجدة[1] وقال في النازعات : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها ﴾ فوصف خلقها ثم قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فكأن السماء على هذا خلقت قبل الأرض ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ [الأنعام : ١] وقد قيل: إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ، ودحوها متأخر ، وقد ذكر نحو هذا جماعة من أهل العلم ، وهذا جمع جيد لا بد من المصير إليه ولكن خلق ما في الأرض لا يكون إلا بعد الدحو[2] ، والآية المذكورة هنا دلت على أنه خلق ما في الأرض قبل خلق السماء ، وهذا يقتضي بقاء الإشكال وعدم التخلص منه بمثل هذا الجمع .

● **وقد أورد صديق حسن خان في كتابه (فتح البيان)** قول الشوكاني هذا ثم قال : ذكر رحمه الله في السورتين المذكورتين أن (ثمَّ)[3] للتراخي الرتبي لا للتراخي الزماني ، أو أن (بعد) بمعنى مع

---

(١) يعني فصلت والمراد بالآية قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ... ﴾ الآيات .

(٢) لا يلزم ذلك فالله على كل شيء قدير .

(٣) **قال الرازي رحمه الله تعالى (التفسير الكبير ٢ / ١٤٣) :** الصحيح أن قوله (ثم) ليس للترتيب ههنا وإنما هو على جهة تعديد النعم ، مثاله قول الرجل لغيره : أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا ههنا ، =

كما في قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٣] أو أنها بمعني قبل كقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] أي : من قبل الذكر فيزول ما ذكره رحمه اللّٰه تعالى من بقاء الإشكال .

وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقد ظن بعض الناس في قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ حسبوا أنه يدل على أن الأرض مخلوقة بعد السماء ، وهو فهم خاطىء لأن قوله عز وجل ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] أي مع ذلك لأن قوله هنا بعد ذلك فبعد تستعمل بمعانٍ منها (مع) الذي هو المراد هنا وكأنه يقول إن في خلق السموات والأرض آيةٌ بينةٌ كافية شافية في قدرة اللّٰه على كل شيء ، ومع ذلك فقد خلق الأرض فهي آية أخرى كافية شافية وقد استعمل[1] القرآن كلمة بعد بمعنى (مع) في قوله عز وجل : ﴿ عتلّ بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم: ١٣]، أي غليظ جافٍ ومع ذلك فهو زنيمٌ أي: دَعِيٌّ، ولا شك أن هذا الوصف بكونه زنيمًا عرف فيه قبل وصفه بالأوصاف السابقة إذ نسب إلى ذلك عندما جاءت به أمه لعنه اللّٰه[2] وصريح القرآن ناطق بأن اللّٰه خلق الأرض قبل خلق السموات في

= واللّٰه أعلم .

● **وقال الزمخشري في الكشاف :** (ثمَّ) ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ [البلد : ١٧] .

(١) كلمة (استعمل القرآن) ، أو (يقول القرآن) لم أعهدها مستعملة في قول النبي ﷺ ولا في أصحابه رضي اللّٰه عنهم ، فالذي أراه – واللّٰه أعلم – أنها تبدل بالوارد في السنة وفعل الصحابة رضي اللّٰه عنهم كأن يقول قال اللّٰه في كتابه الكريم ونحو ذلك ، واللّٰه أعلم .

(٢) سيأتي بيان ما في هذا في محله إن شاء اللّٰه .

أكثر من مقامٍ في الذكر الحكيم .

قلت : وثم قول آخر يتألق بدليله ألا وهو أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين فانفصلت إحداهما عن الأخرى ، انفصلت السماء على أنها دخان ، والدليل على هذين قوله تعالى : ﴿ أوَ لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وكما قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت : ١١] فتمت بعض الأعمال في الأرض ثم استوى ربنا سبحانه إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات ، وبعد ذلك دُحيت الأرض ، واللَّه أعلم بما فعل وأحكم ، ورد العلم إليه أولى وأسلم .

❋ ❋ ❋

س : استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] على تحريم أكل الطين فما هو وجه استدلالهم وما مدى صحته ، وما هو حكم أكل الطين على الصحيح ؟

ج : أما وجه استدلالهم فهو أنهم قالوا : إن اللَّه تعالى خلق لنا ما في الأرض دون نفس الأرض ، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي .

أما حكم أكل الطين فهو محرم – واللَّه أعلم – لكونه مضرٌّ بالصحة ، ولأنه ليس من الطيبات من الرزق .... إلى غير ذلك ، واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (استوى) في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ ؟

ج : ابتداء من أهل العلم من سكت عن تفسير الاستواء في هذه الآية

الكريمة ، فقال هذا الفريق من أهل العلم : **نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها** ، ونقل عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه قال – وقد سأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] قال مالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[١]، أخرجوه .

بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى تأويلها والتماس معانيها ، ولهؤلاء جملة أقوال في تفسيرها أشهرها قولان :

الأول : استوى هنا بمعنى علا وارتفع واستدل أصحاب هذا القول بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] وبقوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ... ﴾ [الزخرف : ١٣] .

. وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وعددٍ من المفسرين .

● وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره : قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : أي : ارتفع إلى السماء .

الثاني : أن استوى هنا معناه قصد ، وهذا اختيار طائفة من أهل العلم منهم الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] أي : قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّي بإلى .

● وذكر الماوردي رحمه الله في تفسيره (النكت والعيون) أربعة معان أخر للاستواء .

---

(١) نقله عنه غير واحد منهم الطبري رحمه الله .

● وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره : (استوى) ترد في القرآن على ثلاثة معان فتارة لا تعدى بالحرف فيكون معناها الكمال والتمام كما في قوله عن موسى ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ [القصص : ١٤] وتارة تكون بمعنى (علا) ، و (ارتفع) وذلك إذا عُدِّيت بـ (على) كقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ، و ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ [الزخرف : ١٣] وتارة تكون بمعنى (قصد) كما إذا عُدِّيت بـ (إلى) كما في هذه الآية ، أي : لما خلق الله تعالى الأرض قصد إلى خلق السموات فسواهن سبع سموات فخلقها وأحكمها وأتقنها .

ويجدر بنا أن ننقل قول الطبري رحمه الله تعالى في هذا المقام[1].

قال رحمه الله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : « ثم استوى إلى السَّماء » .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلًا على فلان ، ثم استوى عليَّ يشاتمني – واستوى إلي يشاتمني . بمعنى أقبل عليَّ وإليَّ يشاتمني . واستُشْهِد على أنَّ الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر :

أَقُولُ وقد قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى   سَوَامِدَ، واسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ[2]

---

(١) وهذه الإطالة لأن كلمة (استوى) ستكرر كثيرًا فحتى لا أرجع إلى الإطالة في تأويلها أطلت في هذا المقام وما توفيقي إلا بالله .

(٢) البيت لتميم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته « ثواني » مكان « سوامد » . وشرورى : جبل بين بني أسد وبني عامر ، في طريق مكة إلى =

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضَّجوع ، وكان ذلك عندهم بمعنى : أقبلن . وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : « واستوين من الضجوع » ، استوين على الطريق خارجات ، بمعنى استقمن عليه .

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ، ثم تحوَّل إلى الشام . إنما يريد : تحوَّل فِعله . [وقال بعضهم : وله : « ثم استوى إلى السماء » يعني به : استوت] .

كما قال الشاعر :

أقولُ له لمَّا استَوى في تُرَابه عَلَى أَيِّ دِين قتَّل النَّاس مُصْعَبُ

وقال بعضهم : « ثم استوى إلى السماء » ، عمدَ لها . وقال : بل كلُّ تارك عملًا كان فيه إلى آخر ، فهو مُستوٍ لما عمدَ له ، ومستوٍ إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوُّ هو الارتفاع . وممن قال ذلك الربيع بن أنس .

حُدِّثت بذلك عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « ثم استوى إلى السماء » . يقول : ارتفع إلى السماء[1].

ثم اختلف متأوِّلو الاستواء بمعنى العلوِّ والارتفاع ، في الذي استوى إلى السماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها

= الكوفة . والضجوع – بفتح الضاد المعجمة – : موضع أيضًا بين بلاد هذيل وبني سليم . وقوله : « سوامد » جمع سامد . سمدت الإبل في سيرها : جدت وسارت سيرًا دائمًا ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دوائب لا يلحقهن كلال . والنون في « قطعن » للإبل . قاله أحمد شاكر رحمه الله.

(١) ضعيف لقوله حُدثت .

ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخانُ الذي جعله الله للأرض سماء .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاءُ شباب الرجل وقوَّته ، فيقال إذا صار كذلك : قد استوى الرَّجُل . ومنها : استقامة ما كان فيه أَوَدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمرُه . إذا استقام بعد أَوَدٍ ، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم :

طالَ على رَسْمِ مَهْدَدٍ أَبَدُهْ وعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَــدُه

يعني : استقام به . ومنها : الإقبال على الشيء يقال : استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بَعد الإحسان إليه . ومنها : الاحتياز والاستيلاء ، كقولهم : استوى فلانٌ على المملكة . بمعنى : احتوى عليها وحازَها . ومنها : العلوّ والارتفاع ، كقول القائل : استوى فلان على سريره . يعني به : علوَّه عليه .

وأَوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن ﴾ ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهنَّ بقدرته ، وخلقهنَّ سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه — إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك — أن يكون إنما علَا وارتفع بعد أن كان تحتها — إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر . ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله « استوى » أقبلَ ، أفكان مدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنَّ ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقُلْ : علا عليها علوَّ مُلْك وسُلْطان ، لا علوَّ انتقال وزَوال . ثم لن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد

قول كل قائل قال في ذلك قولًا ، لقول أهل الحق فيه مخالفًا . وفيما بينا منه ما يُشرِف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فسواهن ﴾ ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال متقاربة ، منها :

- سوى سطوحهن بالإملاس .
- وقيل : جعلهن سواء .
- وقيل : قضاهن ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] .
- وقيل : عدل خلقهن فلا اعوجاج فيها ولا فطور[1] ولا صُدوع .
- وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله تعالى : ﴿ فسواهن ﴾ فإنه يعني : هيأهن وخلقهن ودبَّرهن وقوَّمهن ، والتسوية في كلام العرب التقويم والإصلاح والتوطئة كما يقال : سوَّى فلان لفلانٍ هذا الأمر إذا قوَّمه وأصلحه ووطَّأه له ، فكذلك[2] تسوية الله جل ثناؤه سماواته تقويمه إياهن على مشيئته وتدبيره لهن على إرادته وتفتيقهن بعد ارتتاقهن ، والله أعلم .

* * *

س : ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم عدة آيات تُفيد أن السموات سبع منها قوله تعالى : ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ﴾ [الملك : ٣] وقال تعالى :

---

(١) الفطور : التشققات ، ومنه تفطرت قدماه ... ، وقوله تعالى : ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ [الملك : ٣] .

(٢) كذا قال ، وهي مع الفارق ولا شك .

﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ [المؤمنون : ٨٦] إلى غير ذلك من الآيات وكذلك من الأحاديث في حديث المعراج ما يشهد لكون السموات سبع إلى غير ذلك من الأحاديث ، فهل من دليل يفيد أن الأرضين سبع ؟

ج : أما من كتاب الله عز وجل فلا أعلم دليلًا صريحًا على أن الأرضين سبع إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] وهذا إذا أريد بالمثلية هنا المماثلة في العدد .

● أما من السنة فمن الأدلة التي تشير إلى ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ظلم من الأرض شيئًا طُوِّقه من سبع أراضين »[1].

* * *

س : أين الله ؟ اذكر الأدلة على ما تقول .

ج : الله سبحانه وتعالى في السماء مستوٍ على العرش ، أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة منها أدلة من كتاب الله وأدلة من سنة رسول الله ﷺ أما الأدلة من الكتاب العزيز فمنها ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك : ١٦،١٧] .

● قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢) ، ومسلم (١٦١٠) .

● قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [النحل : ٥٠] .

● قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ .. ثم استوى على العرش الرحمن ﴾ [الفرقان: ٥٩] .

● قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

● قوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ [السجدة : ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [النحل : ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

أما الأدلة من السُّنة ففي غاية الكثرة أيضًا نورد منها :

● قول النبي ﷺ : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً ... » الحديث[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري =

● ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى حديث (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » ، قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه ، قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : **زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .**

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي » . أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ، ومسلم (٢٧٥١) .

● وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري رحمه الله تعالى (٧٤٢٣) عن النبي ﷺ قال : « **من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يُدخله الجنة هاجر في سبيل الله**

= رضي الله عنه قال : بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ ، من اليمن ، بذهبةٍ في أديم مقروظ. لم تحصل من ترابها . قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن عُلاثة وإما عامر بن الطفيل . فقال رجلٌ من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء . قال : فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » قال : فقام رجلٌ غائر العينين . مشرف الوجنتين . ناشز الجبهة . كث اللحية . محلوق الرأس . مشمر الإزار . فقال : يا رسول الله ! اتق الله . فقال : « ويلك ! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله » قال : ثم ولى الرجل . فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا . لعله أن يكون يُصلي » . قال خالدٌ : وكم من مصل يقولُ بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني لم أُومر أن أنْقُبَ عن قلوب الناس . ولا أشق بطونهم » قال : ثم نظر إليه وهو مقفٍّ فقال : « إنه يخرج من ضِئْضِىءِ هذا قومٌ يتلون كتاب الله . رطبًا لا يجاوز حناجرهم . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . قال : أظنه قال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود » .

أو جلس في أرضه التي ولد فيها » ، قالوا : يا رسول الله أفلا ننبىء الناس بذلك قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة[1] وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة » .

● قول النبي ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

● قول النبي ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر **ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم – وهو أعلم بهم** كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » . أخرجه البخاري (حديث ٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) .

● قول النبي ﷺ للجارية : « **أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله فقال النبي ﷺ : « أعتقها فإنها مؤمنة** » . أخرجه مسلم (حديث ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه به .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (ص ١٠٦٠) وفيه أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها (وفي رواية : إلى فراشه) فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها » .

أخرج مسلم[2] حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حجة النبي

---

(١) ومن المعلوم أن الجنة في السماء وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله بما فيه كفاية .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال : ... « وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه **السبابة يرفعها إلى السماء** وينكتها **إلى الناس** « **اللهم اشهد اللهم اشهد** » **(ثلاث مرات ...)** الحديث .

● وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعائشة رضي الله عنها ... : وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين[1]... الحديث .

● وأخرج البخاري[2] رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب **ولا يصعد** [3] **إلى الله إلا الطيب** فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل » .

● وأخرج مسلم في صحيحه[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ » [المؤمنون : ٥١] .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة: ١٧٢]

● ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد **يديه إلى السماء**

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٧٦) .
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) .
(٣) هكذا في هذه الرواية للبخاري ، وفي رواية البخاري الأخرى ورواية مسلم (١٠١٤) : « ولا يقبل » .
(٤) حديث (١٠١٥) .

يا رب يا رب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك » .

● وأخرج مسلم[1] رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه **يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل** حجابه النور (وفي رواية النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

● ومنها حديث مالك بن صعصعة[2] رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان – وذكر يعني رجلًا بين الرجلين – فَأُتيتُ بطست من ذهب ملآن حكمةً وإيمانًا ، فَشُقَّ من النحر إلى مراق البطن ، ثم غسل البطن بماءِ زمزم ، ثم ملئ حكمةً وإيمانًا وأُتيت بدابةٍ أبيض دون البغل وفوق الحمار : البراق ، فانطلقت مع جبريل ، حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ؛ ولنعم المجيءُ جاء . فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من ابن ونبي . فأتينا السماء الثانية . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك . قال : محمد ﷺ ، قيل : أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيءُ جاء . فأتيت على عيسى ، ويحيى ، فقالا : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (حديث ١٦٤) .

نعم . قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء. فأتيت على يوسف فسلمت ، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي . فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فأتينا السماء الخامسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء . فأتينا على هارون ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا على السماء السادسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ، نعم المجيء جاء . فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فلما جاوزت بكى ، فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب ، هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي . فأتينا السماء السابعة ، قيل : من هذا ؟ : قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍّ . فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملكٍ ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم . ورفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران . فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات . ثم فرضت علي خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت : فرضت علي خمسون صلاة . قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، وإن أمتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله . فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين ، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل

عشرًا فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسًا فأتيت موسى فقال : ما صنعت ، قلت : جعلها خمسًا فقال مثله قلت : فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرًا » .

وأخرج البخاري (حديث ٦٤٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم عز وجل – وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول : كيف لو رأوني : قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا . قال : يقول : فما يسألوني ؟! قال : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا ،وأشد لها طلبًا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم » .

وأخرج البخاري[1] رحمه الله تعالى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٨٠٠) .

خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – ووصف سفيان بكفه فحرَفها وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء » .

وأخرج البخاري (حديث ١١٤٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ومسلم حديث (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ » .

❋ ❋ ❋

س : وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالعلم في جملة آيات اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله عالم غيب السموات والأرض ﴾ [فاطر : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ [هود : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ [الرعد : ٨] .

●وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ [القصص : ٦٩] .

● وقال تعالى : ﴿ واللّه يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧].

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] ؟

ج : أوجز الطبري رحمه اللّه تعالى القول في هذا فقال في تفسيره ص٤٣٧ : فمعنى الكلام إذًا : هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الأرض جميعًا وسخره لكم تفضلًا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغًا في دنياكم ومتاعًا إلى موافاة آجالكم ودليلًا لكم على وحدانية ربكم ثم علا إلى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه ، وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه .

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٣٠

س : اذكر معاني هذه الكلمات : جاعل – يسفك الدماء – نسبح بحمدك – نقدس لك ؟

ج :

الكلمة	معناها
جاعل	خالق
يسفك الدماء	السفك هو الصب ولا يكون إلا في الدماء – والمراد بسفك الدماء : القتل والله أعلم
نسبح بحمدك	ننزهك عن كل ما لا يليق بك ونحمدك إذ وفقتنا له أو نقول : (سبحانك اللهم وبحمدك) أو سبحان الله وبحمده ، نمزج الحمد بالتسبيح – نسبحك ونحمدك
نقدس لك	نطهرك من كل ما يصفك به أعداؤك من كل ما لا يليق بك .

❋ ❋ ❋

س : ما هو اتصال هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .... ﴾ [البقرة : ٣٠] بالآيات التي قبلها ؟

ج : قال القاسمي رحمه اللّه تعالى في محاسن التأويل في الفوائد المستنبطة من هذه الآية : الرابع : تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا ، فإذا كان الملأ الأعلى قد مُثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين ، وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل اللّه الملائكة المقربين ، أي فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين وترشد المسترشدين وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبين ، وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب[١] ، وكونه لا ريب فيه ، والرسول ، وكونه يُبلغ وحي اللّه تعالى ويهدي به عباده واختلاف الناس فيها .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم أن يكون هناك ترابط بين معنى الآية والآية التي تليها ، وتكون هناك مناسبة لذكر آية بعد آية ؟

ج : قد يلزم ذلك في بعض الأحيان ويكون هناك صلة قوية ومناسبة لائقة لإيراد آية بعد آية تمم معناها وتوضح مبناها وتفسر ما غمض منها وتزيل ما أشكل فيها إلى غير ذلك من المناسبات التي تربط الآيات بعضها ببعض هذا في كثير من الأحيان ، لكن لا يستلزم أن يكون هذا موجودًا في كل الأحيان فأحيان تكون الآية الجديدة تبدأ بمعنى جديد لا علاقة له بالمعنى الذي سبقه ، ولندع المجال للشوكاني رحمه الله حيث ذكر في فتح القدير ما نصُّه[٢].

---

(١) أي القرآن ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] .
(٢) فتح القدير (٧٢/١) .

اعلم أن كثير من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأى المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب اللّه سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهمّ من التأليف ، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدّمه حسبما ذكر في خطبته ، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرَّقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إلى أن قبضه اللّه عزّ وجل إليه ، وكل عاقل فضلًا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها ، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالًا ، وتحليل أمر كان حرامًا ، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله ، وتارة يكون الكلام مع المسلمين ، وتارة مع الكافرين ، وتارة مع من مضى ، وتارة مع من حضر ، وحينًا في عبادة ، وحينًا في معاملة ، ووقتًا في ترغيب ، ووقتًا في ترهيب ، وآونة في بشارة ، وآونة في نذارة ، وطور في أمر دنيا ، وطورًا في أمر آخرة ، ومرة في تكاليف آتية . ومرة في أقاصيص ماضية ؛ وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها ، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي ، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض ، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور ، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع أي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف ، تقرَّر عنده أن هذا أمر لا بد منه ،

وأنه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة ، وتبين الأمر الموجب للارتباط ؛ فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك ، فوجده تكلفًا محضًا ، وتعسفًا بيِّنًا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة ، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبًا على هذا الترتيب الكائن في المصحف ؛ فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب ، وأيسر حظ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنه لم يكن كذلك ، ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول ، المطلعين على حوادث النبوَّة ، فإنه ينثلج صدره ، ويزول عنه الريب ، بالنظر في سورة من السور المتوسطة ، فضلًا عن المطوَّلة لأنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوداث مختلفة ، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب ، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أوَّل ما نزل - ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق : ١] - وبعده - ﴿ يا أيها المدثر ﴾ [المدثر : ١] - ﴿ يا أيها المزمل ﴾ [المزمل : ١] - وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف ؟ وإذا كان الأمر هكذا ، فأيُّ معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعًا أنه قد تقدَّم في ترتيب المصحف ما أنزله اللَّه متأخرًا ، وتأخر ما أنزله اللَّه متقدمًا ، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن ، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدَّى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس ، وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته ، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحًا وأخرى هجاء ، وحينًا نسيبًا وحينًا رثاء ، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة ، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ، ثم تكلف تكلفًا

آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك ؛ وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك ، لعدَّ هذا المتصدي لمثل هذا مصابًا في عقله متلاعبًا بأوقاته عابثًا بعمره الذي هو رأس ماله ؛ وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة ، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر ، فكيف تراه يكون في كلام اللَّه سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب ، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربيٌّ ، وأنزله بلغة العرب ، وسلك فيه مسالكهم في الكلام ، وجرى به مجاريهم في الخطاب . وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة ، وطرائق متباينة فضلًا عن المقامين ، فضلًا عن المقامات ، فضلًا عن جميع ما قاله ما دام حيًّا ، وكذلك شاعرهم . ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحتها كثير من المحققين ، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام ههنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام ، فإذا قال متكلف : كيف ناسب هذا ما قبله ؟ قلنا : لا كيف .

فدع عنك نهبًا صيح في حجراته   وهات حديثًا ما حديث الرواحل

✵ ✵ ✵

س : ما هو العامل في (إذ) عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : العامل فيها (واذكر)[1] ، والمعنى : واذكر يا محمد إذ قال ربك

---

(١) هذا هو رأي الأكثر ، وبعض العلماء يقول : العامل فيه : وابتدأ خلقكم بقوله سبحانه للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وثم قول ثالث وهو اعبدوا ربكم الذي خلقكم .. إذ قال للملائكة .... واللَّه أعلم .

للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قال صديق حسن خان في فتح البيان بعد أن أورد ما ذكرته : وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله ، وقيل : إذ زائدة والأول أوجه[1] قلت : يعني رحمه الله : أن كل ما فيه (إذ ..) فالعامل فيه واذكر ، وهذا الذي ذكره صديق حسن خان رحمه الله هو قول البغوي رحمه الله في تفسيره .

***

س : ما معنى (إذ) وما الفرق بين (إذ) ، و (إذا) ؟

ج : قال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره : و **(إذ)** ، و **(إذا)** حرفا توقيت إلا أن **(إذ)** للماضي ، و **(إذا)** للمستقبل ، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر ، قال المبرد : إذا جاء **(إذ)** مع المستقبل كان معناه ماضيًا كقوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ [الأنفال: ٣٠] يريد (وإذ مكروا) ، وإذا جاء **(إذا)** مع الماضي كان معناه مستقبلًا كقوله : ﴿ فإذا جاءت الطامة ﴾ [النازعات : ٣٤] ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ [النصر : ١] أي : يجيء ، والله أعلم .

***

س : من هم الملائكة ؟

ج : هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ،

---

(١) هكذا تلطَّف صديق حسن خان رحمه الله مع من قال : إنها زائدة يعني : **(إذ)** بينما اشتد نكير غيره على من قال : إنها زائدة ، قال القرطبي رحمه الله : وأنكر هذا القول (أي : القول بأن (إذ) زائدة) الزَّجاجُ والنحاس وجميع المفسرين ، قال النحاس : وهذا خطأ لأن **(إذ)** اسم وهي ظرف زمان ليس مما تزاد ، وقال الزجاج : وهذا اجترام من أبي عبيدة **(قلت)** ورده الطبري أيضًا واستفاض في الرد ، وقال ابن عطية : وكذلك رد عليه جميع المفسرين .

يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، خلقهم اللّٰه عز وجل من (نور) كما قال النبي ﷺ[1] .

● خلقهم الله عز وجل أقوياء أمناء كما قال سبحانه عن جبريل (وهو أحدهم) : ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ ، ٢٠] .

● وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ – قال في شأن جبريل –: «لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين – رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض»[2] .

● وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « جاءني جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال : يا محمد فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » ، فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » .

● والملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع فمنها ما له جناحان ومنها ما له ثلاث ومنها ما له أربع كما قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ [فاطر : ١] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٩٤) ، وأحمد (١٥٣/٦ و ١٦٨) وغيرهما من حديث عائشة رضي اللّٰه عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٧) ، والبخاري (٤٨٥٥) وغيرهم وتعني بالمرتين المرتان المذكورتان في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلةً أُخرى ﴾ .

(٣) البخاري حديث (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) .

● والملائكة في أعمالهم متخصصون فمنهم من يحف مجالس الذكر ، ومنهم ملك الجبال ، ومنهم ملائكة موكلة بحفظ أعمال العباد من خيرٍ أو شرٍّ ، ومنهم خزنة السماء ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم ملائكة تبلغ رسول الله ﷺ صلاة من صلى عليه وتسليم من سلم عليه ، ومنهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم رسل الله إلى عباده المرسلين ، ومنهم من يقبض الأرواح ، ومنهم من وكِّل بالنفخ في الصور ، ومنهم من يقاتل ، ومنهم من يؤيد المقاتلين المسلمين .. إلى غير ذلك من الأعمال ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من هو الخليفة المذكور في قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : المراد بالخليفة هنا – واللَّه أعلم – آدم عليه السلام ، وهذا رأي أكثر أهل العلم ، حتى قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : والمعني بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام ، وهو خليفة اللَّه في إمضاء أحكامه وأوامره أما الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى فاعترض على ما ذكره القرطبي رحمه اللَّه فقال : إني جاعل في الأرض خليفة أي : قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرنٍ وجيلًا بعد جيل كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [فاطر : ٣٩] وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [النمل : ٦٢] وقال : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ [الزخرف : ٦٠] وقال : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ [مريم : ٥٩] وقرئ في الشاذ (إني جاعل في الأرض خليقة) حكاها الزمخشري وغيره ، ونقله القرطبي عن زيد بن علي ، وليس المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين ، وعزاه القرطبي إلى ابن

عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر ، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره ، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذ لو كان ذلك لما حسُن قول الملائكة[1] : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية ... إلى آخر ما قال رحمه اللَّه ، قلت : فيتحصل : أن المراد بالخليفة لأهل العلم فيه قولان .

أشهرهما أنه آدم ﷺ فهو خليفة اللَّه في أرضه في تنفيذ أوامره[2] وهذا قول الأكثرين ، والثاني : أن خليفة (مفرد) أريد به الجمع ، والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مرادًا به الجمع كقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ [القمر : ٥٤] يعني : وأنهار[3] بدليل قوله تعالى : ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ [محمد : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] وقوله تعالى : ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [النساء : ٤] وقول العباس بن مرداس السلمي :

فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد سلمت من الأرض الصدور

وأنشد له سيبويه قول علقمة بن عبدة التميمي :

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

وقول الآخر :

كلوا في بعض بطنكم تعفو ... فإن زمانكم زمن خميص

---

(١) وهذا تعليل ضعيف من الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى .

(٢) وسيأتي لذلك مزيد .

(٣) ذكره الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى (أضواء البيان ص١/٥٧) وقال بعد ذكره : ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن علَّفة المري :

وكان بنو فزارة شر عمٍّ ... وكنت لهم كشرِّ بني الأخينا

س : قوله تعالى : ﴿ خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] يقتضي أن هذا الخليفة يخلف غيره في الأرض ، فمن الذي يخلفه الخليفةُ في الأرض ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

- أنه خليفة اللَّه عز وجل في أرضه في تنفيذ أوامره .
- وقيل : إنه خليفة لقومٍ من الجن كانوا يسكنون الأرض قبله .
- وقيل : إنه خليفة لقوم من الملائكة كانوا يسكنون الأرض ، وأولى هذه الأقوال هو الأول لأنه لم يرد لنا نص من كتاب اللَّه أو من سنة رسول اللَّه ﷺ يفيد أن هناك جنًّا أو ملائكة كانوا يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام ، وإنما هي أخبار إسرائيلية[1]، واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب نصب خليفة للناس ؟

ج : رأى أكثر العلماء وجوب نصبه ، وقال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم .. ، ثم قال رحمه اللَّه تعالى : ودليلنا قول اللَّه : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة: ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٣٢٢) من طريق علي بن محمد الطنافسي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد اللَّه بن عمرو قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث اللَّه جندًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فقال اللَّه تعالى للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ قال تعالى : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] ، والذي يظهر لي أن هذا من الإسرائيليات ، واللَّه تعالى أعلم .

خليفة في الأرض﴾ [ص : ٢٦] وقال : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ [النور : ٥٥] أي : يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات .

وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من كفار قريش ، ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريشٍ ، فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها ، ولقال قائل : إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمرٍ غير واجب ، ثم إن الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك ، فدلَّ على وجوبها وأنها ركنٌ من أركان الدين الذي به قوام المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

قلت : فتتلخص الأدلة على وجوب نصب الخليفة في الآتي .

● أولًا : إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك ، ومنهم الخلفاء الراشدون مع قول النبي ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين »[1].

● ثانيًا : آيات يُستأنس بها مثل قوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ [ص : ٢٦] .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٠٧) ، وابن ماجه (حديث رقم٤٢) ، والترمذي (حديث ٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (١٢٦/٤) ، وابن أبي عاصم في السُّنة (حديث ٥٤ و ٥٥) ، والدارمي (٤٤/١ – ٤٥) ، وابن حبان (موارد الظمآن ١٠٢) ، والحاكم (٩٥/١ – ٩٦) وقال : هذا حديث صحيح ليس له علة .

● ثالثًا : حاجة الناس إلى الخليفة لإقامة فرائض الله عز وجل وحدوده وأمور الدين ومصالح العباد ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُختار الإمام ؟

ج : ذكر العلماء لذلك أمورًا منها :

● ورود نصٍّ عن رسول اللّه ﷺ في تحديده .

● اكتمال خصال الإمامة فيه واختيار أهل الحل والعقد له .

● أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

● أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذٍ من شق عصا المسلمين وإراقه دمائهم .

❋ ❋ ❋

س : هل نص رسول اللّه ﷺ على استخلاف أحدٍ بعده ؟

ج : لا نعلم نصًّا صريحًا عن رسول اللّه ﷺ في هذا الباب .

● وقد احتج قوم لكون رسول اللّه ﷺ أوصى لأبي بكر رضي اللّه عنه بأدلة منها :

● قول النبي ﷺ : « مروا أبا بكر فليصل بالناس »[١] .

● قول النبي ﷺ للمرأة التي جاءت تسأله حاجة فقال لها : « ائتيني من

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨) ، ومسلم (حديث ٤٢٠) ، وأحمد (٤/٤١٢– ٤١٣) وغيرهم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال : مُروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، قال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فعادت فقال : « مُري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف »، فأتاه الرسول[١] فصلى بالناس =

---

(١) يعني : الرسول الذي أرسله إليه رسول اللّه ﷺ .

العام المقبل ، قالت : إن لم أجدك يا رسول اللّه ؟ قال : « ائتي أبا بكر »[1] .

● قول النبي ﷺ لعائشة : « ادعي لي أباك وأخاك .. إني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن ويأبى اللّه والمؤمنون إلا أبا بكر »[2] .

وكل هذه الأدلة ليست صريحة في استخلاف أبي بكر رضي اللّه عنه .

● واحتج قوم لكون النبي ﷺ أوصى لعلي رضي اللّه عنه بأدلة منها حديث : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه »[3] .

= في حياة النبي ﷺ .

● وأخرج البخاري (٦٧٩) ، ومسلم (٤١٨) من طرق عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت : إن رسول اللّه ﷺ قال في مرضه : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » قالت عائشة : قلت : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمُر عمر فليصل للناس .... الحديث .

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٦٥٩) ، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي اللّه عنه قال : أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت – قال ﷺ : « إن لم تجديني فأتي أبا بكر » .

(٢) أخرج البخاري (٥٦٦٦) ، ومسلم مختصرًا (٢٣٨٧) واللفظ للبخاري من طريق القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضي اللّه عنها : وارأساه فقال رسول اللّه ﷺ : « ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك » ، فقالت عائشة : واثكلياه ، واللّه إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرِّسًا ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ : « بل أنا وارأساه لقد هممت – أو أردت – أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون » ، ثم قلت : يأبى اللّه ويدفع المؤمنون أو يدفع اللّه ويأبى المؤمنون .

وهذا الإسناد ظاهره الإرسال لكن له شاهد عند أحمد (٢٢٨/٦) ولمزيد بحث انظر كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٣٦٦/٥) ، والنسائي في الخصائص (٨٣) وغيرهم ، وله جملة طرق انظرها في المسند للإمام أحمد (٨٤/١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢) والسنة لابن أبي عاصم (٦٠٤/٢) .

● وقول النبي ﷺ لعلي أيضًا : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى »[1] .

● وإرسال رسول اللَّه ﷺ عليًا بعد أبي بكر يؤذن في الناس ببراءة وكل هذه أيضًا ليست صريحة في استخلاف علي رضي اللَّه عنه ، وأقواها من ناحية الاستدلال حديث : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ، إلا أنه كان استخلافًا خاصًا على المدينة لما خرج رسول اللَّه ﷺ للغزو ، والنبي ﷺ استخلف على المدينة غيره أيضًا في غزوات أخر .

● والأمر على ما ذكره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قالوا له في مرض موته – بعد أن طُعن – : استخلف يا أمير المؤمنين ، قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني أبو بكر رضي الله عنه ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ[2] . والله تعالى أعلم .

***

س : ما هي شروط الإمامة (الإمامة العظمى للمسلمين) ؟

ج : ذكرها القرطبي رحمه الله تعالى فقال : وهي أحد عشر :
الأول : أن يكون من صميم قريش لقوله ﷺ : «الأئمة من قريش»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٨) ، وأحمد (١٨٢/١) وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) ومن المعلوم أن عمر رضي الله عنه لم ينص على أحد بعينه كخليفة من بعده ، ولكنه ترك الأمر شورى في ستة مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض : علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) صحيح بمجموع طرقه فله عدة طرق أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (١٢٢/١٣) .

وقد اختلف في هذا[1] .

الثاني : أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين مجتهدًا لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث[2]، وهذا متفق عليه .

---

(١) تعقب الشنقيطي رحمه الله تعالى هذه الفقرة فقال (أضواء البيان ١/٦١) : الاختلاف الذي ذكره القرطبي في اشتراط كون الإمام قرشيًّا ضعيف ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على تقدم قريش في الإمامة على غيرهم وأطبق عليه جماهير العلماء من المسلمين ، وحكى غير واحدٍ عليه الإجماع ، ودعوى الإجماع تحتاج إلى تأويل ما أخرجه الإمام أحمد عن عمر بسندٍ رجاله ثقات أنه قال : (إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته) فذكر الحديث ، وفيه : (فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل) ومعلوم أن معاذًا غير قرشي ، وتأويله بدعوى انعقاد الإجماع بعد عمر أو تغيير رأيه إلى موافقة الجمهور ، فاشتراط كونه قرشيًّا هو الحق .

لكن النصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله ، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله تعالى وينفذ أوامره أولى منهم ، فمن الأدلة الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه قال : (باب الأمراء من قريش) حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يُحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفدٍ من قريش أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك قحطان فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه قد بلغني أن رجالًا منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ[1] وأولئك جهالكم ، فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين »[2] .

(٢) هذا مما لا أعلم دليلًا عليه ، وقد كان أمير المؤمنين عمر ، وقبله أبو بكر رضي الله عنهما يسألان الصحابة كثيرًا عن كثير من المسائل التي تعرض لهما ، والله أعلم .

---

(١) قلت : بل هذا الحديث مأثور عن رسول الله ﷺ وهو في الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » ، وانظره في كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٩) .

الثالث : أن يكون ذا خبرة[1] ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسدِّ الثغور وحماية البيضة وردع الأمة والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم .

الرابع : أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأبشار ، والدليل على هذا كله إجماع الصحابة رضي الله عنهم لأنه لا خلاف بينهم أنه لا بد من أن يكون ذلك كله مجتمعًا فيه ، ولأنه هو الذي يولي القضاة والحكام وله أن يباشر الفصل والحكم ويتفحص أمور خلفائه وقضاته ، ولن يصلح لذلك كله إلا من كان عالمًا بذلك كله قيمًا به ، والله أعلم .

الخامس : أن يكون حرًّا[2] ولا خفاء باشتراط حرية الإمام ، وإسلامه وهو **السادس** .

---

(١) إلا أنه يجوز في هذا الجانب إمامة المفضول على الفاضل فقد كان عمر رضي الله عنه إمامًا وفي القوم من هو أعلم بتدبير أمور الحرب منه كخالد وأبي عبيدة رضي الله عنهما وغيرهم من الصحابة .

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (أضواء البيان ١/٦٥) : من شروط الإمام كونه حرًّا فلا يجوز أن يكون عبدًا ولا خلاف في هذا بين العلماء فإن قيل : ورد في الصحيح ما يدل على جواز إمامة العبد فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) ، ولمسلم من حديث أم الحصين : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله » ، ولمسلم أيضًا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي أن أطيع وأسمع وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف ، فالجواب من أوجه :

الأول : أنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود ، فإطلاق العبد الحبشي لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة ، وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك ، ذكر ابن حجر هذا الجواب عن الخطابي ، ويشبه هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد =

السابع : أن يكون ذكرًا[1] سليم الأعضاء وهو **الثامن .**

التاسع والعاشر : أن يكون بالغًا عاقلًا ، ولا خلاف في ذلك .

الحادي عشر : أن يكون عدلًا[2] لأنه لا خلاف بين الأمة في أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق ، ويجب أن يكون أفضلهم في العلم[3] .

* * *

= فأنا أول العابدين ﴾ [الزخرف : ٨١] على أحد التفسيرات .

الوجه الثاني : أن المراد باستعمال العبد الحبشي أن يكون مُؤمرًا من جهة الإمام الأعظم على بعض البلاد ، وهو أظهرها فليس هو الإمام الأعظم .

الوجه الثالث : أن يكون أطلق عليه اسم العبد نظرًا لاتصافه بذلك سابقًا مع أنه وقت التولية حرٌّ ، ونظيره إطلاق اليتيم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقًا في قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ [النساء : ٢] وهذا كله فيما يكون بطريق الاختيار ، أما لو تغلب عبدٌ حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخمادًا للفتنة وصونًا للدماء ما لم يأمر بمعصية كما تقدمت الإشارة إليه ، والمراد بالزبيبة في هذا الحديث واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جفَّ ، والمقصود من التشبيه التحقير وتقبيح الصورة لأن السمع والطاعة إذا وجبا لمن كان كذلك دل ذلك على الوجوب على كل حال إلا في المعصية كما يأتي ، ويشبه قوله ﷺ : « كأنه زبيبة » قول الشاعر يهجو شخصًا أسود :

دنس الثياب كأن فروة رأسه   غرست فأنبتت جانباها فلفلا

(١) لقول النبي ﷺ :« لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

(٢) لقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

(٣) لقوله تعالى في شأن طالوت : ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

س : إذا طرأ على الإمام فسق هل يُخرج عليه ؟

ج : الراجح من أقوال أهل العلم أنه لا يُخرج عليه إلا إذا رؤي عليه كفرٌ بواح فيه من الله عندنا برهان ، وقد أوجز الشنقيطي رحمه الله القول في هذا أجمل إيجاز وأحسنه فقال في أضواء البيان[1] :

إذا طرأ على الإمام الأعظم فسق أو دعوة إلى بدعة . هل يكون ذلك سببًا لعزله والقيام عليه أو لا ؟

قال بعض العلماء : إذا صار فاسقًا أو داعيًا إلى بدعة جاز القيام عليه لخلعه ، والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز القيام عليه لخلعه إلا إذا ارتكب كفرًا بواحًا عليه من الله برهان .

فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : « إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان » .

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » قال : قلنا : يا رسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة . إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله تعالى ولا ينزعن يدًا من طاعة »[2] .

وفي صحيح مسلم أيضًا : من حديث أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برىء ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع » . قالوا : يا رسول الله أفلا

---

(١) أضواء البيان (٦٧/١) .

(٢) أخرجه مسلم (ص١٨٤٢) وعنده: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة».

نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلوا » . أخرجه مسلم (١٨٥٤) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر ؛ فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » . أخرجه البخاري (٧٠٥٣)[١] ، ومسلم (ص١٤٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[٢] .

والأحاديث في هذا كثيرة . فهذه النصوص تدل على منع القيام عليه ، ولو كان مرتكبًا لما لا يجوز ، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أنه كفر بواح ، أي : ظاهر بادٍ لا لبس فيه .

وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة ، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك . ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل المحنة ، وأمر بإظهار السنة .

واعلم أنه أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى . وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولا مطعن . كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا

---

(١) ولفظه في المصدر المشار إليه : « من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية » .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

سمع ولا طاعة »[1] أخرجه الشيخان وأبو داود .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا ؛ إنما الطاعة في المعروف »[2] . وفي الكتاب العزيز : ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

***

س : هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل عن الآخر ؟

ج : أيضًا أجمل الشنقيطي القول فقال[3] :

هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل دون الآخر ؟ . في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : قول الكرامية بجواز ذلك مطلقًا محتجين بأن عليًا ومعاوية كانا إمامين واجبي الطاعة كلاهما على من معه . وبأن ذلك يؤدي إلى كون كل واحد منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢) ، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١٤٥) ، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه وفيه أنه قال : بعث النبي ﷺ سرية وأمَّر عليهم رجلًا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبًا ثم أوقدوا نارًا فلما هموا بالدخول فقاموا بعضهم ينظر إلى بعض فقال بعضهم : إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها ؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي ﷺ فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف » .

(٣) أضواء البيان (١/٦٩) .

وبأنه لما جاز بعث نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك إلى إبطال النبوة كانت الإمامة أولى .

القول الثاني : قول جماهير العلماء من المسلمين : إنه لا يجوز تعدد الإمام الأعظم ، بل يجب كونه واحدًا ، وأن لا يتولى على قطر من الأقطار إلا أمراؤه المولون من قبله ، محتجين بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما »[1] .

ولمسلم أيضًا : من حديث عرفجة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه »[2] .

وفي رواية : « فاضربوه بالسيف كائنًا من كان » .

ولمسلم أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » ، ثم قال : سمعته أذناي من رسول الله ﷺ ووعاه قلبي[3] .

وأبطلوا احتجاج الكرامية بأن معاوية أيام نزاعه مع علي لم يدع الإمامة لنفسه ، وإنما ادعى ولاية الشام بتولية من قبله من الأئمة . ويدل لذلك :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (ص١٤٨٠) في طرق حديث (١٨٥٢) .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤) .

إجماع الأمة في عصرهما على أن الإمام أحدهما فقط لا كل منهما .

وأن الاستدلال بكون كل منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه ، وبجواز بعث نبيين في وقت واحد ، يرده قوله ﷺ : « فاقتلوا الآخر منهما » ولأن نصب خليفتين يؤدي إلى الشقاق وحدوث الفتن .

القول الثالث : التفصيل فيمنع نصب إمامين في البلد الواحد والبلاد المتقاربة ، ويجوز في الأقطار المتنائية كالأندلس وخراسان .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه : لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت كالأندلس وخراسان ، جاز ذلك على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . انتهى منه بلفظه .

والمشار إليه في كلامه: نصب خليفتين. وممن قال بجواز ذلك: الأستاذ أبو إسحاق كما نقله عنه إمام الحرمين . ونقله عنه ابن كثير والقرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقال ابن كثير : قلت : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب .

* * *

س : من الذي أعلم الملائكة أن هناك من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء حتى سألوا سؤالهم هذا ﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠]؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة منها :

● أن الله تعالى أعلمهم أن من ذرية هذا الخليفة من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء .

● الثاني: أن قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠]. سؤال محض للاستفسار[1] (أي : هل سيفسد فيها ويسفك الدماء ؟) .

---

(١) وهو اختيار الطبري رحمه الله تعالى ، فاختار رحمه الله أن ذلك من الملائكة استخبار =

● الثالث : أنهم توقعوا أن هذا الذي سيستخلف في الأرض قد يُفسد فيها ويسفك الدماء .

● الرابع : – على رأي من اعتمد الأخبار الإسرائيلية في هذا المقام – أنهم علموا من حال من كان يسكن الأرض أنه أفسد فيها وسفك الدماء فقالوا : هذا يتوقع منه ما كان من سالفه ، والله أعلم .

***

س : في قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] عطفٌ لخاصٍّ على عام وضحه وبين سبب هذا العطف ؟

ج : إيضاحه أن الإفساد في الأرض عام يدخل فيه المعاصي والكبائر وغير ذلك وأحد أفراد ذلك سفك الدماء فهو خاص (أي : سفك الدماء) فعطف سفك الدماء (الذي هو نوع خاص من المعاصي والكبائر) على الإفساد

= لربها بمعنى : أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل ، وإن كانت قد استعظمت لما أُخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه ، والله أعلم .

وأورد الرازي رحمه الله تعالى في المقصود من سؤال الملائكة أمورًا فذكر عددًا وقال : وسابعها : قال القفال : يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها ، أي : ستفعل ذلك فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام ، قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

أي : أنتم كذلك ، ولو كان استفهامًا لم يكن مدحًا ، ثم قالت الملائكة : إنك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لما أنا نعلم أنك لا تفعل إلا الصواب والحكمة فلما قالوا ذلك قال الله تعالى لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] كأنه قال والله أعلم نعم ما فعلتم حيث لم تجعلوا ذلك قادحًا في حكمتي فإني أعلم ما لا تعلمون ، فأنتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل ، وما علمتم باطنهم ، وأنا أعلم ظاهرهم وباطنهم فأعلم من بواطنهم أسرارًا خفية وحكمًا بالغة تقتضي خلقهم وإيجادهم .

في الأرض الذي هو عام ، أما لماذا عطف هذا الخاص على ذلك العام فلبيان خطورة سفك الدماء وحرمة القتل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل في قول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] تزكية[1] منهم لأنفسهم ؟

ج : الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أنهم قدموا هذا مع سؤالهم إذعانًا منهم لربهم عز وجل فكأنهم قالوا نحن لسنا معترضين على فعلك يا ربنا ولسنا محيطين بعلمك فها نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فأخبرنا يا ربنا هل سيفسد هذا الخليفة فيها ويسفك الدماء ؟ فهم طلبوا من ربهم عز وجل بيان الحكمة لهم من الخليفة في الأرض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التسبيح ؟ وما المراد بقول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : **أما معنى التسبيح فهو التنزيه** وهو مشتق من الجري

---

(١) من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢] ، ولكن تجوز تزكية النفس أحيانًا إذا كان هناك أمرٌ يحتاج إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿ فأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ١١] ، وقال يوسف عليه السلام : ﴿ إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] ، وقال النبي ﷺ للأنصار : « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ... » الحديث ، وأثنى رسول الله ﷺ على عددٍ كبير جدًّا من الصحابة وزكاهم ، انظر ذلك في كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة . وسيأتي إن شاء الله لهذا مزيدٌ من الفقه في أبوابه ، وبالله التوفيق .

والذهاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحًا طويلًا ﴾ [المزمل : ٧] ، فالمسبح جارٍ في تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به .

• **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرِئة له من ذلك كما قال أعشى بني ثعلبة .

أقول لمَّا جاءني فخــرُه   سبحان من علقمة الفاخِرِ

يريد : سبحان الله من فخر علقمة أي : تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار . على وجه النكير منه لذلك[1] .

• **وقال الماوردي في التفسير** (النكت والعيون ١/٩٦) : والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم – ثم ذكر بيت شعر الأعشى ، وقال :

ولا يجوز أن يُسبح غير الله وإن كان منزهًا لأنه صار علمًا في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا الله تعالى .

وقال ابن عطية : (ومعنى نسبح بحمدك) : ننزهك عما لا يليق بك وبصفاتك .

• **أما المراد بقول الملائكة : ﴿ نحن نسبح بحمدك ﴾** [البقرة : ٣٠] فلأهل العلم فيه أقوالٌ منها :

الأول : أننا نخلط التسبيح بالحمد ونصله به .

الثاني : أن كلمة (بحمدك) اعتراضية بين كلامين فكأنهم قالوا ،

---

(١) الطبري (١/٤٧٤) .

ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا على جهة التسليم أي : وأنت المحمود في الهداية على ذلك قاله ابن عطية في المحرر .

قلت : أي أن معنى الكلام – والله أعلم – أننا نسبح وتسبيحنا هذا إنما هو فضلٌ منك تفضلت به علينا إذ وفقتنا له وأعنتنا عليه وألهمتنا إياه فأنت المحمود على هدايتك وإلهامك .

وهذه الآية قريبة الشبه من قوله تعالى : ﴿ فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ [الطور : ٢٩] يعني – والله أعلم – : أنك من فضل الله عليك لست بالكاهن ولا بالمجنون ، وهذه من نعمة ربك عليك أن جنبك الكهانة والجنون ، والله أعلم .

الثالث : أن معنى قول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك .

الرابع : أننا نعظمك بالحمد لك والشكر لك .

الخامس : أننا نقول : سبحانك وبحمدك أو سبحان الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده .

السادس : نصلي لك . والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى ﴿ ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال :

الأول : نعظمك ونمجدك .

الثاني : نطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون ، وقيل : نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك (هذا على قول من قال : نقدس

لك أي : نتطهر لك ، والقول المتقدم على قول من قال : نقدس لك أي : نقدسك) فالمقدس هو المطهر ، ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ [المائدة : ٢١] أي المطهرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ [طه : ١٢] وبيت المقدس الذي يتقدس فيه من الذنوب أي : يتطهر .

الثالث : نقدس لك أي : نصلي لك ، وأشهر الأقوال هو القول الثاني ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل (سبحان الله وبحمده) ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول رسول الله ﷺ لأبي ذر : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله » قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال : «إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده »[(١)] .

●ومنها حديث رسول الله ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[(٢)] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ج١٧/ص٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٠٦/١١) ومسلم (مع النووي ١٧/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٣٧/١٣) ، ومسلم (١٩/١٧) من حديث =

● ومنها قول عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[1] . إلى غير ذلك من الأحاديث والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : علام يحمل قوله تعالى : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة: ٣٠] في هذا المقام ؟

ج : يُحمل – والله تعالى أعلم – على أنه سبحانه وتعالى يعلم هل كل الملائكة صالحون كما قالوا : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة: ٣٠]؟ أم فيهم من هو عاص حاسد لا يعلمونه والله يعلمه ويعلم كذلك هل هذا الخليفة الذي سيجعله في الأرض يكون سفاكًا للدماء أم أنه عابد ومطيع ، وكما أن من ذريته من يسفك الدماء فمنهم أيضًا أتقياء علماء أنبياء ، وكل هذا كان لا يخفى على الملائكة عليهم السلام فظهر منهم إبليس المعترض على أمر الله العاصي الحاسد الكذاب المتكبر وظهر من ذرية آدم – غير المفسدين – قوم أتقياء صالحون[2] ، والله تعالى أعلم .

= أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع النووي ٤/٢٠١) ، وغيرهما .

(٢) تنبيه : ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى في الحديث القدسي للملائكته (الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر) : « كيف تركتم عبادي فيقولون : تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يصلون » توبيخ لمن قال منهم : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] وأقول ، وبالله التوفيق : إن هذا إلى المباهاة أقرب منه إلى التوبيخ ، والملائكة لما سألها ربها عن أسماء المسميات قالوا : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [البقرة : ٣٢] ، ففيه إنابتهم إلى الله عز وجل ، والله هو الغفور الودود . وقد جاءت نصوص عدة عن رسول الله ﷺ في مباهاة الرب عز وجل ملائكته بعباده الصالحين والذاكرين فعليه فليحمل هذا الحديث ، والله أعلم .

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أنبئوني – سبحانك – تبدون ؟

ج :

الكلمة	معناها
أنبئوني	أخبروني
سبحانك	تنزيهًا لك من أن نعلم شيئًا غير ما علمتنا[1]
تبدون	تُظهرون وتُعلنون

(١) قال الزجاج : ولا نعلم اختلافًا بين أهل اللغة أن التسبيح هو التنزيه عن كل سوء (نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير) .

س : لماذا سُمي آدم بآدم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ – أن الله عز جل هو الذي سماه بذلك ولا حاجة بنا إلى تعليل التسمية .

٢ – أنه سُمِّي آدم ؛ لأنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها[1] .

٣ – أن آدم من الأُدمة وهي السُّمرة .

***

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في خلق آدم ﷺ ؟

ج : من هذه الأحاديث قول رسول الله ﷺ : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له : اذهب فسلِّم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادوه رحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن »[2] .

وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما صوَّر الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لم يتمالك »[3] .

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله . وقد صح عن سعيد بن جبير (كما عند الطبري ٦٤٢ ، ٦٤٣) أنه قال : إنما سُمِّي آدم ؛ لأنه خلق من أديم الأرض .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦) ، ومسلم (٢٨٤١) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦١٠) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[1] .

● وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك »[2] وتقدمت الإشارة إلى حديث « خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه .. »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) ، ويعني بقوله مما وصف لكم أي : ومما وصف لنا في كتاب الله عز وجل وقد وصف آدم عليه السلام أنه خلق من تراب ،ووصف أنه خلق من طين ومن طين لازب ، ومن عجل ، ومن صلصال من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، ويأتي توجيه هذا في بابه وقد ذكر بعض العلماء أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب الأرض وبلها بالماء فصارت طينًا ثم مرت عليها مدة حتى تحجرت فصارت صلصالًا لأن الصلصال هو الطينُ المتحجر لأن الطين إذا طبخ بالنار سُمي فخارًا ، وإذا لم يطبخ بالنار لكن ترك حتى تحجر يسمى صلصالًا ، فقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ [الرحمن : ١٤] أي : من طين تحجر حتى أصبح شبيهًا بالفخار وهو المطبوخ بالنار في تحجره وصلصلته إن قلنا : إنه من صلصل بمعنى صوت ، وإن قلنا : إنه من صلَّ بمعنى تغير فإن الطين إذا مضت عليه مدة انتن واسود فيصير حمأ مسنونًا أي : أسود متغيرًا له رائحة خاصة فإذا يبس وتحجر صار كالفخار والطين اللازب هو اللاصق ، ويُقال أيضًا : لزَب الطين إذا صلب .

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٠٠ ، ٤٠٦) ، وأبو داود (في السنة باب في القدر حديث ٤٦٩٣) والترمذي في التفسير سورة البقرة (٢٩٥٥) ، والحاكم (٢/٢٦١ ، ٢٦٢) ، وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (٣٢٢) ، وأحمد (٣/١١٦) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا . =

س : في أي يوم خلق آدم ﷺ ؟ وهل خلق داخل الجنة أم خارجها ؟

ج : خلق آدم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة وخلق خارج الجنة ثم

= **تنبيه :** في هذه الأحاديث وخاصة أولها - وهو خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ﴾ [الإسراء : ٧٠] وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ [الانفطار : ٦ - ٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ما يقطع بكذب الأفاك الأثيم والمجرم اللعين والملحد المبين المسمى بـ (داروين) ويبطل نظريته الباطلة الإلحادية في (التطور والارتقاء) التي يزعم فيها أن الإنسان أصله قرد !!! وقد ذهبت - والحمد لله - نظريته أدراج الرياح وكانت هباءً منثورًا بشهادة الملاحدة من أمثاله فضلًا عن أهل الصلاح ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم فرعون اللعين ، والطاغية أبا لهب ما ذكرنا شيئًا عن هذا الأفاك الأثيم (داروين) ولا أضعنا هذه السطور في شأنه ، فلعنة الله على الظالمين تصبح معهم وعليهم حيث أصبحوا وتُمسي عليهم حيث أمسوا ، وتقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون ، في الحياة الدنيا ملعونين وفي القبور معذبين ويوم القيامة هم من المقبوحين .

ورحمة الله وبركاته على أهل الإسلام والإيمان وأهل التقى والرشاد فسلام الله على هؤلاء العباد المصطفين الأخيار المتقين الأبرار ، جعل الله حياتهم زيادة في فضائل أعمالهم وأنار الله بهم البلاد وأوضح بهم سبل الرشاد للعباد ، وأفسح الله لهم في قبورهم ونورها لهم وأسكنهم الله في الآخرة الغرف وأظلهم بالظلل وكساهم الحلل وأعطاهم ما تقر به الأعين وتلذ وتشتهيه الأنفس وتود .

سلام الله على كل من ذبَّ عن دينه ودافع وتمسك بكتاب ربه واستعصم به وعنه نافح ، سلام الله عليهم في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

أُدخل فيها يدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها »(١) والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم عليه السلام ؟

ج : أمثل الأقوال(٢) في ذلك – والله أعلم – أنها أسماء الأشياء كلها فيدخل فيها أسماء الملائكة وأسماء النبيين وأسماء ذرية آدم وأسماء البحار والأشجار والأحجار والأواني والقدور وسائر أسماء الأشياء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] وقول الناس لآدم عليه السلام حينما يذهبون للاستشفاع به : « .. خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء ».

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي علمه الله لآدم عليه السلام هو أسماء الملائكة وأسماء ذريته فقط محتجًا باحتجاج لغوي وهو الضمير في قوله تعالى :﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾[البقرة : ٣١] فقالوا : إن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ، وضعف هذا القول آخرون وقولهم الراجح لعموم قوله تعالى : ﴿ الأسماء كلها ﴾ .

● وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المراد بالأسماء كلها ما لا غنى لآدم عنه مما يحتاج إلى معرفته وذهب إلى أن ﴿ كلها ﴾ في هذا الموطن كما في قوله تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥](١) وكما في قوله تعالى :﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣](٢) ، وهذا التقييد لا وجه له هنا ، والأولى ما ذكرناه أعلاه ، والله أعلم .

---

(١) وهي الريح التي أرسلت على قوم عاد .

(٢) وهي ملكة سبأ .

س : من هو أول من تكلم بالعربية ؟

ج : قال بعض أهل العلم هو آدم ﷺ ، وعللّوا ذلك بأن الله عز وجل قال : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة : « وعلمك أسماء كل شيء » الحديث وقد تقدم ، والله أعلم .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ [البقرة : ٣١] عرض ماذا ؟

ج : عرض المسميات (أي الأشياء التي علم آدم أسماءها) .

* * *

س : قال الله تعالى : ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٣١] صادقين في ماذا ؟

ج : قيل : صادقين في دعواكم أن الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء والله أعلم .

* * *

س : في قول الملائكة : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ [البقرة : ٣٢] أدب للعالم ولطالب العلم ، وضح ذلك ؟

ج : هذا الأدب الجليل المأخوذ من هذه الآية الكريمة هو أن الواجب على من سئل عن شيء لا يعلمه أن يكل العلم إلى الله سبحانه وتعالى ويمسك عن القول بغير علم فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ولا تقف ما ليس

لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

● وعتب الله عز وجل على موسى عليه السلام لما سئل عن أعلم أهل الأرض فقال : أنا فقال الله عز وجل :« بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك »[١] .

● وقال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

● وقال الله عز وجل لنوح عليه السلام لما قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ [هود : ٤٥] قال سبحانه : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٦، ٤٧] .

● ولما سئل النبي ﷺ (أي البقاع خير ؟) قال : « لا أدري حتى أسأل »[٢] ... الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (٨١/٤) ، بإسناد فيه عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أي البلدان شر ؟ قال : « لا أدري » فلما أتاه جبريل عليه السلام قال:« أي البلدان شر ؟ قال : لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل فانطلق جبريل عليه السلام ... » فذكر الحديث وفيه وإني سألت ربي عز وجل فقال « أسواقها » .

وله شاهد عند الحاكم (٧/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا فالحديث =

● وكان أصحاب النبي ﷺ يُسألون مرارًا من رسول الله ﷺ فيقولون : الله ورسوله أعلم[1] .

= حسن بمجموع طريقيه والله أعلم .

هذا وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » .

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى قولًا جيدًا في هذا الباب ننقله لما فيه من الفائدة قال رحمه الله (١/٢٨٥ - ٢٨٧) :

الثانية : الواجب على مَن سُئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ، ولا أدري ، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء ، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم ؛ فيبقى ناس جُهال يُستفتون فيفتون برأيهم فَيَضِلُّون وَيُضِلُّون . وأما ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فَرَوى البُستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ : أي البقاع شر ؟ قال : « لا أدري حتى أسأل جبريل » فسأل جبريل ؛ فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل ؛ فجاء فقال : « خير البقاع المساجد ، وشرها الأسواق » . وقال الصِّديق للجدة : ارجعي حتى أسأل الناس . وكان علي يقول : وأبردها على الكبد ؛ ثلاث مرات . قالوا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يُسئل الرجلُ عما لا يعلم فيقول : الله أعلم . وسأل ابن عمر رجل عن مسئلة فقال : لا علم لي بها ؛ فلما أدبر الرجل . قال ابن عمر : نعم ما قال ابن عمر سُئل عما لا يعلم فقال : لا علم لي به ! ذكره الدارمي في مسنده . وفي صحيح مسلم عن أبي عقيل يحيى ابن المتوكل صاحب بُهَيَّةَ[1] قال : كنت جالسًا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد ، فقال يحيى للقاسم : يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يُسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه عِلم ولا فرج ، أو عِلم ولا مخرج ؟ فقال له القاسم : وعم ذاك ؟ قال : لأنك ابن إمَامَيْ هُدى : ابن أبي بكر وعمر[2] . قال يقول =

---

(١) بهية (بالتصغير) : مولاة أبي بكر رضي الله عنه ، تروي عن عائشة . وروى عنها أبو عقيل المذكور .

(٢) القاسم هذا ، هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وأم القاسم هي أم عبد الله بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . فأبو بكر جده الأعلى لأمه ، وعمر جدُّه الأعلى لأبيه ، وابن عمر جدُّه الحقيقي لأبيه رضي الله عنهم أجمعين (عن شرح النووي على صحيح مسلم) .

= له القاسم : أقبح من ذاك عند مَن عقَل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة . فسكت فما أجابه . وقال : مالك بن أنس : سمعت ابن هُرْمُز يقول : ينبغي للعالم أن يُوَرث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلًا في أيديهم ؛ فإذا سُئل أحدهم عما لا يدري قال : لا أدري . وذكر الهَيْثَم بن جميل قال : شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري .

قلت : ومثلُه كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسةُ وعدم الإنصاف في العلم . قال ابن عبد البر : من بركة العلم وآدابه الإنصافُ فيه ، ومن لم يُنصف لم يفهم ولم يتفهم . روى يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت ابن وَهْب يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف .

قلت : هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام ! وطُلب فيه العلم للرياسة لا للدِّراية ، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يُقسي القلب ويُورث الضغن ؛ وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى . أين هذا مما رُوي عن عمر رضي الله عنه وقد قال : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أُوقِيَّة ولو كانت بنت ذي العَصَبة – يعني : يزيد بن الحُصين الحارثي – فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال ، فقامت امرأة من صَوْب النساء طويلة فيها فَطَس[1] فقالت : ما ذلك لك ! قال : ولم ؟ قالت : لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَآتَيتم إحْداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا ﴾ [النساء : ٢٠] فقال عمر : امرأة صابت ورجل أخطأ ! وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال : سأل رجل عليًّا رضي الله عنه عن مسئلة فقال فيها ؛ فقال الرجل : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ؛ فقال عليٌّ : أصبتَ وأخطأتُ ، وفوق كل ذي عِلْم عليم . وذكر أبو محمد قاسم بن أَصبغ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القَيْروان فأخذت على بكر بن حماد حديثَ مُسدد ، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس ، فلما انصرفت عدتُ إليه لتمام حديث مسدد ، فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي ﷺ : أنه قدم =

(١) الفطس (بالتحريك) : انخفاض قصبة الأنف وتطامنها وانتشارها .
قاله المعلق على القرطبي .

س : على المسلم أن يتواضع لله عز وجل ويشكره على ما منَّ به من علم ، فالعلم الذي هو فيه إنما هو بتعليم الله عز وجل إياه ، اذكر أدلة توضح أن المُعَلَّم من علمه الله ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ وعلَّم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] .

= عليه قوم من مُضَرَ مِن مُجتابي[1] النمار ، فقال : إنما هو مجتابي الثمار فقلت : إنما هو مُجتابي النمار ؛ هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق ، فقال لي : بدخولك العراق تُعارضنا وتفخر علينا ! أو نحو هذا . ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ – لشيخ كان في المسجد – فإن له بمثل هذا عِلمًا ، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال : إنما هو مُجتابي النمار ، كما قلت . وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة[2] ، جيوبهُم أمامَهم . والنمار جمع نمرة[3] . فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه : رَغِم أنفي للحق ، رَغم أنفي للحق . وانصرف . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأحسن :

إذا مـــا تحدثْـــتُ في مجلـــس تَناهى حديثي إلى ما عَلمتُ
ولم أعْدُ علمـي إلـى غيــره وكان إذا ما تناهـــى سَكـــتُّ

الثانية – قوله تعالى : ﴿ سُبْحانكَ ﴾ [البقرة : ٣٢] « سبحان » منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه ، يؤدى عن معنى نُسَبحك تسبيحًا . وقال الكسائي : هو منصوب على أنه نداء مضاف . و ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] فعيل للمبالغة والتكثير في المعلومات في خلق الله تعالى . و ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] معناه : الحاكم ، وبينهما مزيد المبالغة . وقيل : معناه المُحكم ويجيء الحكيم على هذا من صفات الفعل ، صُرِف عن مُفْعِل إلى فَعِيل ، كما صُرِف عن مُسْمِع إلى سَمِيع ومُؤلم إلى أليم .

(١) مجتابي النار ؛ أي : لابسها . يقال : اجتبت القميص والظلام : دخلت فيهما .
(٢) مشققة : مخططة .
(٣) وهي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب ؛ كأنها أخذت من لون النمر .

● قوله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ [النساء : ١١٣] .

● قول الله تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ [الإسراء : ٨٦] .

● قوله تعالى : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

● قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ [النحل : ٧٨] .

● قوله تعالى : ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ [الأنعام : ٩١] .

● قوله تعالى : ﴿ الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [القلم : ٤ ، ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾ [الرحمن : ١ ، ٢] .

● قوله سبحانه : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● دعاء النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل »[1] .

● وقوله تعالى : ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٣٢٨ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٣٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٢ ، ١٢٢٧٣) ، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن .

• وقول الخضر عليه السلام لموسى : « يا موسى إني على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ العليم الحكيم ﴾ [البقرة : ٣٢] ؟

ج : أما العليم فهو مَن قد كمل في علمه ، والحكيم هو مَن قد كمل في حكمه ، هذا قول ، وأصل الإحكام المنع ، والحكمة هي التي تمنع صاحبها من الجهل ، وأحكم الشيء إذا أتقنه ، والحَكَمَة هي التي تمنع الفرس من الجري على غير قصدٍ ، فالحكيم يطلق على المانع من الفساد ، ومنه قول جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكيم في الآية الكريمة – والله أعلم – هو الذي يفعل الشيء لحكمة أو لعلة ، والله أعلم . والحكمة أيضًا هي وضع الشيء في موضعه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ... ﴾ [البقرة : ٣٣] دليل على فضل العلم وأهله وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه – والله أعلم – أن الله عز وجل أظهر فضيلة آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم الذي آتاه الله إياه[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) وغيرهم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : أي : تخضع وتتواضع ، وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله ؛ لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأدبت بذلك =

س : **اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم وحملته ؟**

ج : هي آيات وأحاديث في غاية الكثرة ، نقتصر منها على الآتي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١] .

● قول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

● قول الله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● قول الله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أُنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد : ١٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

● قوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

● قول يوسف عليه السلام مثنيًا على الله عز وجل بنعمه : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف : ١٠١]

= الأدب ، فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظامًا للعلم وأهله ورضى منهم بالطلب له والشغل به ، هذا في الطلاب فكيف بالأحبار فيهم ، والربانيين منهم ، جعلنا الله منهم وفيهم إنه ذو فضل عظيم .

● قال الطيبي (كما نقل عنه صديق حسن خان في فتح البيان) : أفادت هذه الآية علم اللغة فوق التخلي بالعبادة فكيف بعلم الشريعة .

ولا يخفى على اللبيب أن جمال يوسف عليه السلام كان سببًا في سجنه ، وعلمه كان سببًا في إخراجه من السجن وجعله عزيزًا وقد تجشم موسى عليه السلام الصعاب والمشاق لما أخبره الله عز وجل بأن الخضر هو أعلم منه فسأل موسى عليه السلام ربه السبيل إلى لُقيه على ما ورد في قصتهما عليهما السلام .

● وقال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨] ، فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم مع شهادته سبحانه وتعالى .

● وقد أباح الله سبحانه وتعالى صيد الكلاب المعلمة والصقور المعلَّمة ، فقال تعالى : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلبين ﴾ [المائدة : ٤] .

● أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها :

● قوله عليه السلام : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[١] .

● قوله عليه الصلاة والسلام : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٢].

● قوله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره »[٣] .

● وقوله عليه السلام : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح٩/٧٤) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح متواتر ، وسيأتي الحديث عليه إن شاء الله .

(٤) أخرجه أبو داود (٢/١٥٣) ، والترمذي (٨/٢٣٢) ، وأحمد (٢/١٩٢) وغيرهم بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين »[1].

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، **ومن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[2].

● وقال النبي ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها »[3] .

● وقال رسول الله ﷺ : « إن لله عز وجل أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨١٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٢١/١٧) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٥/٩) ، ومسلم (مع النووي ٨٣/٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه أحمد (١٢٧/٣) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد حسن مرفوعًا ، والله تعالى أعلم .

س : ما هو الذي أبدوه وما هو الذي كتموه في قوله تعالى : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة : ٣٣] ؟

ج : بعض العلماء يقولون : هذا عام ، فالله سبحانه وتعالى يعلم جميع ما يبدونه وما يكتمونه ، يعلم – سبحانه – ظواهرهم وبواطنهم ، يعلم ذلك أجمع ولا يخفى على الله من أمرهم شيء .

● **والقول الثاني :** أن المراد في هذا المقام بالذي أبدوه هو قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] ، والذي كتموه هو ما كتمه بعضهم[1] وهو إبليس ، كتم العداوة والحسد لآدم عليه السلام .

● **وقول ثالث :** أن الذي أظهروه هو السجود لآدم عليه السلام ، والذي كتموه هو قولهم : لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منا[2] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الظاهر والخفي في علم الله سواء ، والسر والعلن كذلك ، اذكر عدة أدلة تؤكد ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة : ٣٣] .

---

(١) وهذا يستلزم تنزيل قوله تعالى : ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ على الواحد – وهو إبليس – مع أن لفظه لفظ الجمع ، لكن أجاب البعض على هذا بأن قالوا : إن هذا وارد في لغة العرب كما في قوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [الحجرات : ٤] والمنادي كان واحدًا ، والله تعالى أعلم .

(٢) وهذا يحتاج إلى دليل وليس ثمَّ دليل عليه ، والله تعالى أعلم .

● وقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ [الرعد : ٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ﴾ [الزمر : ٤٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٣ ، ١٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ [طه : ٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ﴾ [النمل : ٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ [التوبة : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾ [النحل : ٢٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ [الحشر : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٥] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله

خيرًا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذًا لمن الظالمين ﴾ [هود : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ [النحل : ٧٧] .

● وقال عيسى عليه السلام : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ [المائدة : ١١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ [الرعد : ١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ [النور : ٣٥] .

***

س : هل الملائكة أفضل أم الصالحون من بني آدم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن الملائكة أفضل ، ومن أدلة هذا القول : قوله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء : ١٧٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ [يوسف: ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك .. ﴾ [هود : ٣١] .

● وقوله تعالى في الحديث القدسي : « من ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم .. » .

والثاني : أن الصالحين من بني آدم أفضل ، ومن أدلته ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ [البينة : ٧] .

● قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] .

● قول النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع » .

● مباهاة الرب عز وجل بالحجيج وغيرهم ملائكته . والله أعلم بالصواب .

***

س : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .. ﴾ [البقرة: ٣١-٣٤] سياق هذه الآيات الكريمة فيه أن قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ بعد تعليم آدم الأسماء كلها (وهذا في سياق الكتاب العزيز) فهل صحيح أن تعليم آدم الأسماء كلها قبل الأمر بالسجود ؟

ج : الجواب أن لا ، وسياق الآيات الكريمة ، وإن كان يفيد ذلك إلا أنه من المعلوم أن سياق الآيات لا يفيد ترتيبًا زمنيًّا ، والصحيح أن الأمر بالسجود قبل تعليم آدم الأسماء كلها ، بل قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، والدليل على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين * فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] .

● وقوله سبحانه : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر : ٢٨ ،٢٩] فدلت هاتان الآيتان على أن قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] كان قبل خلق آدم ﷺ . إلا أن يقول قائل : إن الأمر بالسجود تكرر قبل خلق آدم ، وبعد خلق آدم ، والله تعالى أعلم .

***

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

أبى - رغدًا - فأزلهما - مستقر - متاع - تلقَّى - فإما يأتينكم - هدى - كفروا - آياتنا .

ج :

الكلمة	معناها
أبى رغدًا فأزلهما	امتنع واسعًا هنيئًا ، لا عناء ولا تعب فيه استزلهما أي : أوقعهما في الزلل وهو الخطأ ، ومنه زلت قدم فلان إذا أخطأ ، وقرىء أزلهما أي : نحاهما

الكلمة	معناها
مستقر	موضعٌ يُستقر فيه
متاع	ما يستمتع به من المأكول والمشروب ونحوه
تلقَّى	تلقَّن – فهم – فطن – أخذ ما علمه الله إياه
فإما يأتينكم	فإن يأتكم
هـدى	بيان ورشد – رسل ، وأنبياء ، وكتب – توفيق للهداية
كفروا	جحدوا بآياتي وكذبوا رسلي
آياتنا	القرآن والحجج البينة التي فيه



س : هل هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس .. ﴾ [البقرة : ٣٤] مع سائر قصة إبليس مع آدم إذ امتنع عن السجود صلة بدعوة بني إسرائيل ؟

ج : نعم – والله أعلم – لها صلة ، ففي القصة بيان عقوبة الكبر والتعالي على أمر الله عز وجل والتعالي على الانقياد له سبحانه واتباع رسوله ﷺ ، فلما اعترض إبليس على أمر الله سبحانه كان عاقبته أن طُرد من الجنة وخرج منها مذمومًا مدحورًا ، ووعد الجحيم وعدًا لن يتخلف ، فكذلك أنتم يا معشر يهود يا من علمتم صفة محمد ﷺ واستكبرتم وتعاليتم على الإيمان هذا جزاؤكم إن متم على ما أنتم عليه من كبر وعناد ، والله أعلم ، ونورد هنا ما ذكره الطبري رحمه الله ، قال رحمه الله (٥١٠/١) :

وتأويل قوله : ﴿ أبى ﴾ [البقرة : ٣٤] ، يعني جل ثناؤه بذلك : إبليس، أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له . ﴿واستكبر﴾ [البقرة :٣٤]، يعني بذلك : أنه تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم . وهذا وإن كان من الله جل ثناؤه خبرًا عن إبليس ، فإنه تقريعٌ لضُربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم – اليهودُ الذين كانوا بين ظهرانيْ مُهاجَر رسول الله ﷺ ، وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله ﷺ وصفته عارفين ، وبأنه لله رسولٌ عالمين . ثم استكبروا – مع علمهم بذلك – عن الإقرار بنبوته ، والإذعان لطاعته ، بَغْيًا منهم له وحسدًا . فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدًا له وبغيًا ، نظيرَ فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ﷺ ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدًا وبغيًا .

ثم وَصَف إبليس بمثل الذي وصف به الذي ضربَه لهم مثلًا في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمرَه الله بالخضوع له ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وكان ﴾ [البقرة : ٣٤] – يعني : إبليس – ﴿ منَ الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] – من الجاحدين نعمَ الله عليه وأياديَه عنده ، بخلافه عليه فيما أمرَه به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعمَ ربِّها التي آتاها وآباءَها قبلُ : من إطعام الله أسلافَهم المنَّ والسلوى ، وإظلال الغمام عليهم ، وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم ، خصوصًا ما خصَّ الذين أدركوا محمدًا ﷺ بإدراكهم إياه ، ومشاهدتهم حجةَ الله عليهم ، فجحدت نبوته بعد علمهم به ، ومعرفتهم بنبوته حسدًا وبغيًا . فنسبه الله جل ثناؤه إلى « الكافرين » ، فجعله من عِدَادهم في الدين والملة ، وإن خالفهم في الجنس والنسبة . كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم ، فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] يعني بذلك : أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال . فكذلك قوله في إبليس : ﴿ كان من الكافرين ﴾ ، كان منهم في الكُفر بالله ومخالفتِه أمرَه ، وإن كان مخالفًا جنسُه أجناسَهم ونسبُه نسبهم . ومعنى قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] : أنه كان – حين أبى عن السجود – من الكافرين حينئذ .

***

س : لماذا قيل : ﴿ وإذ قلنا ﴾ [البقرة : ٣٤] ولم يقل : (وإذ قلت) ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : هذا للتفخيم والتعظيم والإشادة بذكره سبحانه وتعالى .

***

س : ما هي الحكمة من الأمر بالسجود لآدم ﷺ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

• تكريم آدم عليه السلام[1] .

• ومنها اختبار للملائكة ، وقد ظهر كبر إبليس لعنه الله بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام .

• ومنها أن الملائكة لما استعظموا[2] بتسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم ، والله أعلم .

* * *

س : هل كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة ؟

ج : لم يكن سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة ، وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال نوح لقومه ﴿ ... ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ [هود : ٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في حصر العبادة لله سبحانه وتعالى وقصرها عليه سبحانه .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] ما المراد به ؟

ج : هو سجود لآدم عليه السلام بأمر الله عز وجل ، وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء رحمهم الله تعالى ، وهذه بعض أقوالهم :

---

(١) ويستفاد هذا من حديث الشفاعة الطويل ، وفيه أن المؤمنين يقولون لآدم عليه السلام : « خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته » .

(٢) هذا على رأي فريق من العلماء .

● قال البغوي رحمه الله :

وقوله : ﴿ اسجدوا ﴾ [البقرة : ٣٤] فيه قولان الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره ، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة ، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل : ﴿ وخرُّوا له سجدًا ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

● وروى الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن[١] عن قتادة قال في قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] : فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته .

● وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : قال أهل العلم : السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه ، وهذا إجماع كل من يسمع قوله .

● وقال بعض العلماء : معنى اسجدوا لآدم أي : اسجدوا إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ [الإسراء : ٧٨] ، ولكن الرأي الأول الذي قدمناه أرجح ، وبه قال الأكثر ، والله تعالى أعلى وأعلم .

***

س : هل كان هذا السجود خاصًا بآدم عليه السلام فلا يجوز لغيره – من جميع الخلق – إلا لله سبحانه وتعالى أم أنه كان جائزًا بعده ؟

ج : ذهب بعض العلماء إلى أن هذا النوع من السجود جاز بعده إلى زمن نبينا ﷺ فنهى عنه نبينا عليه الصلاة والسلام فقال :« لو كنت آمرًا

---

(١) الطبري (٧٠٧) . وقال الطبري قبله : وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم . ثم ذكر أثر قتادة رحمه الله .

أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »[1] .

أما كونه كان جائزًا بعده فقد قال الله عز وجل بشأن يوسف ﷺ : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] والرؤيا التي رآها مذكورة في قوله : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صفة سجود الملائكة لآدم عليه السلام ؟

ج : لم ترد صفة لسجود الملائكة لآدم ﷺ ، والظاهر أنه سجود كالسجود المعهود ، إذ هو الظاهر المتبادر المعروف من السجود ، وليس هناك ما يدفع كونه هذا السجود المعهود .

ومن العلماء من قال : إن المراد به الانحناء ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إبليس مشتق من ماذا ؟

ج : إبليس مشتق من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن ، أبلس إذا أُبعد عن الخير ﴿ فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام : ٤٤] مبعدون عن الخير آيسون منه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وأخرجه الترمذي (١١٥٩) ، وابن حبان (موارد الظمآن) (١٢٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٩١) ، وانظره في كتابي جامع أحكام النساء (٢/١٧٥) .

س : إبليس هل هو من الجن أم من الملائكة ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة ، وهم جمهور العلماء[1] ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة : ٣٤][2] .

---

(١) نقله عنهم غير واحد منهم ابن عطية والقرطبي وغيرهم .

(٢) وأجاب الجمهور على قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف : ٥٠] أي : عمل عملهم فكان منهم في هذا ، أو على أن الملائكة تسمى جنًّا لاستتارها كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وذلك لقول قريش عن الملائكة : إنهم بنات الله .

ومن القائلين : إنه كان من الجن . **سعيد بن المسيب** رحمه الله تعالى ، فقد أخرج الطبري (أثر ٦٩٢) ، بإسناده إلى سعيد بن المسيب رحمه الله قال : (كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا) .

● وأخرج أيضًا (أثر ٦٥٣) بإسناد حسن إلى **قتادة** قال في قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف : ٥٠] : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم : الجن .

بينما صح عن **الحسن البصري** رحمه الله تعالى أنه قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . أخرجه الطبري بإسناد صحيح (أثر ٦٩٦) .

● وقال القاسمي في محاسن التأويل :الصواب التفصيل في هذه المسألة وأن القولين في الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله ، كان أصله من نار ، وأصل الملائكة من نور . فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتوارد على محل واحد ، وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية ، وقيل : إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سُمُّوا (جنًّا) لاستتارهم عن الأعين فإبليس كان منهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وهو قولهم : الملائكة بنات الله ، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية .

● **ومن العلماء من قال : إنه من الجن** ، ومن أدلتهم ما يلي :

● قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] .

● قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف : ٥٠] وليس للملائكة ذرية[1] .

● قول النبي ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[2]، وقال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ [الرحمن : ١٥] فبضميمة هذا مع قول إبليس عن نفسه : ﴿ خلقتني من نار ﴾ [ص : ٧٦] يظهر أن إبليس من الجن ، وأجاب هذا الفريق من أهل العلم على دليل الجمهور : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة : ٣٤] بأن قالوا : إن هذا الاستثناء (إلا إبليس) استثناء منقطع ، كقوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] ، فاتباع الظن ليس بعلم في الحقيقة .

وكقول الشاعر :

ليس عليك عطش ولا جوع إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فالرقاد ليس من العطش والجوع .

● **والراجح لدينا في هذا الباب - والله تعالى أعلم - هو القول بأن إبليس كان من الجن .**

---

(١) ذكر عن الشعبي أنه سئل هل لإبليس زوجة ؟ قال : ذلك عرسٌ لم أشهده : قال : ثم قرأت هذه الآية يعني ﴿ أفتتخذونه وذريته ﴾ [الكهف : ٥٠] فعلمت أنه لا يكون له ذُرية إلا من زوجة فقلت : نعم .

قال (مصطفى) : ومما يؤيد أن له زوجة قوله عليه السلام إذا دخل الخلاء : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » ، والخبث : ذكران الشياطين ، والخبائث : إناثهم ، والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

س : ما معنى (استكبر) ؟

ج : الاستكبار : الاستعظام فاستكبر استعظم وترفع على أمر الله عز وجل[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى كان في قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] ؟

ج : لأهل العلم هنا أقوال منها :

---

(١) قال القرطبي رحمه الله (١/ ٢٩٦) ، ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة : ٣٤] الاستكبار : الاستعظام ؛ فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم ، فكان ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته ، وعن هذا الكِبر عبر عليه السلام بقوله : « لا يدخل الجنة مَن [كان] في قلبه مثقالُ حبة من خَرْدَل من كبر» . في رواية فقال رجل : إن الرجل يحب أنْ يكون ثوبه حَسنًا ونعله حسنَة . قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكِبْر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس » . أخرجه مسلم . ومعنى بطر الحق : تسفيه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم . ويروى : « وغمص » بالصاد المهملة ، والمعنى واحد ؛ يقال : غمَصه يغمصه غَمْصًا واغتمصه ؛ أي : استصغره ولم يره شيئًا . وغَمص فلان النعمة إذا لم يشكرها . وغَمَصتُ عليه قولًا قاله ، أي : عبته عليه . وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [ص : ٧٦] ﴿ ءَأَسْجدُ لمن خَلَقْتَ طينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] ﴿ لَمْ أَكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ [الحجر : ٣٣] فكفره الله بذلك . فكل من سفه شيئًا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حُكْمُه حُكْمَه، هذا ما لا خلاف فيه . وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال : بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد إبليس آدم ، وشح آدم في أكله من الشجرة . وقال قتادة : حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال : أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ . وكان بدء الذنوب الكبر ، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة ، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه .

● أن (كان) بمعنى (صار) أي : صار إبليس بامتناعه عن السجود من الكافرين ، وهي على هذا التأويل كقوله تعالى في شأن نوح وولده : ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾[1] [هود : ٤٣] .

● أن (كان) هنا على معناها المعهود ، والمعنى أنه كان مكتوبًا عند الله عز وجل من الكافرين فلذلك كفر .

● أنه كان قبله قوم كفار وكان منهم . وهذا القول الأخير لا دليل عليه فيما علمت ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل كان كفر إبليس كفر جحود ؟

ج : لم يكن كفر إبليس كفر جحود ، فقد كان إبليس يقرُّ بأن الله عز وجل خالقه ويقر بأن الله عز وجل هو الذي أغواه ، وذلك واضح من قوله : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [الأعراف : ١٦] وقال أيضًا : ﴿ أنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ [الأعراف : ١٤] وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [ص :٨٢ ، ٨٣] ولكنه كفر باعتراضه على أمر الله ورده له وتعاليه عليه قبل كفره بالامتناع عن

---

(١) قال البغوي رحمه الله و(كان) أي : صار من الكافرين ، وقال أكثر المفسرين : وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة .

قلت : وهنا يرد سؤال : هل كان إبليس منافقًا وقت العبادة أم أنه كان مؤمنًا ثم كفر ؟ حكى القاسمي في محاسن التأويل قولين **أحدهما** أنه وقت العبادة كان منافقًا **والثاني** : أنه كان مؤمنًا ثم كفر ، وهذا قول الأكثرين .

السجود[1] وهذا يدل على أنه ليس كل من اعترف بوجود الله يُعدُّ مؤمنًا فالمشركون كانوا يقرون بوجود الله سبحانه وأنه خالقهم ورازقهم وأن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، بل ويدعونه كما قال تعالى : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ... ﴾ [الأنفال : ٣٢] ويحجون ويلبون قائلين : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ... ولكنهم يزيدون فيقولون : (إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك) وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر : ٣] إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن المشركين كانوا يقرون بوجود الله عز وجل وأنه خالقهم ورازقهم ... ، وهذا الذي يسميه العلماء توحيد الربوبية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا استكبر إبليس وامتنع من السجود لآدم عليه السلام ؟

ج : استكبر إبليس احتقارًا لآدم إذ خُلق من طين وتعاليًا في نفسه ؛ لأنه خلق من نار ، قال الله سبحانه وتعالى في شأن إبليس : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ [الحجر : ٣٣] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) قال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل ١/١٠٤) : وقال جمهور الناس : كفر إبليس ؛ لأنه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق في تمرده ، واستدل بـ ﴿ أنا خير منه ﴾ [الأعراف : ١٢] ، كما يأتي فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته ، وهذا الكبر عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » كذا في كتاب الاستعاذة للإمام ابن مفلح الحنبلي

س : من هو أول من استعمل القياس الفاسد ؟ وكيف كان ذلك ؟ وضح فساد هذا القياس ؟

ج : أما أول من استعمل القياس الفاسد فهو إبليس وكان ذلك بأن قاس نفسه على عنصره الذي هو النار ، وقاس آدم على عنصره الذي هو الطين ، وفضل النار على الطين ، ومن ثمَّ فضل نفسه على آدم عليه السلام ومن ثمَّ امتنع عن السجود لآدم عليه السلام .

● وفساد هذا القياس بالدرجة الأولى لمخالفته النص الصريح وهو الأمر بالسجود لآدم ، فلا قياس مع النص ، ونزيد هنا إيضاحًا فننقل ما ذكره الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٧٣/١) . فقال رحمه الله تعالى :

تنبيه : مثل قياس إبليس نفسه على عنصره ، الذي هو النار وقياسه آدم على عنصره ، الذي هو الطين واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه ، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار . وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود :

والخلف للنص أو إجماع دعا   فساد الاعتبار كل من وعى

فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس ، وقياس إبليس هذا لعنه الله باطل من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه فاسد الاعتبار ؛ لمخالفة النص الصريح كما تقدم قريبًا .

الثاني : أنا لا نسلم أن النار خير من الطين ، بل الطين خير من النار ؛ لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق ، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة ، والنواة فيعطيكها نخلة .

وإذا أردت أن تعرف قدر الطين فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من

الثمار اللذيذة ، والأزهار الجميلة ، والروائح الطيبة . تعلم أن الطين خير من النار .

الثالث : أنا لو سلمنا تسليمًا جدليًّا أن النار خير من الطين : فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم ؛ لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع ، بل قد يكون الأصل رفيعًا والفرع وضيعًا . كما قال الشاعر :

إذا افتخرت بآباء لهم شرف   قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وقال الآخر :

وما ينفع الأصل من هاشم   إذا كانت النفس من باهله

❋ ❋ ❋

س : هل ندم إبليس على طاعته لله إذ أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

ج : ورد ما يفيد ذلك ، وهو ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله - وفي رواية : يا ويلي - أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأُمرت بالسجود فأبيت فليَّ النار »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما يستفاد من أمر الله عز وجل ملائكته بالسجود لآدم وامتناع إبليس من ذلك ؟

ج : يُستفاد من هذا جملة أمور منها ما يلي :

● عقوبة الكبر الذي هو بطر الحق والاستعلاء على أمر الله عز وجل ،

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٢/ ٦٩) ، حديث (١٣٣) .

فقد أودى هذا بإبليس إلى الكفر .

● إن القلوب والبواطن يعلمها الله عز وجل ، فنحن وإن حكمنا على الناس بظاهر ما بدا منهم – وهذا هو المشروع لنا[1] – لكن قد يكون هناك وراء هذا الظاهر أمور أخرى تخالفه ، فهذا إبليس كان ظاهره الصلاح وأنه في عداد الملائكة لكن لما أُمر بالسجود ظهرت حقيقته ، وحقيقة مادته .

● فضل امتثال أمر الله عز وجل والتواضع له فلما أطاعت الملائكة أمر ربها وسجدت رفع الله قدرهم وأعلى الله منزلتهم ، ووصفهم الله عز وجل بأنهم مقربون، قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء : ١٧٢]، وقال تعالى : ﴿بل عباد مكرمون ... ﴾ [الأنبياء : ٢٦] .

● **ويستفاد أيضًا أن الأعمال بالخواتيم** ، فقد قال النبي ﷺ :– فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[2]– « فوالله إن أحدكم – أو الرجل – ليعمل بعمل أهل النار[3] حتى ما يكون بينه وبينها غيرُ باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

● وكانت خاتمة إبليس – لعنه الله – خاتمة سيئة عياذًا بالله من سوء الخاتمة .

● **ويستفاد أيضًا أن المقدر سيقع** لقوله تعالى في شأن إبليس : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] ، فلما سبق في علم الله أن إبليس

---

(١) وقد قال النبي ﷺ : « إنكم تختصمون لدي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار ، فإن شاء أخذها وإن شاء تركها » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩٤) ومسلم (حديث ٢٦٤٣) .

(٣) في حديث سهل بن سعد عند البخاري (٤٢٠٢) مرفوعًا : «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

سيموت على الكفر تحقق فيه ما أخبر به الله سبحانه وتعالى .

• **ويستفاد أيضًا عقوبة الحسد** فالحسد حمل إبليس على الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام ومن ثمَّ أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا . والله أعلم .

***

س : ما فائدة ذكر أنت في قوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة : ٣٥] ألم يكن يكفي اسكن وزوجك الجنة ؟

ج : فائدة ذكر (أنت) التأكيد للمضمر الذي في قوله (اسكن) ، وهي كما قال تعالى حاكيًا عن بني إسرائيل قولهم لموسى عليه السلام : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ [المائدة : ٢٤] .

***

س : هل ورد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء ؟

ج : لم يرد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء لكن ورد قوله تعالى : ﴿ هوالذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ليسكن إليها .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] أي : ذكرت بلفظ (زوج) أما في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها »[1] .

***

س : أين توجد الجنة وما الدليل على ذلك ؟

ج : الجنة في السماء لقوله تعالى : ﴿ عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾ [النجم : ١٤ ، ١٥] وسدرة المنتهى في السماء (بعد السماء السابعة)

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٣٠) ، ومسلم (حديث ١٤٨٠) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

كما في حديث المعراج[1] .

وأيضًا كون الجنة في السماء لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل الجنة التي سكنها آدم عليه السلام هي جنة الخلد ؟

ج : نعم هي جنة الخلد عند جمهور أهل السنة والجماعة ، واعترضت طائفة من المعتزلة على ذلك واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] قالوا : وقد أُخرج آدم ﷺ وزوجه منها : وليس في هذه الآية دليل لهم ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ في شأن من سيدخلونها يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ رغدًا ﴾ [البقرة : ٣٥] ؟

ج : الرَّغد هو الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعنِّي صاحبه ، يقال : أرغد فلان إذا أصاب واسعًا من العيش الهنيء كما قال امرؤ القيس بن حُجر :

بينما المرؤ تراه ناعمًا ... يأمن الأحداث في عيش رَغَدْ

قاله الطبري رحمه الله .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢) ، من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك قال : محمد ﷺ قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى .

س : ماهي الشجرة التي نهى الله عز وجل آدم عليه السلام عن الأكل منها ؟

ج : قيل في ذلك جملة أقوال منها : أنها شجرة التين ، ومنها أنها شجرة الكرم (العنب) ، ومنها أنها السنبلة ، إلى غير ذلك من الأقوال ، وكلها أقوال تفتقر إلى دليل صحيح ، وليس ثَمَّ دليل صحيح في تسميتها ، ولو كان في تسميتها خير ومنافع للعباد لسماها الله تبارك وتعالى وقد قال الطبري رحمه الله تعالى قولًا حسنًا في ذلك فقال رحمه الله (١/ ٥٢٠ – ٥٢١) : والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها ، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ، بنصٍّ عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها . ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أيٍّ رضًا ، لم يخل عباده من نَصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضًا .

فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة فأنَّى يأتي ذلك ؟ وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك علم ، إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم

يضره جهلهُ به[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة : ٣٥]؟

ج : المراد بالظلم ابتداءً وضع الشيء في غير موضعه ، هذا أصل تعريف (الظلم) في كلام العرب .

أما المراد بقوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ فقد قال الطبري رحمه الله تعالى : فإنه يعني فتكونا من المتعدِّين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه، وإنما عنى بذلك : أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تَعدَّى حُدودي وعَصى أمري واستحلَّ محارمي لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين .

وقال غيره : يعني : إن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ نوع ابتلاء وضحه ؟

ج : يوضحه ما قاله قتادة بن دِعامة رحمه الله حيث قال قوله: ﴿ يا آدم اسكن

(١) فائدة : قال الطبري رحمه الله (٥١٦/١) : والشجر في كلام العرب كل ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] يعني بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت ، وبالشجرة ما استقل على ساق .
قلت : ومراده بالنجم ما هو مثل الحشيش الذي ينبت بدون ساق ونحوه ، وسيأتي هل هو المراد أم لا عند قوله تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ إن شاء الله.

أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ﴾ [البقرة : ٣٥] ثم إن البلاء الذي كتب على الخلق كتب على آدم كما ابتلي الخلق قبله أن الله جل ثناؤه أحل له ما في الجنة أن يأكل منها رغدًا حيث شاء غير شجرة واحدة نُهي عنها وقُدِّم إليه فيها فما زال به البلاء حتى وقع بالذي نهي عنه[1] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] سدٌّ للذرائع، وضح ذلك واذكر الأدلة الواردة في باب سد الذرائع ؟

ج : وجه ذلك أن النهي عن الاقتراب من الشجرة يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى ، فنهى عن الاقتراب سدًّا للذريعة حتى لا يتوصل بالاقتراب من الشجرة إلى الأكل منها .

أما الأدلة على سد الذرائع فكثيرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ [الأنعام : ١٥١] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٩٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .
- وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه »[2] .
- وقول النبي ﷺ : « يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن (٧١٧) ، عن قتادة .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم .. »[1].

● ومنها النهي عن إشارة الرجل إلى أخيه بالسلاح[2] .

---

(١) صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

(٢) كما في الصحيحة ، وهذا بحث ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في سد الذرائع في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين : قال رحمه الله تعالى :

فصـل
في سد الذرائع

لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها ، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ، ووسائل الطاعات والقُربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها ، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل .

فإذا حَرَّم الربُّ تعالى شيئًا ، وله طرق ووسائل تفضي إليه ، فإنه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقًا لتحريمه ، وتثبيتًا له ، ومنعًا أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم ، وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعُدَّ متناقضًا ، ولحصل من رعيته وجنده ضدُّ مقصوده .

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه ، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه . فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال ؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها ، والذريعة ؛ ما كان وسيلة وطريقًا إلى الشيء .

ولا بد من تحرير هذا الموضع قبل تقريره ليزول الالتباس فيه ، فنقول :

الفعل أو القول المفضي إلى المفسدة قسمان :

أحدهما : أن يكون وضعه للإفضاء إليها كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر ، وكالقَذْف المفضي إلى مفسده الفرية ، والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش ، ونحو ذلك أفعال وأقوال وضعت مفضية لهذه المفاسد وليس لها ظاهر غيرها .=

....

= والثاني : أن تكون موضوعة للإفضاء إلى أمر جائز أو مستحب ، فيتخذ وسيلة إلى المحرم إمَّا بقصده أو بغير قصد منه .

فالأول : كمن يعقد النكاح قاصدًا به التحليل ، أو يعقد البيع قاصدًا به الربا أو يخالع قاصدًا به الحنث ، ونحو ذلك .

والثاني : كمن يُصَلي تطوعًا بغير سبب في أوقات النهي ، أو يسب أرباب المشركين بين أظهرهم ، أو يصلي بين يدي القبر لله ، ونحو ذلك .

ثم هذا القسمُ من الذرائع نوعان : أحدهما : أن تكون مصلحة الفعل أرجَحَ من مفسدته .

والثاني : أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته ؛ فهاهنا أربعة أقسام :

الأول : وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة .

الثاني : وسيلة موضوعة للمُبَاح قصدَ بها التوسل إلى المفسدة .

الثالث : وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوسل إلى المفسدة لكنها مُفَضية إليها غالبًا ، ومفسدتها أرجح من مصلحتها .

الرابع : وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها ، فمثال القسم الأول والثاني قد تقدم ، ومثال الثالث : الصلاةُ في أوقات النهي ، ومَسَبَّة آلهة المشركين بين ظَهْرَانيهم ، وتزين المتوفى عنها في زمن عِدتها ، وأمثال ذلك .

ومثال الرابع : النظر إلى المخطوبة والمُسْتامة والمشهود عليها ومَن يطؤها ويعاملها ، وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي وكلمة الحق عند ذي سلطان جائر ونحو ذلك ، فالشريعة جاءت بإباحة هذا القسم أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجاته في المصلحة ، وجاءت بالمنع من القسم الأول كراهة أو تحريمًا بحسب درجاته في المفسدة ، بقي النظر في القسمين الوسط : هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما ؟ فنقول :

الدلالة على المنع من وجوه :

الوجه الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِين يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فيسبُّوا الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

فحرم الله تعالى سَبَّ آلهة المشركين مع كون السب غيظًا وحمية لله وإهانة لآلهتهم لكونه ذريعةً إلى سبهم لله تعالى ، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من =

= مصلحة سبنا لآلهتهم ، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز .

الوجه الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] فمنعهن من الضرب بالأرجُل ، وإن كان جائزًا في نفسه ، لئلا يكون سببًا إلى سَمْع الرجال صوتَ الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهنَّ .

الوجه الثالث : قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الذين آمَنُوا لِيستأْذِنكُمُ الَّذين مَلكَتْ أيمانكم، والَّذينَ لَمْ يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُمْ ، ثلاثَ مَرَّاتٍ ﴾ الآية [النور : ٥٨] .

أمر تعالى مماليكَ المؤمنين ومن لم يبلغ منهم الحلم أن يستأذنوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة لئلا يكون دخولهم هجمًا بغير استئذان فيها ذريعةً إلى اطلاعهم على عَوْراتهم وقت إلقاء ثيابهم عند القائلة والنوم واليقظة ، و لم يأمرهم بالاستئذان في غيرها ، وإن أمكن في تركه هذه المفسدة لنُدُورها وقلة الإفضاء إليها فجعلت كالمقدمة .

الوجه الرابع : قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا تَقُولوا رَاعِنا ، وقُولوا : انظُرْنَا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة مع قصدهم بها الخير لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم ، فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويقصدون بها السبَّ ، يقصدون فاعلًا من الرعونة ، فَنُهِيَ المسلمون عن قولها ؛ سدًّا لذريعة المشابهة ؛ ولئلا يكون ذلك ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي ﷺ تشبهًا بالمسلمين ، يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون ، [ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدًا] .

الوجه الخامس : قوله تعالى لكليمه موسى وأخيه هارون : ﴿ اذهَبا إلى فِرْعونَ إنَّهُ طَغَى ، فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعلَّه يَتَذكرُ أَوْ يَخْشى ﴾ [طه : ٤٤] ، فأمر تعالى أن يُلينا القولَ لأعظم أعدائه وأشدهم كفرًا وأعتاهم عليه ؛ لئلا يكون إغلاظُ القول له مع أنه حقيق به ذريعةً إلى تنفيره وعدم صبره لقيام الحجة ، فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى .

الوجه السادس : أنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد ، وأمرهم بالعفو والصفح ، لئلا يكون انتصارهم ذَريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدةً من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيْم ، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة . =

= الوجه السابع : أنه تعالى نهى عن البيع وقت نداء الجمعة ، لئلا يتخذ ذريعة إلى التشاغل بالتجارة عن حضورها .

الوجه الثامن : ما رواه حُمَيْد بن عبد الرحمن عن عَبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » ، قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسبُّ أبا الرجلِ فَيُسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » متفق عليه .

ولفظ البخاري : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه » قيل : يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسبِ أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه » .

فجعل رسول الله ﷺ الرجل سابًا لاعنًا لأبويه بتسببه إلى ذلك ، وتوسُّله إليه لم يقصده .

الوجه التاسع : أن النبي ﷺ كانَ يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ؛ لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم : إن محمدًا يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومَنْ لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

الوجه العاشر : أن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من المفاسد الكثيرة المترتبة على زوال العقل ، وهذا ليس مما نحن فيه ، لكن حرَّم القطرة الواحدة منها ، وحرَّم إمساكها للتخليل ونجسها ؛ لئلا تتخذ القطرة ذريعة إلى الحَسْوَة[1] ، ويتخذ إمساكها للتخليل ذريعة إلى إمساكها للشرب .

ثم بالغ في سد الذريعة ، فنهى عن الخَليطين ، وعن شرب العصير بعد ثلاث ، وعن الانتباذ في الأوْعية التي قد يتخمر النبيذ فيها ، ولا يعلم به ، حسمًا لمادة قربان المسكر ، وقد صرح ﷺ بالعلة في تحريم القليل فقال : « لو رخصت لكم في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه » .

الوجه الحادي عشر : أنه ﷺ حرم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن ، والسفر بها ، ولو في الحج وزيارة الوالدين ، سدًّا لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع .

الوجه الثاني عشر : أن الله تعالى أمر بغضِّ البصر وإن كان إنما يقع على =

(١) الحُسوة بضم الحاء : الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة ، والحسوة بفتحها : المرة .

= محاسن الخلقة والتفكر في صنع الله ؛ سدًّا لذريعة الإرادة والشهوة المُفْضية إلى المحظور .

الوجه الثالث عشر : أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ، ولعن مَنْ فعل ذلك ، ونهى عن تجصيص القبور ، وتشريفها ، واتخاذها مساجد ، وعن الصلاة إليها وعندها ، وعن إيقاد المصابيح عليها ، وأمر بتسويتها ، ونهى عن اتخاذها عيدًا ، وعن شد الرحال إليها ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها ، وحرم ذلك على مَنْ قصده ، ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدًّا للذريعة .

الوجه الرابع عشر : أنه ﷺ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، وكان من حكمة ذلك أنهما وقْتُ سجود المشركين للشمس ، وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سدًّا لذريعة المشابهة الظاهرة ، التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بُعد هذه الذريعة ، فكيف بالذرائع القريبة ؟!

الوجه الخامس عشر : أنه ﷺ نهى عن التشبُّه بأهل الكتاب في أحاديث كثيرة ، كقوله : « إن اليهودَ والنصارى لا يَصبغونَ ، فخالفوهم » .

وقوله : « إن اليهود لا يُصلُّون في نعالهم فخالفوهم » .

وقوله في عاشوراء : « خالفوا اليهود ، صُومُوا يومًا قبله ويومًا بعده » ، وقوله : « لا تَشبهُوا بالأعاجم » .

وروى الترمذي عنه : « ليس منا من تشبه بغيرنا » .

وروى الإمام أحمد عنه : « مَنْ تشبه بقوم فهو منهم » .

وسر ذلك أن المشابهة في الهَدْي الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل .

الوجه السادس عشر : أنه ﷺ حَرَّمَ الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، وقال : « إنكم إذا فعلتم ذلك قطَعْتم أرحامكم » حتى لو رضيت امرأة بذلك لم يجز ؛ لأن ذلك ذريعة إلى القطيعة المحرمة ، كما علل به النبي ﷺ .

الوجه السابع عشر : أنه حرم نكاح أكثر من أربع ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الجور ، وقيل : العلة فيه أنه ذريعة إلى كثرة المؤنة المُفْضِية إلى أكل الحرام ، وعلى التقديرين فهو من باب سد الذرائع ، وأباح الأربع وإن كان لا يؤمن الجورُ في اجتماعهن ؛ لأن حاجته قد لا تندفع بما دونهن ، فكانت مصلحة الإباحة أرجح من مفسدة الجور المتوقعة .

الوجه الثامن عشر : أن الله تعالى حرم خِطْبَةَ المُعْتدَّة صريحًا ، حتى حرم ذلك =

= في عدة الوفاة ، وإن كان المرجع في انقضائها ليس إلى المرأة ، فإن إباحة الخِطبَة قد تكون ذريعة إلى استعجال المرأة بالإجابة والكذب في انقضاء عدتها .

الوجه التاسع عشر : أن الله تعالى حرم عقد النكاح في حال العدة وفي الإحرام وإن تأخر الوطء إلى وقت الحل ؛ لئلا يتخذ العقد ذريعة إلى الوطء ، ولا ينتقض هذا بالصيام ، فإن زمنه قريب جدًّا ، فليس عليه كلفة في صبره بعضَ يوم إلى الليل .

الوجه العشرون : أن الشارع حَرم الطِّيبَ على المحرم لكونه من أسباب دواعي الوطء ، فتحريمه من باب سد الذريعة .

الوجه الحادي والعشرون : أن الشارع اشترط للنكاح شروطًا زائدة على العقد تَقْطَع عنه شَبَهَ السِّفاح ، كالإعلام ، والولي ، ومَنَع المرأة أن تليه بنفسها ، وندب إلى إظهاره حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة .

وكان أصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحين ﴾ [المائدة : ٥] ، و﴿مُحْصَنَاتٍ غيرَ مُسافحاتٍ ، ولا متَّخِذاتِ أخْدانٍ ﴾ [النساء : ٢٥] ؛ لأن في الإخلال بذلك ذريعة إلى وقوع السِّفاح بصورة النكاح ، وزوال بعض مقاصد النكاح من جحْد الفراش ، ثم أكد ذلك بأن جعل للنكاح حريمًا من العِدَّة تزيد على مقدار الاستبراء ، وأثبت له أحكامًا من المصاهرة وحرمتها ومن الموارثة زائدة على مجرد الاستمتاع .

فعلم أن الشارع جعله سببًا ووُصْلَة بين الناس بمنزلة الرحم كما جمَع بينهما في قوله : ﴿ وجَعَلَهُ نسَبًا وصِهرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ، وهذه المقاصد تمنع شَبَهَهُ بالسفاح ، وتبين أن نكاح المحلل بالسفاح أشبهُ منه بالنكاح (حيث كانت هذه الخصائص غير متيقنة فيه) .

الوجه الثاني والعشرون : أن النبي ﷺ نَهى أن يجمع الرجل بين سَلَفٍ وبيع ، وهو حديث صحيح .

ومعلوم أنه لو أفرد أحدَهما عن الآخر صح ؛ وإنما ذاك لأن اقتران أحدهما بالآخر ذريعة إلى أن يُقْرِضهُ ألفًا ، ويبيعه سلعة تساوي ثمانمائة بألف أخرى ، فيكون قد أعطاه ألفًا وسلعة بثمانمائة ليأخذ منه ألفين ، وهذا هو معنى الربا .

فانظر إلى حمايته الذريعة إلى ذلك بكل طريق ، وقد احتج بعض المانعين لمسألة مُدِّ عَجْوَة بأن قال : إن مَنْ جَوَّزها يجوز أن يبيع الرجل ألف دينار في منديل بألف وخمسمائة مفردة ، قال : وهذا ذريعة إلى الربا ، ثم قال : يجوز =

= أن يقرضه ألفًا ويبيعه المنديل بخمسمائة .

وهذا هو بعينه الذي نَهَى عنه رسول الله ﷺ ، وهو من أقرب الذرائع إلى الربا ، ويلزم مَنْ لم يسدَّ الذرائعَ أن يخالف النصوص ويجيز ذلك ، فكيف يترك أمرًا ويرتكب نظيره من كل وجه ؟ .

الوجه الثالث والعشرون : أن الآثار المتظاهرة في تحريم العِينَةِ عن النبي ﷺ ، وعن الصحابة تدل على المنع من عَوْدِ السلعة إلى البائع ، وإن لم يتواطئا على الربا ، وما ذاك إلا سدًّا للذريعة .

الوجه الرابع والعشرون : أن النبي ﷺ مَنَعَ المُقْرِضَ من قبوله الهدية ، وكذلك أصحابه ، حتى يحسبها من دَيْنه ؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تأخير الدين لأجل الهدية فيكون ربًا ، فإنه يعود إليه ماله وأخذ الفضْل الذي استفاده بسبب القرض .

الوجه الخامس والعشرون : أن الوالي والقاضي والشافع ممنوع من قبول الهدية ، وهو أصل فسادِ العالم ، وإسنادِ الأمر إلى غير أهله ، وتولية الخونة والضعفاء والعاجزين ، وقد دخل بذلك من الفساد ما لا يحصيه إلا الله ، وما ذاك إلا لأن قبول الهدية ممن لم تجر عادته بمهاداته ذريعة إلى قَضاء حاجته ، وحُبُّكَ الشيء يُعْمي ويُصمُّ ، فيقوم عنده شهوة لقضاء حاجته مكافأة له مقرونة بشَرَه وإغماض عن كونه لا يصلح .

الوجه السادس والعشرون : أن السنة مَضَتْ بأنه ليس للقاتل من الميراث شيء : إما عمدًا كما قال مالك ، وإما مباشرة كما قال أبو حنيفة ، وإما قتلًا مضمونًا بقصاص أو دية أو كفارة ، وإما قتلًا بغير حق ، وإما قتلًا مطلقًا كما هي أقوال في مذهب الشافعي وأحمد ، والمذهب الأول ، وسواء قصد القاتل أن يتعجل الميراث أو لم يقصده ، فإن رعاية هذا القصد غير معتبرة في المنع وفاقًا ؛ وما ذاك إلا أن توريث القاتل ذريعة إلى وقوع هذا الفعل ، فسدَّ الشارعُ الذريعة بالمنع .

الوجه السابع والعشرون : أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وَرَّثوا =

= المطلقة المبتوتة في مرض الموت حيث يُتَّهم بقصد حرمانها الميراث بلا تردد وإن لم يقصد الحرمان ؛ لأن الطلاق ذريعة ، وأما إذا لم يُتَّهم ففيه خلاف معروف مأخذه أن المرض أوجب تعلُّق حقها بماله ، فلا يمكَّنُ من قطعه أو سدًّا للذريعة بالكلية ، وإن كان في أصل المسألة خلاف متأخر عن إجماع السابقين .

الوجه الثامن والعشرون : أن الصحابة وعامة الفقهاء اتفقوا على قتل الجميع بالواحد وإن كان أصل القصاص يمنع ذلك ؛ لئلا يكون عدمُ القصاص ذريعةً إلى التعاون على سَفْك الدماء .

الوجه التاسع والعشرون : أن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الغزو ؛ لئلا يكون ذريعة إلى إلحاق المحدود بالكفار ، ولهذا لا تقام الحدود في الغزو كما تقدم .

الوجه الثلاثون : أن النبي ﷺ نَهَى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن تكون له عادة توافق ذلك اليوم ، ونهى عن صوم يوم الشك ؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذريعةً إلى أن يلحق بالفرض ما ليس منه .

وكذلك حرم صوم يوم العيد تمييزًا لوقت العبادة عن غيره لئلا يكون ذريعة إلى الزيادة في الواجب ، كما فعلت النصارى ، ثم أكد الغرض باستحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور ، واستحباب تعجيل الفطر في يوم العيد قبل الصلاة ، وكذلك ندَب إلى تمييز فرض الصلاة عن نفلها ، فكره للإمام أن يتطوع في مكانه ، وأن يستديم جلوسَهُ مستقبل القبلة ، كل هذا سدًّا للباب المفضي إلى أن يزاد في الفرض ما ليس منه .

الوجه الحادي والثلاثون : أنه ﷺ كره الصلاة إلى ما قد عُبِدَ من دون الله تعالى ، وأحبَّ لمن صلى إلى عود أو عمود أو شجرة أو نحو ذلك أن يجعله على أحد جانبيه ، ولا يَصْمُدُ إليه صَمْدًا ، قطعًا لذريعة التشبه بالسجود إلى غير الله تعالى .

الوجه الثاني والثلاثون : أنه شرع الشُّفعة ، وسَلَّط الشريك على انتزاع الشقص من يد المشتري سدًّا لذريعة المفسدة المتعلقة بالشريك والقسمة . =

= الوجه الثالث والثلاثون : أن الحاكم منهيٌّ عن رفع أحد الخصمين على الآخر ، وعن الإقبال عليه دونه ، وعن مشاورته والقيام له دون خصمه ؛ لئلا يكون ذريعة إلى انكسار قلب الآخر وضعفه عن القيام بحجته وثقل لسانه بها .

الوجه الرابع والثلاثون : أنه ممنوع من الحكم بعلمه ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى حكمه بالباطل ويقول : حكمت بعلمي .

الوجه الخامس والثلاثون : أن الشريعة منعت من قبول شهادة العدو على عدوه ؛ لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى بلوغ غرضه من عدوه بالشهادة الباطلة .

الوجه السادس والثلاثون : أن الله تعالى منع رسوله حيث كان بمكة من الجَهْرِ بالقرآن ، حيث كان المشركون يسمعونه فيسبون القرآن ، ومَنْ أنزله ومَنْ جاء به ، ومن أُنزل عليه .

الوجه السابع والثلاثون : أن الله تعالى أوجب الحدود على مرتكبي الجرائم التي تتقاضاها الطباع وليس عليها وازع طبيعي ، والحدود عقوبات لأرباب الجرائم في الدنيا كما جعلت عقوبتهم في الآخرة بالنار إذا لم يتوبوا ، ثم إنه تعالى جعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فمن لقيه تائبًا توبة نصوحًا لم يعذبه مما تاب منه .

وهكذا في أحكام الدنيا إذا تاب توبة نصوحًا قبل رفعه إلى الإمام سقط عنه الحد في أصح قَولِي العلماء ، فإذا رفع إلى الإمام لم تسقط توبته عنه الحدَّ [وإن غلب على ظنه أنه لا يعود إليها] لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تعطيل حدود الله ، إذ لا يعجز كل من وجب عليه الحدُّ أن يُظهر التوبة ليتخلص من العقوبة ، وإن تاب توبة نصوحًا سدًّا لذريعة السكوت بالكلية .

الوجه الثامن والثلاثون : أن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى ، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف ، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن ؛ وذلك سدًّا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع ؛ وطلبًا لاجتماع القلوب وتألُّف الكلمة ، وهذا من أعظم مقاصد الشرع ، وقد سد الذريعة إلى ما يُنَاقضه بكل طريق ، حتى في تسوية الصف في الصلاة ؛ لئلا تختلف القلوب ، وشواهِدُ ذلك أكثر من أن تذكر .

الوجه التاسع والثلاثون : أن السنة مَضَتْ بكراهة إفراد رجب بالصوم ، وكراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلتها بالقيام ، سدًّا لذريعة اتخاذ شرْع لم يأذن به الله من =

....

= تخصيص زمان أو مكان بما لم يخصه به ؛ ففي ذلك وقوعٌ فيما وقع فيه أهل الكتاب .

الوجه الأربعون : أن الشروط المضروبة على أهل الذمة تضمنت تمييزهم على المسلمين في اللباس والشعور والمراكب وغيرها ؛ لئلا تفضي مشابهتهم إلى أن يُعامل الكافر معاملة المسلم ، فسدت هذه الذريعة بإلزامهم التميز عن المسلمين .

الوجه الحادي والأربعون : أن النبي ﷺ أمر ناجية بن كعب الأسلمي وقد أرسل معه هديه إذا عطب منه شيء دون المحل أن ينحره ويصبغ نعله التي قلده بها في دمه ويخلي بينه وبين الناس ، ونهاه أن يأكل منه هو أو أحد من أهل رفقته .

قالوا : وما ذاك إلا لأنه لو جاز أن يأكل منه أو يطعم أهل رفقته قبل بلوغ المحل فربما دعاه ذلك إلى أن يقصر في علفها وحفظها لحصول غرضه من عطبها دون المحل كحصوله بعد بلوغ المحل من أكله هو ورفقته وإهدائهم إلى أصحابهم ، فإذا أيس من حصول غرضه في عطبها كان ذلك أدعى إلى حفظها حتى تبلغ محلها ، وأحسم لمادة هذا الفساد ، وهذا من ألطف أنواع سد الذرائع .

الوجه الثاني والأربعون : أن النبي ﷺ أمر الملتقط أن يشهد على اللقطة ، وقد علم أنه أمين ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة الطمع والكتمان ، فإذا بادر وأشهد كان أحسم لمادة الطمع والكتمان ، وهذا أيضًا من ألطف أنواعها .

الوجه الثالث والأربعون : أنه ﷺ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد » ، وذم الخطيب الذي قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن عصاهما فقد غوى ؛ سدًّا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ ، وحسمًا لمادة الشرك حتى في اللفظ ؛ ولهذا قال للذي قال له : ما شاء الله وشئت : « أجعلتني لله ندًّا ؟» فحسم مادة الشرك وسد الذريعة إليه في اللفظ كما سدها في الفعل والقصد ، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها ، وأعمها .

الوجه الرابع والأربعون : أنه ﷺ أمر المأمومين أن يُصلوا قعودًا إذا صلى إمامهم قاعدًا ، وقد تواتر عنه ذلك ، ولم يجىء عنه ما ينسخه ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة مُشابهة الكفار حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود ، كما علله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وهذا التعليل منه يبطل قول من قال : إنه منسوخ ، مع أن ذلك دعوى لا دليل عليها . =

....

= الوجه الخامس والأربعون : أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر المصلي بالليل إذا نعس أن يذهب فليرقد ، وقال : « لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » ، فأمره بالنوم ؛ لئلا تكون صلاته في تلك الحال ذريعة إلى سبه لنفسه ، وهو لا يشعر لغلبة النوم .

الوجه السادس والأربعون : أن الشارع صلوات الله عليه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يستام على سوم[1] أخيه أو يبيع على بيع أخيه ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى التباغض والتعادي ؛ فقياس هذا أنه لا يستأجر على إجارته ، ولا يخطب ولاية ولا منصبًا على خطبته ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه .

الوجه السابع والأربعون : أنه نهى عن البول في الجحر ، وما ذاك إلا لأنه قد يكون ذريعة إلى خروج حيوان يؤذيه، وقد يكون من مساكن الجن فيؤذيهم بالبول، فربما آذوه .

الوجه الثامن والأربعون : أنه نهى عن البراز في قارعة الطريق والظل والموارد ، لأنه ذريعة لاستجلاب اللعن كما علل به ﷺ بقوله : «اتقوا الملاعن الثلاث»، وفي لفظ : «اتقوا اللاعنين»، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : « الذي يتخلى في طريق الناس ، وفي ظلهم » .

الوجه التاسع والأربعون : أنه نهاهم إذا أقيمت الصلاة أن يقوموا حتى يروه قد خرج ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قيامهم لغير الله ، ولو كانوا إنما يقصدون القيام للصلاة ، لكن قيامهم قبل خروج الإمام ذريعة ، ولا مصلحة فيها ، فنهوا عنه .

الوجه الخمسون : أنه نهى أن توصل صلاة بصلاة الجمعة ، حتى يتكلم أو يخرج ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى تغيير الفرض ، وأن يزاد فيه ما ليس منه . قال السائب بن يزيد : صليت الجمعة في المقصورة ، فلما سلم الإمام قمت في مقامي فصليت ، فلما دخل معاوية أرسل إليَّ ، فقال : لا تعد لما فعلت ، إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج ، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر بذلك ألا توصل الصلاة حتى يتكلم أو يخرج .

الوجه الحادي والخمسون : أنه أمر من صلى في رحله ثم جاء المسجد أن يصلي مع الإمام وتكون له نافلة ؛ لئلا يتخذ قعوده والناس يصلون ذريعة إلى إساءة الظن به ، وأنه ليس من المصلين . =

(١) المساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة ، وفصل ثمنها ، يقال : سام يسوم سومًا ، ومساوم واستام . والمنهي عنه أن يتساوم المتبايعان في السلعة ويتقارب الانعقاد ، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ، ويخرج من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر عليه الأمر بين المتساومين ، ورضيا به قبل الانعقاد . قاله المعلق على إعلام الموقعين .

= الوجه الثاني والخمسون : أنه نهى أن يسمر بعد العشاء الآخرة إلا لمصل أو مسافر ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وما ذاك إلا لأن النوم قبلها ذريعة إلى تفويتها ، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل ، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره .

الوجه الثالث والخمسون : أنه نهى النساء إذا صلين مع الرجال أن يرفعن رءوسهن قبل الرجال ؛ لئلا يكون ذريعة منهن إلى رؤية عورات الرجال من وراء الأزر كما جاء التعليل بذلك في الحديث .

الوجه الرابع والخمسون : أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره ، كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ، ولا يتخطاه إلى غيره » .

وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه وإيحاش صدر الإمام ، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة ، أو يرمى ببدعة ، أو يعلن بفجور ، فلا بأس بتخطيه إلى غيره .

الوجه الخامس والخمسون : أنه نهى الرجل بعد الأذان أن يخرج من المسجد حتى يصلي ؛ لئلا يكون خروجه ذريعة إلى اشتغاله عن الصلاة جماعة كما قال عمار لرجل رآه قد خرج بعد الأذان : أما هذا فقد عصى أبا القاسم .

الوجه السادس والخمسون : أنه نهى عن الاحتباء[1] يوم الجمعة ، كما رواه أحمد في مسنده من حديث سهل بن معاذ عن أبيه : نهى رسول الله ﷺ عن الاحتباء يوم الجمعة ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى النوم .

الوجه السابع والخمسون : أنه نهى المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب أو تصيب بخورًا ؛ وذلك لأنه ذريعة إلى ميل الرجال وتشوفهم إليها ، فإن رائحتها وزينتها وصورتها وإبداء محاسنها تدعو إليها ، فأمرها أن تخرج تفلة وأن لا تتطيب ، وأن تقف خلف الرجال ، وأن لا تسبح في الصلاة إذا نابها شيء ، بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى ، كل ذلك سدًا للذريعة وحماية عن المفسدة .

الوجه الثامن والخمسون : أنه نهى أن تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ، ولا يخفى أن ذلك سد للذريعة ، وحماية عن مفسدة وقوعها في قلبه ، وميله إليها =

---

(١) الاحتباء : هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره أو يشده عليهما ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب .

= بحضور صورتها في نفسه ، وكم ممن أحب غيره بالوصف قبل الرؤية .

الوجه التاسع والخمسون : أنه نهى عن الجلوس بالطرقات ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى النظر إلى المحرم ، فلما أخبروه أنه لا بد لهم من ذلك ، قال : « أعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حقه ؟ قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام » .

الوجه الستون : أنه نهى أن يبيت الرجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحًا ، أو ذا رحم محرم ، وما ذاك إلا لأن المبيت عند الأجنبية ذريعة إلى المحرم .

الوجه الحادي والستون : أنه نهى أن تباع السلع حيث تباع حتى تنقل عن مكانها ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى جحد البائع البيع وعدم إتمامه إذا رأى المشتري قد ربح فيها ، فيغره الطمع ، وتشح نفسه بالتسليم كما هو الواقع . وأكد هذا المعنى بالنهي عن ربح ما لم يضمن ، وهذا من محاسن الشريعة وألطف باب لسد الذرائع .

الوجه الثاني والستون : أنه نهى عن بيعتين في بيعة ، وهو الشرطان في البيع في الحديث الآخر ، وهو الذي لعاقده أوكس البيعتين ، أو الربا في الحديث الثالث ، وذلك سد لذريعة الربا فإنه إذا باعه السلعة بمائة مؤجلة ، ثم اشتراها منه بمائتين حالة فقد باع بيعتين في بيعة ، فإن أخذ بالثمن الزائد أخذ بالربا ، وإن أخذ بالناقص أخذ بأوكسهما .

وهذا من أعظم الذرائع إلى الربا ، وأبعد كل البعد من حمل الحديث على البيع بمائة مؤجلة أو خمسين حالة ، وليس ها هنا ربا ولا جهالة ولا غرر ولا قمار ولا شيء من المفاسد ، فإنه خيره بين أي الثمنين شاء ، وليس هذا بأبعد من تخييره بعد البيع بين الأخذ والإمضاء ثلاثة أيام .

وأيضًا فإنه فرق بين عقدين كل منهما ذريعة ظاهرة جدًّا إلى الربا ، وهما السلف والبيع والشرطان في البيع ، وهذان العقدان بينهما من النسب والإخاء والتوسل بهما إلى أكل الربا ما يقتضي الجمع بينهما في التحريم ، فصلوات الله وسلامه على من كلامه الشفاء والعصمة والهدى والنور .

الوجه الثالث والستون : أنه أمر أن يفرق بين الأولاد في المضاجع ، وأن لا يترك الذكر ينام مع الأنثى في فراش واحد ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما المواصلة المحرمة بواسطة اتحاد الفراش ، ولا سيما مع الطول ، والرجل قد يعبث في نومه بالمرأة في نومها إلى جانبه وهو لا يشعر ، وهذا أيضًا من ألطف أنواع سد الذرائع . =

....

= الوجه الرابع والستون : أنه نهى أن يقول الرجل : خبثت نفسي ، ولكن ليقل : لقست[1] نفسي ؛ سدًّا لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش وسدًّا لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ ، فإن الألفاظ تتقاضى معانيها وتطلبها بالمشاكلة والمناسبة التي بين اللفظ والمعنى ، ولهذا قل من تجده يعتاد لفظًا إلا ومعناه غالب عليه ، فسد رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ذريعة الخبث لفظًا ومعنى ، وهذا أيضًا من ألطف الباب .

الوجه الخامس والستون : أنه نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته : عبدي وأمتي ، ولكن يقول : فتاي ، وفتاتي ، ونهى أن يقول لغلامه : وضِّىء ربك ، أطعم ربك ، سدًّا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى ، وإن كان الرب ها هنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل ، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة ، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد ، حماية لجانب التوحيد ، وسدًّا لذريعة الشرك .

الوجه السادس والستون : أنه نهى المرأة أن تسافر بغير محرم ، وما ذلك إلا أن سفرها بغير محرم قد يكون ذريعة إلى الطمع فيها والفجور بها .

الوجه السابع والستون : أنه نهى عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فيما يحدثون به ، لأن تصديقهم قد يكون ذريعة إلى التصديق بالباطل ، وتكذيبهم قد يكون ذريعة إلى التكذيب بالحق ، كما علل به في نفس الحديث .

الوجه الثامن والستون : أنه نهى أن يسمي عبده بأفلح ونافع ورباح ويسار ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى ما يكره من الطيرة بأن يقال : ليس ها هنا يسار ، ولا رباح ، ولا أفلح ، وإن كان إنما قصد اسم الغلام ، ولكن سدًّا لذريعة اللفظ المكروه الذي يستوحش منه السامع .

الوجه التاسع والستون : أنه نهى الرجال عن الدخول على النساء ؛ لأنه ذريعة ظاهرة .

الوجه السبعون : أنه نهى أن يسمى باسم برة ؛ لأنه ذريعة إلى تزكية النفس بهذا الاسم ، وإن كان إنما قصد العلمية .

الوجه الحادي والسبعون : أنه نهى عن التداوي بالخمر ، وإذ كانت مصلحة التداوي راجحة على مفسدة ملابستها ؛ سدًّا لذريعة قربانها واقتنائها ومحبة النفوس =

(١) لقست : غثت ، واللقس : الغثيان .

....

= لها ، فحسم عليها المادة حتى في تناولها على وجه التداوي ، وهذا أبلغ سد الذرائع .

الوجه الثاني والسبعون : أنه نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث ؛ لأن ذلك ذريعة إلى حزنه وكسر قلبه وظنه السوء .

الوجه الثالث والسبعون : أن الله حرم نكاح الأمة على القادر على نكاح الحرة إذا لم يخش العنت ، لأن ذلك ذريعة إلى إرقاق ولده ، حتى لو كانت الأمة من الآيسات من الحبل والولادة لم تحل له سدًّا للذريعة ، ولهذا منع الإمام أحمد الأسير والتاجر أن يتزوج في دار الحرب خشية تعريض ولده للرق ، وعلله بعلة أخرى ، وهي أنه قد لا يمكن منع العدو من مشاركته في زوجته .

الوجه الرابع والسبعون : أنه نهى أن يورد ممرض على مصح ؛ لأن ذلك قد يكون ذريعة إما إلى إعدائه، وإما إلى تأذيه بالتوهم والخوف ، وذلك سبب إلى إصابة المكروه له.

الوجه الخامس والسبعون : أنه نهى أصحابه عن دخول ديار ثمود إلا أن يكونوا باكين ؛ خشية أن يصيبهم مثل ما أصابهم ، فجعل الدخول من غير بكاء ذريعة إلى إصابة المكروه .

الوجه السادس والسبعون : أنه نهى الرجل أن ينظر إلى من فضل عليه في المال واللباس ، فإنه ذريعة إلى ازدرائه نعمة الله عليه واحتقاره بها ، وذلك سبب الهلاك .

الوجه السابع والسبعون : أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل ؛ لأن ذلك ذريعة إلى قطع نسل الخيل أو تقليلها ، ومن هذا نهيه عن أكل لحومها إن صح الحديث فيه ، إنما كان لأنه ذريعة إلى تقليلها ، كما نهاهم في بعض الغزوات عن نحر ظهورهم لما كان ذريعة إلى لحوق الضرر بهم بفقد الظهر .

الوجه الثامن والسبعون : أنه نهى من رأى رؤيا يكرهها أن يتحدث بها ، فإنه ذريعة إلى انتقالها من مرتبة الوجود اللفظي إلى مرتبة الوجود الخارجي ، كما انتقلت من الوجود الذهني إلى اللفظي ، وهكذا عامة الأمور تكون في الذهن أولًا ، ثم تنتقل إلى الذكر ، ثم تنتقل إلى الحس ، وهذا من ألطف سد الذرائع وأنفعها ، ومن تأمل عامة الشر رآه متنقلًا في درجات الظهور طبقًا بعد طبق من الذهن إلى اللفظ إلى الخارج .

الوجه التاسع والسبعون : أنه سُئِل عن الخمر تتخذ خلًّا ، فقال : « لا » . مع إذنه في خل الخمر الذي حَصَل بغير التخليل ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة إمساكها بكل =

....

= طريق ، إذ لو أذن في تخليلها لحبسها أصحابها لذلك ، وكان ذريعة إلى المحذور

الوجه الثمانون : أنه نهى أن يتعاطى السيف مسلولًا ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى الإصابة بمكروه ، ولعل الشيطان يعينه ، وينزع في يده فيقع المحذور ويقرب منه .

الوجه الحادي والثمانون : أنه أمر المار في المسجد بنبال أن يمسك على نصلها بيده ؛ لئلا يكون ذريعة إلى تأذي رجل مسلم بالنصال .

الوجه الثاني والثمانون : أنه حرم الشياع وهو المفاخرة بالجماع ؛ لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس والتشبه ، وقد لا يكون عند الرجل من يغنيه من الحلال فيتخطى إلى الحرام ، ومن هذا كان المجاهرون خارجين من عافية الله . وهم المتحدثون بما فعلوه من المعاصي ، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه ، وفي ذلك من الفساد المنتشر ما لا يعلمه إلا الله .

الوجه الثالث والثمانون : أنه نهى عن البول في الماء الدائم ، وما ذاك إلا أن تواتر البول فيه ذريعة إلى تنجيسه ، وعلى هذا فلا فرق بين القليل والكثير وبول الواحد والعدد ، وهذا أولى من تفسيره بما دون القلتين أو بما يمكن نزحه ، فإن الشارع الحكيم لا يأذن للناس أن يبولوا في المياه الدائمة إذا جاوزت القلتين أو لم يمكن نزحها ، فإن في ذلك من إفساد مياه الناس ومواردهم ما لا تأتي به شريعة ؛ فحكمة شريعته اقتضت المنع من البول فيه ، قل أو كثر سدًّا لذريعة إفساده .

الوجه الرابع والثمانون : أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، فإنه ذريعة إلى أن تناله أيديهم ، كما علل به في نفس الحديث .

الوجه الخامس والثمانون : أنه نهى عن الاحتكار ، وقال : لا يحتكر إلا خاطئ ، فإنه ذريعة إلى أن يضيق على الناس أقواتهم ، ولهذا لا يمنع من احتكار ما لا يضر الناس .

الوجه السادس والثمانون : أنه نهى عن منع فضل الماء ، لئلا يكون ذريعة إلى منع فضل الكلأ ، كما علل به في نفس الحديث ، فجعله بمنعه من الماء مانعًا من الكلإ ، لأن صاحب المواشي إذا لم يمكنه الشرب من ذلك الماء لم يتمكن من المرعى الذي حوله .

الوجه السابع والثمانون : أنه نهى عن إقامة حد الزنا على الحامل حتى تضع ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قتل ما في بطنها ، كما قال في الحديث الآخر : « لولا ما في =

= البيوت من النساء والذرية لأمرت فتياني أن يحملوا معهم حزمًا من حطب فأخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » فمنعه من تحريق بيوتهم التي عصوا الله فيها بتخلفهم عن الجماعة كون ذلك ذريعة إلى عقوبة من لم يجب عليه حضور الجماعة من النساء والأطفال .

الوجه الثامن والثمانون : أنه نهى عن إدامة النظر إلى المجذومين ، وهذا – والله أعلم – لأنه ذريعة إلى أن يصابوا بإيذائهم ، وهي من ألطف الذرائع ، وأهل الطبيعة يعترفون به ، وهو جار على قاعدة الأسباب ، وأخبرني رجل من علمائهم أنه أجلس قرابة له يكحل الناس ، فرمد ثم برىء ، فجلس يكحلهم فرمد مرارًا ، قال : فعلمت أن الطبيعة تنتقل ، وأنه من كثرة ما يفتح عينيه في أعين الرُّمد نقلت الطبيعة الرمد إلى عينيه ، وهذا لا بد معه من نوع استعداد ، وقد جبلت الطبيعة والنفس على التشبه والمحاكاة .

الوجه التاسع والثمانون : أن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه ، كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة ، بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلًا ، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه ، ثم يرفع رأسه من الركوع .

كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات ، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها ، وأولئك ركوعها .

وطائفة ثالثة قيامها ، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة فتقاسمت الفرقُ الثلاث أجزاء الصلاة .

والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدًّا لذريعة الشرك ، كما نهى عن السجود لغير الله ، كما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام وهو جالس ، مع أن قيامهم عبادة لله تعالى ، فما الظن إذا كان القيام تعظيمًا للمخلوق عبودية له ؟ فالله المستعان .

الوجه التسعون : أنه حرم التفريق في الصرف وبيِّن الربوي بمثله قبل القبض ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى التأجيل الذي هو أصل باب الربا ، فحماهم من قربانه باشتراط التقابض في الحال ، ثم أوجب عليهم فيه التماثل ، وأن لا يزيد أحد العوضين على =

= الآخر إذا كان من جنس واحد حتى لا يباع مد جيد بمدين رديئين ، وإن كانا يساويانه ، سدًّا لذريعة ربا النساء الذي هو حقيقة الربا ، وأنه إذا منعهم من الزيادة مع الحلول حيث تكون الزيادة في مقابلة جودة أو صفة أو سكة أو نحوها ، فمنعهم منها حيث لا مقابل لها إلا مجرد الأجل أولى .

فهذه هي حكمة تحريم ربا الفضل التي خفيت على كثير من الناس ، حتى قال بعض المتأخرين : لا يتبين لي حكمة تحريم ربا الفضل ، وقد ذكر الشارع هذه الحكمة بعينها ؛ فإنه حرمه سدًّا لذريعة ربا النساء ، فقال في حديث تحريم ربا الفضل : « فإني أخاف عليكم الرَّماء » هو الربا .

فتحريم الربا نوعان : نوع حرم لما فيه من المفسدة ، وهو ربا النسيئة ، ونوع حرم تحريمًا للوسائل وسدًّا للذرائع ، فظهرت حكمة الشارع الحكيم وكمال شريعته الباهرة في تحريم النوعين ، ويلزم من لم يعتبر الذرائع ولم يأمر بسدها أن يجعل تحريم ربا الفضل تعبدًا محضًا لا يعقل معناه كما صرح بذلك كثير منهم .

الوجه الحادي والتسعون : أنه أبطل أنواعًا من النكاح الذي يتراضى به الزوجان سدًّا لذريعة الزنا ؛ فمنها النكاح بلا ولي ؛ فإنه أبطله سدًّا لذريعة الزنا ؛ فإن الزاني لا يعجز أن يقول للمرأة : أنكحيني نفسك بعشرة دراهم ويشهد عليها رجلين من أصحابه أو غيرهم ، فمنعها من ذلك سدًّا لذريعة الزنا .

ومن هذا تحريم نكاح التحليل الذي لا رغبة للنفس فيه في إمساك المرأة واتخاذها زوجة بل له وطر فيما يقضيه بمنزلة الزاني في الحقيقة ، وإن اختلفت الصورة .

ومن ذلك تحريم نكاح المتعة الذي يعقد فيه المتمتع على المرأة مدة يقضي وطره منها فيها ، فحرم هذه الأنواع كلها سدًّا لذريعة السفاح ، ولم يبح إلا عقدًا مؤبدًا يقصد فيه كل من الزوجين المقام مع صاحبه ، ويكون بإذن الولي وحضور الشاهدين أو ما يقوم مقامها من الإعلان ؛ فإذا تدبرت حكمة الشريعة وتأملتها حق التأمل رأيت تحريم هذه الأنواع من باب سد الذرائع ، وهي من محاسن الشريعة وكمالها .

الوجه الثاني والتسعون : أنه منع المتصدق من شراء صدقته ولو وجدها تباع في السوق سدًّا لذريعة العود فيما خرج عنه لله ولو بعوضه ، فإن المتصدق إذا منع من تملك بعوضها فتملكه إياها بغير عوض أشد منعًا وأفطم للنفوس عن تعلقها بما خرجت =

= عنه لله ، والصواب ما حكم به النبي ﷺ من المنع من شرائها مطلقًا .
ولا ريب أن في تجويز ذلك ذريعة إلى التحيل على الفقير بأن يدفع إليه صدقة ماله ثم يشتريها منه بأقل من قيمتها ، ويرى المسكين أنه قد حصل له شيء – مع حاجته – فتسمح نفسه بالبيع ، والله عالم بالأسرار ، فمن محاسن هذه الشريعة الكاملة سد الذريعة ومنع المتصدق من شراء صدقته ، وبالله التوفيق .

الوجه الثالث والتسعون : أنه نهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها ؛ لئلا يكون ذريعة إلى أكل مال المشتري بغير حق إذا كانت معرضة للتلف ، وقد يمنعها الله ، وأكد هذا الغرض بأن حكم للمشتري بالجائحة إذا تلفت بعد الشراء الجائز ، كل هذا لئلا يظلم المشتري ويؤكل ماله بغير حق .

الوجه الرابع والتسعون : أنه نهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان ، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك ، وذلك يضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وإذا أعرض القلب عن هذا انفتح له عمل الشيطان .

وما ذاك لمجرد لفظ « لو » بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان ، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية وأنه ما شاء الله كان ولا بد ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط ، فصلوات الله وسلامه على من كلامه شفاء للصدور ، ونور للبصائر وحياة للقلوب ، وغذاء للأرواح ، وعلى آله ، فلقد أنعم به على عباده أتم نعمه ، ومن عليهم به أعظم منة ، فللَّه النعمة ، وله المنة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن .

الوجه الخامس والتسعون : أنه ﷺ نهى عن طعام المتباريين ، وهما الرجلان كل منهما مباراة الآخر ومباهاته ، إما في التبرعات كالرجلين يصنع كل منهما دعوة يفتخر بها على الآخر ويباريه بها ، وإما في المعاوضات كالبائعين يرخص كل منهما سلعته لمنع الناس من الشراء من صاحبه ، ونص الإمام أحمد على كراهية الشراء من هؤلاء .
وهذا النهي يتضمن سد الذريعة من وجهين ، أحدهما : أن تسليط النفوس =

= على الشراء منهما وأكل طعامهما تفريج لهما وتقوية لقلوبهما وإغراء لهما على فعل ما كرهه الله ورسوله ، والثاني : أن ترك الأكل من طعامهما ذريعة إلى امتناعهما وكفهما عن ذلك .

الوجه السادس والتسعون : أنه تعالى عاقب الذين حفروا الحفائر يوم الجمعة فوقع فيها السمك يوم السبت ، فأخذوه يوم الأحد ، ومسخهم الله قردة وخنازير ، وقيل : إنهم نصبوا الشباك يوم الجمعة وأخذوا الصيد يوم الأحد ، وصورة الفعل الذي فعلوه مخالف لما نهوا عنه ، ولكنهم لما جعلوا الشباك والحفائر ذريعة إلى أخذ ما يقع فيها من الصيد يوم السبت نزلوا منزلة من اصطاد فيه ، إذ صورة الفعل لا اعتبار بها ، بل بحقيقته وقصد فاعله ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يحرم مثل هذا كما صرحوا به في نظيره سواء ، وهو لو نصب قبل الإحرام شبكة فوقع فيها صيدٌ وهو محرم جاز له أخذه بعد الحل ، وهذا جارٍ على قواعد من لم يعتبر المقاصد ولم يسد الذرائع .

الوجه السابع والتسعون : قال الإمام أحمد : نهى رسول الله ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة ، ولا ريب أن هذا سد لذريعة الإعانة على المعصية ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن يُجَوِّز هذا البيع كما صرحوا به ، ومن المعلوم أن هذا البيع يتضمن الإعانة على الإثم والعدوان .

وفي معنى هذا كل بيع أو إجارة أو معاوضة تعين على معصية الله كبيع السلاح للكفار والبغاة وقطاع الطريق ، وبيع الرقيق لمن يفسق به أو يؤاجره لذلك ، أو إجارة داره أو حانوته أو خانه لمن يقيم فيها سوق المعصية ، وبيع الشمع أو إجارته لمن يعصي الله عليه ، ونحو ذلك مما هو إعانة على ما يبغضه الله ويسخطه .

ومن هذا عصر العنب لمن يتخذه خمرًا ، وقد لعنه رسول الله ﷺ هو والمعتصر معًا ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يلعن العاصر ، وأن يجوز له أن يعصر العنب لكل أحد ، ويقول : القصد غير معتبر في العقد ، والذرائع غير معتبرة ، ونحن مطالبون في الظواهر ، والله يتولى السرائر ، وقد صرحوا بهذا ، ولا ريب في التنافي بين هذا وبين سنة رسول الله ﷺ .

الوجه الثامن والتسعون : نهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة – وإن ظلموا أو جاروا – ما أقاموا الصلاة ، سدًّا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه ، والأمة =

س : إذا أسكن رجلٌ رجلًا مسكنًا على شرط فنقض الساكن الشرط هل يجوز لصاحب السكن إخراجه ، اذكر دليلًا على ذلك ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، واستدل له بعض أهل العلم بأن الله عز وجل[1] أسكن آدم الجنة وأباح له الأكل من شجرها إلا شجرة فلما خالف آدم وعصى ربَّه وأكل من الشجرة أخرجه الله عز وجل من الجنة . وثمَّ أدلة أُخر في هذا الباب[2] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الأنبياء عليهم السلام معصومون ؟

ج : لأهل العلم في ذلك تفصيلات منها ما يلي .

أولًا بالنسبة لتبليغهم الرسالة فهم عليهم الصلاة والسلام معصومون ، قال الله تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علَّمه شديد القوى ﴾ [النجم : ٣ - ٥] .

= في بقايا تلك الشرور إلى الآن ، وقال : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » ؛ سدًّا لذريعة الفتنة .

الوجه التاسع والتسعون : جمع عثمان المصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة ؛ لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن ، ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم .

ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة تفاؤلًا بأنه من أحصى هذه الوجوه ، وعلم أنها من الدين وعمل بها دخل الجنة ؛ إذ قد يكون قد اجتمع له معرفة أسماء الرب تعالى ومعرفة أحكامه ؛ ولله وراء ذلك أسماء وأحكام .

قلت : (القائل مصطفى) وقد أفاد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وأجاد وخدم المسألة بما لا تكاد تراه لغيره ، بل لم أقف لغيره على مثل هذا الذى ذكر ، لكن لنا تحفظ على بعض الأمثلة التى ذكرها ، وكذلك لنا تحفظ على بعض الأحاديث التى استدل بها من ناحية صحتها وعلى كلٍ فالقاعدة التى أراد بناءها سلمت له من عدة أدلة صحيحة ذكرها فجزاه الله خيرًا ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) ولله المثل الأعلى .

(٢) منها : « المؤمنون عند شروطهم » .

وقال الرازي رحمه الله في تفسيره : أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء .

ثانيًا : بالنسبة للكبائر ، فالذي يظهر لي أنهم بعد البعثة معصومون منها عليهم الصلاة والسلام ، فلا أعلم نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أتى كبيرة بعد بعثته ، بل ولا قبل بعثتهِ ، اللهم إلا قوله سبحانه وتعالى في شأن موسى ﷺ : ﴿ وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم وفتناك فتونًا ﴾ [طه : ٤٠] .

ويقول موسى عليه السلام يوم القيامة : « نفسي نفسي ، إني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها » .

وقد نقل القرطبي رحمه الله عن عددٍ من العلماء الاتفاق على أنه لم تصدر من الأنبياء عليهم السلام كبائر .

أما بالنسبة للصغائر : فقد تصدر منهم صغائر على سبيل الخطإ في الاجتهاد أو تعليم أممهم أو تأويل مثلًا ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

● أكل آدم عليه السلام من الشجرة بعد أن نهاه الله عز وجل عن الأكل منها .

● قول نوح ﷺ : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾[1] [هود : ٤٥] ، فقال له ربه سبحانه وتعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [هود : ٤٦] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها

---

(١) وإن كان هذا ليس بصريح في أنه ذنب .

من دابة ﴾ [النحل : ٦١] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة .. ﴾ [عبس : ١ - ١١] .

● قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح : ٢] .

● قول النبي ﷺ :« كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر .. »[1] .

● قول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيُغفرُ لهم »[2] .

● قول الله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

● قوله تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾[3] [الأنفال : ٦٧ ، ٦٨] .

● قوله تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب ﴾ [ص : ٢٤] .

● قوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام : ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣١] .

● وقد سئل موسى عليه السلام: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٢١٢) ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) وسبب نزولها قبول الفدية من أسارى بدر .

عليه إذ لم يرد العلم إليه ، وقال له : بل عبدنا خضر ، هو أعلم منك .... الحديث ، فكل هذا يؤيد أنهم عليهم السلام قد تصدر منهم صغائر لكنها تُغمر في بحر فضائلهم ، وإنما تصدر منهم – بإذن الله – بيانًا لأقوامهم وتعليمًا لأممهم[1] ، والله أعلم .

وقد أحسن القرطبي رحمه الله تعالى إذ قال : **وإن كان قد شهدت النصوص لوقوع ذنوب منهم فلم يُخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكَّاهم واختارهم واصطفاهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .**

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ فأزلهما ﴾ فمعناه – و الله أعلم – : استزلهما ، أي : أوقعهما في الزلل وهو الخطأ .

قال الطبري رحمه الله تعالى : من قولك : زلَّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزلَّهُ غيره إذا سنبب له ما يزل من أجله في دينه أو دنياه .انتهى المراد منه .

قد قرىء فأزالهما أي : نحاهما .

أما قوله : ﴿ عنها ﴾ فقيل : إن المراد به (عن الجنة) ، وقيل : عن (الشجرة) .

فعلى القول بأن عنها : (الجنة) فالمعنى : نحاهما الشيطان عن الجنة ، وعلى القول بأن عنها : (الشجرة) فالمعنى : أزلهما الشيطان بسببها (أي : بسبب أكلهما منها) ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ [الذاريات : ٩] أي :

(١) هذا وقد استفاض الرازي في تفسيره الكبير في هذا الباب استفاضة زائدة ، فمن شاء راجعها ٣/(٧ – ٨) إلى ما بعدها .

يُصرف بسببه من هو مأفوك ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف كانت وسوسة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام ؟

ج : كانت الوسوسة بالإغراء والقسم .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور ... ﴾ [الأعراف : ٢٠ - ٢٢] .

* * *

س : أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اخرج منها مذمومًا مدحورًا ﴾ [الأعراف : ١٨] ، فكيف وسوس إلى آدم ، وآدم في الجنة ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة .

منها : أنه دخل الجنة في فم الحيَّة ، وهذا القول لا مستند له من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ، وإن قال به عدد من المفسرين .

ومنها : أنه مُنع من دخولها مكرمًا ،أما على وجه الإهانة فلا يمتنع أن يدخلها مهانًا زيادة في إذلاله وإهانته ، وهذا القول يحتاج إلى دليل[1] .

---

(١) ويشابه هذا القول من بعض وجوهه قوله تعالى في شأن يونس ﷺ : ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ [القلم : ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ [الصافات : ١٤٥] ، فيونس عليه السلام نبذ بالعراء ، لكنه لم ينبذ بالعراء وهو مذموم ، بل نبذ وقد استجاب الله له لما دعا فقال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، والله تعالى أعلم .

ومنها : أنه وسوس إلى آدم وهو خارج باب الجنة .

ويحتمل أنه وسوس لهما وهو بالأرض ، والله تعالى أعلم بالصواب .

***

س : ما مدى صحة التعليل الذي يذكره البعض حيث يقولون : إن العلة من قتل الحية أن إبليس دخل الجنة في فمها ليوسوس إلى آدم ﷺ فكانت العداوة بينها وبين بني آدم لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٦] .

وأن العلة من قتل الوزغة أنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه السلام .

وأن العلة من قتل الغراب أنه خان نوحًا عليه السلام فلما بعثه نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض (ونوح في السفينة) ترك أمر نوحٍ وأقبل على جيفةٍ .

وأن العلة من قتل الفأرة أنها عمدت إلى حبال سفينة نوح فقطعتها ؟

ج : أما كون إبليس دخل الجنة في فم حية أو في جوفها ليوسوس إلى آدم عليه السلام ، فهذا قد ذكره بعض المفسرين ، لكن لا أعلم له أصلًا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ في خبر ثابت عنه .

أما الوزغة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام »[1] ، لكن هل هذا هو علة قتلها أم لا ؟ الله أعلم ، أما الغراب والفأرة فصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بقتلهما ، لكن هل قطعت الفأرة حبال سفينة نوح ؟ وهل أقبل الغراب على الجيفة وترك أمر نوح

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٣٥٩) ، ومسلم (حديث ٢٢٣٧) من حديث أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ ، وقال : « كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام » .

عليه السلام ؟ هذا مما لا أعلم فيه شيئًا ثابتًا في الكتاب ولا في السنة ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل أكل آدم من الشجرة ناسيًا ؟

ج : بعض أهل العلم يرى ذلك محتجًا بقوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] ، وهذا القول عندي ضعيف لوجوه :

أولًا : أن الله عز وجل قال : ﴿وعصى آدم ربَّه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، والناسي لا يكون عاصيًا ، وكذلك قال النبي ﷺ : « فعصى آدم فعصت ذريته ... » .

ثانيها : أن النسيان يُطلق على الترك أحيانًا ، قال تعالى في شأن الكفار : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وقال سبحانه : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .

الثالث: أن آدم وحواء عليهما السلام قالا: ﴿ربنا ظلمْنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، والناسي لا يكون ظالمًا لنفسه .

الرابع : أن الناسي لا يؤاخذ[1] ولا يعاقب ، فالنسيان شيء لا يتحكم فيه الشخص ، والذي يظهر أن آدم عليه السلام طمع في جنة الخلد فلذلك أكل من الشجرة ، كما أفادت ذلك الآيات ، منها قول إبليس : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وقاسمهما

(١) إلا أن يقال : إن النسيان شيء كانت تؤاخذ به الأمم قبل أمة محمد ﷺ ، وقد قال المؤمنون من أمة محمد ﷺ : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله : « قد فعلت » .

إني لكما لمن الناصحين ﴾ [الأعراف : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ فدلَّاهما بغرور ﴾ [الأعراف : ٢٢] والله تعالى أعلم .

* * *

س : ذكر بعض أهل العلم أن حواء هي التي أغوت آدم عليهما السلام حتى أكل من الشجرة فهل ورد دليل صحيح صريح يفيد ذلك ؟

ج : لا نعلم في هذا الباب دليلًا صحيحًا صريحًا يفيد ذلك ، والحديث الذي احتج به البعض على ذلك ليس بصريح وإن كان صحيحًا ألا وهو حديث ﴿ لولا حواء لم تخن أنثى زوجها .. ﴾ الحديث وقد قال تعالى : ﴿وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، وقد قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على ابن كثير (عمدة التفسير ١/١٣٦) :

وقد دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب بما حرفوا وكذبوا ثم اجترأوا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء وتصويرهما في صورٍ قبيحة منكرة جرأة منهم على الدين واستهزاء بأول النبيين ، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقوله أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون .

* * *

س : هل شاركت حواء في الأكل من الشجرة ؟

ج : لا شك في ذلك ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا

أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[الأعراف:٢٢،٢٣] والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : ما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ؟

ج : لأهل العلم في بيان هذه الكلمات أقوال أمثلها وأقواها – والله أعلم – هي قوله مع زوجه : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] وذلك لأن الله عز وجل ناداهما بعد أكلهما من الشجرة كما قال سبحانه : ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ [الأعراف : ٢٢] قالا : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] فقولهما : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا .. ﴾ عقب عتاب الله عز وجل لهما .

هذا وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب وما قدمناه هو المعتمد عند كثير من أهل العلم فإن من شأن المذنب أن يستغفر قال ذو النون عليه السلام : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وذلك بعد ذهابه مغاضبًا والتقام الحوت له .

وقال نوح عليه السلام : ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٧] .

هذا ولا يمتنع أن يكون آدم وحواء عليهما السلام ذكرا كلمات أخر مع الكلمات التي ذكرناها والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] ؟

ج : أصل التوبة الرجوع ، فالتوبة من آدم رجوعه عن المعصية ، وهي

من الله تعالى رجوعه عليه بالرحمة ، والتوَّاب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير :

وقال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] يعني : رزقه التوبة من خطيئته ، والتوبة معناها : الإنابة إلى الله ، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته . والله أعلم ، وقال الطبري أيضًا : وتأويل قوله : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ٣٧] أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه ، وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه ، فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويئوب إليه من غضبه عليه إلى الرضا عنه ، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه .

وأما قوله : ﴿ الرحيم ﴾ فإنه يعني : أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ، ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جُرمه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لم تذكر حواء في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

أن حواء داخلة في الخطاب ؛ لأنها من آدم عليهما السلام ، قال الله تعالى : ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [النساء : ١] .

ومنها أن ذكرها حذف اختصارًا وإيجازًا كما في قوله تعالى : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] وكما في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] وكما قال تعالى : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة

فتشقى ﴾ [طه : ١١٧] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : عرِّف الحين وبيِّن المراد بالحين في قوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : أمثل ما قيل في الحين أنه اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان طالت أم قصرت .

فيطلق على المدة كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ [الإنسان : ١] .

ويطلق على القطعة من الدهر ، قال الله تعالى : ﴿ فذرهم في غمرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] .

ويطلق على الغدوة والمساء كما قال تعالى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون ﴾ [الروم : ١٧ ، ١٨] والأظهر لي أن حين هنا بمعنى وقت . والله أعلم .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ [الزمر : ٥٨] .

ويطلق على السنة أو على فصولها ، قال تعالى : ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٥] .

أما المراد بالحين في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] فقيل : إلى الموت ، وقيل : إلى قيام الساعة ، وقد فصَّل البعض القول في ذلك فقالوا : المتاع لآدم إلى موته ، والمتاع لذرية آدم غايته إلى قيام الساعة ، والمتاع لإبليس إلى قيام الساعة كذلك لقوله : ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين

إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [ص: ٧٩ - ٨١] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ﴾ [البقرة : ٣٦] الآية ؟

ج : ابتداءً فآدم وحواء عليهما السلام داخلان في هذه الآية بالإجماع[1] أي : داخلان في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ أما على العموم فيدخل فيها آدم وحواء وإبليس وذرية هؤلاء ، وبعض أهل العلم يدخل بعهم الحيَّة[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة ما ذكره بعض المفسرين من أن المراد بقوله تعالى : ﴿اهبطوا منها جميعًا فإما يأتينكم مني هدى﴾ [البقرة:٣٨] خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعُبر بالجمع في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ لاستتباعهما الذُّرية ؟

ج : هذا القول خطأ[3] فإنه وإن حدثت عداوة بين بعض بني آدم أو بين آدم وحواء فإن هذه العداوة من نزغات الشيطان كما قال يوسف ﷺ : ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [يوسف : ١٠٠] وكما قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

وقد قال تعالى في شأن الزوجين : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم : ٢١] .

---

(١) نقل هذا الإجماع الطبري رحمه الله تعالى (في تفسيره ١/٥٣٥) .

(٢) بناءً على ما قرره قائل هذا القول من أن إبليس دخل إلى الجنة في فم الحية .

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص١٣٤) : قول الله تعالى ذكره : =

= ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعًا ﴾ [البقرة : ٣٨] .

قد ظن الزمخشري أن قوله : ﴿ اهبطوا منها جميعًا ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [طه : ١٢٣] قال : ويدل على ذلك قوله : ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهمِ ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة:٣٨ ، ٣٩] وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ، ومعنى قوله : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضًا .

وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية . فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو . وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها له ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة . فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعدواة بين الشيطان والإنسان . وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس ، وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور ، مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه ؟ مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئًا .

وأما قوله تعالى في سورة طه ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [طه : ١٢٣] فهذا خطاب لآدم وحواء . وقد جعل بعضهم لبعض عدوًّا ، فالضمير في قوله : ﴿ اهبطا منها ﴾ إما أن يرجع إلى آدم وزوجته ، وإما أن يرجع إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له .

وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط ، وهما آدم وإبليس ، فالأمر ظاهر .

وأما على الأول – وهو رجوعه إلى آدم وزوجه – فتكون الآية قد اشتملت على أمرين : =

= أحدهما : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثاني : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه ، وبين إبليس . ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني ، دون الأول . ولابد أن يكون إبليس داخلًا في حكم هذه العداوة قطعًا . كما قال تعالى : ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ [طه: ١١٧] وقال لذريته : ﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع ، دون التثنية .

وأما الإهباط : فتارة يذكر بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية . وتارة بلفظ الإفراد ، كقوله في سورة الأعراف : ﴿ قال اهبطوا ﴾ [الأعراف : ٢٤] وكذلك في سورة ص ، وهذا لإبليس وحده . وحيث ورد بصيغة الجمع ، فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم . وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية . وإما أن يكون لآدم وإبليس ، إذ هما أبوا الثقلين ، وأصلا الذرية . فذكر حالهما ومآل أمرهما ، ليكون عظة وعبرة لأولادهما . وقد حكيت القولين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله : ﴿ اهبطا منها جميعًا ﴾ [طه : ١٢٣] لآدم وإبليس : أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم ، دون زوجه . فقال ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال : اهبطا منها جميعًا ﴾ [طه ١٢١ — ١٢٣] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم وإبليس الذي زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعًا . فإن المقصود إخبار الله تعالى الثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنسان فقط . وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة . فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم . وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريدها إلى ذكر أبي الإنس وأمهم ، فتأمله .

وبالجملة فقوله : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٦] ظاهر في الجمع ، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله : ﴿ اهبطا ﴾ من غير موجب .

قول الله تعالى ذكره: ﴿وقالوا قلوبنا غلـ[illegible] بل لعنهم الله بكفرهم﴾ [البقرة : ٨٨]. =

أما العداوة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة:٣٦] فهي بالدرجة الأولى بين آدم وذريته من ناحية وبين إبليس وذريته من ناحية أخرى ، وكذلك بين بني آدم والحيات[١] ، قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يسٓ : ٦٠] ، ولا يمنع أن يكون هناك عداوات بين البشر أنفسهم والمتسبب فيها إبليس ، والأمور كلها بقدر الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : الأدلة على ذلك في غاية الكثرة نورد منها ما يلي :

١ – أُخرج آدم ﷺ وزوجه حواء عليها السلام من الجنة بمعصيتهما لله

= قد اختلف في معنى قولهم : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ [البقرة : ٨٨] .

فقالت طائفة : المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم . فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به ؟ أو لا تحتاج إليك ؟ وعلى هذا فيكون ﴿ غلف ﴾ جمع غلاف والصحيح : قول أكثر المفسرين : إن المعنى قلوبنا لا تفقهه ، ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف ، كأحمر وحمر . قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، كما يقال : سيف أغلف ، وقوس أغلف ، ورجل أغلف ، غير مختون .

(١) وقال النبي ﷺ في شأن الحيات : « ما سالمناهن منذ حاربناهن » ، وكان النبي ﷺ يأمر بقتل الحيات .

● وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان » .

عز وجل وأكلهما من الشجرة وتعريا بعد سترٍ كانا فيه .

قال تعالى: ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

● وقد قال موسى لآدم عليهما السلام : « أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا بخطيئتك من الجنة » .

● وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللَّه كثيرًا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف: ٩٦].

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللَّه فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ [النحل : ١١٢ ، ١١٣] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نهوا

عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٥، ١٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا اللَّه ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [التوبة : ٧٦ ، ٧٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم: ١٧-٢٠].

● وقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا ... ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] .

* * *

س : لماذا تكرر ذكر الإهباط في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا ... ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : للعلماء فيه أقوال :

١ - تكرر ذكر الإهباط لأن معنى ما بعده يتعلق به في السياقين .

٢ - وقيل : تكرير وتأكيد .

٣ - وقيل : إن الإهباط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني

من السماء الدنيا إلى الأرض وهذا القول لا أعلم دليلًا عليه ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم ﴾ [البقرة : ٣٨] ؟

ج : معناها – والله أعلم – : إن يأتكم .

قال الطبري رحمه الله : وتأويل قوله : ﴿ فإما يأتينكم ﴾ فإن يأتكم و (ما) التي مع (إن) توكيدٌ للكلام ولدخولها مع (إن) أُدخلت النون المشددة في ﴿ يأتينكم ﴾ تفرقةً بدخولها بين (ما) التي تأتي بمعنى توكيد الكلام – التي تسميها أهل العربية صلة وحشوًا – وبين (ما) التي تأتي بمعنى الذي فتؤذن بدخلوها في الفعل أنَّ (ما) التي مع (إن) التي بمعنى الجزاء توكيد ، وليست (ما) التي بمعنى (الذي) .

***

س : ما هو تأويل قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدًى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : فإما يأتينكم يا معشر من أُهبط إلى الأرض من سمائي وهو آدم وزوجته وإبليس – كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها – إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد إلى سبيلي وديني فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن قد سلف منهم قبل ذلك إلي معصية وخلافٌ لأمري وطاعتي ، يعرِّفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيم لمن أناب إليه كما وصف نفسه بقوله : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ٣٧] .... ثم قال رحمه الله : وقوله : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ [البقرة : ٣٨] يعني : فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله ولا هم يحزنون يومئذٍ

على ما خلَّفوا بعد وفاتهم في الدنيا .

❋ ❋ ❋

س : هل ينال المسلم خوف أو حزن يوم القيامة ؟

ج : من أهل العلم من ينفي ذلك مطلقًا ، ومنهم من يُثبته ويؤول الآية : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] بأن مآلهم يكون إلى السلامة وإلى الأمن ، وها هي أدلة كل فريق :

أولًا : بعض أدلة القائلين بنفي الخوف والحزن عن المؤمن يوم القيامة :

● قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الأحقاف : ١٣] .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفورٍ رحيم ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

● قوله تعالى : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

ثانيًا : بعض أدلة القائلين بأن المؤمنين ينالهم شيء من الفزع يوم القيامة :

● منها حديث الشفاعة ، وفيه : (أن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون) .

● ومنه قول النبي ﷺ : « يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك ربنا وسعديك فينادَى إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[1] الحديث .

● ومنه قول النبي ﷺ : « إنكم محشورون إلى اللَّه عز وجل حفاة عراة غرلًا كما بدأنا أول خلق نعيده ... » الحديث ، وفيه أن عائشة قالت : يا رسول اللَّه الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك »[2].

● **قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى :** قوله تعالى : ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه اللَّه تعالى ورسوله من شدائد يوم القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين ، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا ، واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٣٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه اللَّه تعالى : يعني : والذين جحدوا آياتي وكذَّبوا رسلي ، وآيات اللَّه حُججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها ، وقد بينا أن معنى الكفر التغطية على الشيء .

﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ [البقرة : ٣٩] يعني أهلها الذين هم أهلها

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٧) ، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

دون غيرهم المخلدون فيها أبدًا إلى غير أمدٍ ولا نهاية .... ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوامًا أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أُذن لهم في الشفاعة »[1].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) وقد تقدم .

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : ارهبون – اتقون – لا تلبسوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
ارهبون	اخشونِ
اتقون	اجعلوا بينكم وبين غضبي وعقابي وقاية بطاعتكم لي وبُعدكم عن معصيتي
لا تلبسوا	لا تخلطوا

* * *

س : من هو إسرائيل ؟ وهل لإسرائيل معنى ؟

ج : إسرائيل هو يعقوب ﷺ ، وقد نقل الشوكاني الاتفاق على ذلك[1] ، وسيأتي لذلك مزيد في آل عمران إن شاء الله .

أما إسرائيل فذهب بعض العلماء إلى أنه اسم كسائر الأسماء ، ومنهم من قال : هو مركب من إسر بمعنى (عبد) وإيل بمعنى (الله) فعليه فإسرائيل هو عبد الله كما أن جبرائيل عبد الله ، وميكائيل كذلك ، وإسرافيل كذلك ... ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ [البقرة : ٤٠] فائدة في كيفية الدعوة إلى الله عز وجل وضحها ؟

ج : هذه الفائدة فحواها أننا نستجيش الناس بما نعلم فيهم من صلاح وخير وإحسان ، فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ أي : يا أولاد يعقوب ، ومن المعلوم أن يعقوب نبي كريم فكأنه قيل لهم : يا أولاد النبي الكريم يعقوب كونوا صالحين كرماء أتقياء كأبيكم ، ونحوه قول الله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء : ٣] أي : يا ذرية الصالحين المحمولين مع نوح ، (فما حُمل مع نوح إلا مؤمن) كونوا صالحين كآبائكم ، ونحوه قول قوم مريم لمريم : ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًّا ﴾ [مريم : ٢٨] .

فوجه الاستفادة في الدعوة إلى الله أننا نخاطب الناس فنقول : يا ابن الشجاع بارز الأبطال ، يا ابن الحسن تصدق ، يا ابن العالم تعلَّم ، ونحو ذلك من وجوه الاستجاشة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر فتح القدير .

س : خاطب الله عز وجل بني إسرائيل بجملة آيات يستفاد منها في الدعوة إلى الله ، اذكر بعض هذه الفوائد ؟

ج : استعملت مع بني إسرائيل وسائل في دعوتهم منها التذكير بالنعمة عليهم وعلى آبائهم ومنها التخويف ، ومنها التوبيخ على سوء الأفعال ، وقد أوجز ذلك ابن جزي الكلبي في تفسيره فقال : (يا بني إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب ﴿ سيقول السفهاء ﴾ [البقرة : ١٤٢] فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهي : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ [البقرة : ٤٩] ، و ﴿ إذ فرقنا بكم البحر ﴾ [البقرة : ٥٠] ، و ﴿ بعثناكم من بعد موتكم ﴾ [البقرة : ٥٦] ، ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن السلوى ﴾ [البقرة : ٥٧] ، و ﴿ عفونا عنكم ﴾ [البقرة : ٥٢] ، و ﴿ تاب عليكم ﴾ [البقرة: ٥٤] ، و ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ [البقرة: ٥٨]، و ﴿ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] ، و ﴿ انفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ﴾ [البقرة : ٦٠] ، وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم : ﴿سمعنا وعصينا﴾ [البقرة : ٩٣] ، و ﴿ اتخذتم العجل ﴾ [البقرة : ٩٢]، و ﴿ قالوا أرنا الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] ، و ﴿ بدل الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ٥٩] ، و ﴿لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ، و ﴿ يحرفونه ﴾ [البقرة : ٧٥] ، و ﴿ توليتم من بعد ذلك ﴾ [البقرة : ٦٤] ، و ﴿ قست قلوبكم ﴾ [البقرة : ٧٤] ، و ﴿ كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ [النساء : ١٥٥] ، وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة : ٦١] ، و ﴿ يعطوا الجزية ﴾ [التوبة : ٢٩] ، و ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤] ، و ﴿ كونوا قردة﴾ [البقرة : ٦٥] ، و ﴿أنزلنا عليهم رجزًا من السماء﴾ [الأعراف : ١٦٢] ،

و ﴿ أخذتكم الصاعقة ﴾ [البقرة : ٥٥] ، و ﴿ جعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] ، ﴿ وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهي : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به و ﴿ يحرفون الكلم ﴾ [المائدة : ١٣] و ﴿ يقولون : هذا من عند الله ﴾ [البقرة : ٧٩] ، و ﴿ تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر ، وقولهم : ﴿نحن أبناء الله﴾ [المائدة : ١٨]، وقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

***

س : قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ [البقرة : ٤٠] هل الذكر بالقلب أو باللسان في هذا المقام ؟

ج : الذكر هنا – والله تعالى أعلم – هو الذكر الذي هو ضد النسيان بمعنى اذكروا ما أنعمت به عليكم واشكروه ولا تنسوا شكره والعمل بمقتضى ذلك الشكر . ولا يبعد أيضًا أن يدخل فيه الذكر باللسان لقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾[1] [الضحى : ١١] .

***

س : اذكر بعض النعم التي أنعمها الله عز وجل على بني إسرائيل ؟

ج : من هذه النعم ما يلي :

- فضلهم الله عز وجل على عالمي زمانهم كما قال سبحانه : ﴿ وأني

---

(١) وهذا عند من لا يخشى من ورائه الحسد ، أما من يخشى منه الحسد فلا يُتحدث عنده بالنعمة ، قال يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام : ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا﴾ [يوسف: ٥] وقال النبي ﷺ : «إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث بها من يحب».

فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] وكما قال سبحانه ﴿ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] .

● نجاهم الله عز وجل من آل فرعون إذ كانوا يسومونهم سوء العذاب كما قال سبحانه : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يُذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

● أغرق الله عز وجل عدوهم فرعون وهم ينظرون كما قال سبحانه : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة : ٥٠] .

● عفا عنهم بعد اتخاذهم العجل إلهًا لما تابوا كما قال تعالى : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٢] .

● آتاهم الله الكتاب والفرقان كما قال سبحانه : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] .

● بعثهم الله بعد موتهم لعلهم يشكرون .

● ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .

● فجَّر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينًا .

● كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلَّفه آخر[1] كما قال النبي ﷺ .

● جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

---

(١) أخرج البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلَّفه نبي وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث .

• وقوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ [القصص : ٥ ، ٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] ؟

ج : قيل : إن العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ [البقرة : ٤٠] هو عام في كل العهود التي أخذها الله تبارك وتعالى عليهم على لسان أنبيائهم ، فمن هذه العهود ما أخذه الله عليهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ إذا بُعث ، كما قال تعالى :

• ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١].

• ومنها ما ذكره الله في كتابه : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

• وما ذكره سبحانه في كتابه : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [المائدة : ١٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه

مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الأعرف : ١٥٦ ، ١٥٧] ، فعلى ذلك فعهد الله هو عام في كل ما أخذه عليهم وعهدهم هو ما ذكره الله سبحانه حيث قال : ﴿ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [المائدة : ١٢] فهو تكفير السيئات وإدخال الجنات ، والله أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ﴾ [البقرة : ٤١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – :أن القرآن مصدق للتوراة التي بأيديهم فآمنوا بهذا القرآن الذي قد علمتم أنه مصدق لما معكم ، ووجه تصديقه لما معهم في الآتي :

١ – أنهم أُخبروا به في كتبهم ثم ظهر كما أُخبروا به ، فصدَّق هذا القرآن ما كان موجودًا في كتبهم .

٢ – أن النبي ﷺ أخبر (بما في كتاب الله) أنهم أنبياء وأُنزلت عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي : شاهد بصدقهم .

٣ – أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرع ، فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك ، والله تعالى أعلم .

***

س : كيف يقال لليهود : ﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ [البقرة : ٤١] وقد كفر قبلهم مشركو مكة ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا تكونوا أول فريق كافرٍ به من أهل الكتاب .

***

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا أول كافرٍ به ﴾ [البقرة : ٤١] ؟

ج : يرجع إلى القرآن الكريم .

***

س : هل يقتضي قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا أول كافرٍ به﴾ [البقرة : ٤١] إباحة الكفر في ثاني الحال ؟

ج : لا يقتضي هذا بحال من الأحوال ، وذلك لأن النهي عن الكفر مطلقًا جاء صريحًا في عدة آيات ، وهذا يسميه العلماء مفهوم معطل ، وجاء التقييد بأول كافرٍ به لكون أول كافر يسن الكفر لمن بعده فيكون إثمه أعظم والعقوبة عليه أغلظ ، والله أعلم .

***

س : ما هي الآيات المرادة بقوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٤١] ، وما هو الثمن القليل ؟

ج : قيل : إن الآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ ، والثمن القليل هو ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ونحو ذلك فكتموا الآيات التي فيها صفة محمد ﷺ مقابل الحرص على جاههم ورئاستهم .

● وقيل أعم من ذلك بمعنى : أن كل ما فيه مال أو جاه يقدمونه وإن كان خلاف الآيات فيخفون الآيات ، كما قال تعالى : ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها

وتخفون كثيرًا ﴾ [الأنعام : ٩١] مقابل المتاع الفاني .

● وقيل : إنهم كانوا يأخذون الأجر على تعليم الدين .

● وقيل : كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه لشرف الشريف ونحو ذلك ، كما جاء عن رسول الله ﷺ :« إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وكل هذا وارد ومحتمل ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن ؟

ج : ذهب الجمهور إلى جواز ذلك لحديث : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله »[1] ، فقالوا : إن الحديث وإن كان قد ورد في أخذ الأجر على الرقية لكن لفظه عام .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماءٍ[1] فيهم لديغ[2] أو سليم فعرض لهم[3] رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راقٍ ، إن في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[4] فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك ، وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » .

وقد ورد الحديث مطولًا عند البخاري في عدة مواضع منها (٢٢٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضًا .

---

(١) أي : على أهل ماء .

(٢) سليم : بمعنى لديغ ، والعرب تطلق على اللديغ (سليم) تفاؤلًا بالشفاء ، كما يقولون في : (الأعمى) البصير صنع كذا وكذا .

(٣) في بعض الروايات أن أصحاب النبي ﷺ سألوهم أن يقروهم (أي : يضيفوهم) فأبوا .

(٤) أي : مقابل عددٍ من الشياه .

● واحتجوا أيضًا بحديث : « زوجتكها بما معك من القرآن »[1] ، فجعل تعليمها القرآن عوضًا عن الصداق في حال انعدامه ، وثمَّ أدلة أخر .

بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن لقوله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا﴾ [الفرقان : ٥٧]، وقوله تعالى : ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد .... ﴾ [سبأ : ٤٧] ، ونحو ذلك من الآيات .

وكذلك بعض الأحاديث مثل حديث : « اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به .... »[2] ، وحديث : « اقرءوا فكلٌّ حسن ، فسوف يأتي قوم يتعجلونه ولا يتأجلونه .... » إلى غير ذلك ، والذي تطمئن إليه النفس أن التعليم إذا لم يكن فرض عين على المعلم جاز له أن يأخذ أجرًا عليه وخاصة إذا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/٩) ، ومسلم (مع النووي ٢١١/٩) من حديث سهل بن سعد مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه أحمد (٤٤٤/٣) ، (٤٢٨/٣) ، وأبو يعلى (٣/١٥/٨) ، والطحاوي (١٨/٣) ، وابن أبي شيبة (٤٠٠/٢) ، والطبراني في الأوسط (١٩٩٧/٣) من حديث عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه مرفوعًا .

والحديث عندهم مداره على يحيى بن أبي كثير ، فرواه مرة عن أبي راشد الحبراني عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا ، ومرة عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا كذلك ، ومرة عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن شبل بدون ذكر أبي راشد ، وهو اختلاف غير مؤثر ، فالذين رووه عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل ثقات أثبات ، فالحديث صحيح ، والله أعلم .

وقد ورد للحديث طريق آخر معلول شاذ وهو من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، رواه عنه أبو سلمة وعن أبي سلمة يحيى بن أبي كثير فرجع الحديث إلى يحيى بن أبي كثير .

ورواية أبي هريرة حكم عليها عدد من أهل العلم بالوهم منهم الدارقطني رحمه الله ، والله أعلم .

كان من أهل الاحتياج وكان متفرغًا لذلك ، أما إذا كان فرض عين عليه فطلب منه رجل مثلًا أن يعلمه الفاتحة يصلي بها وامتنع عن أن يعلمه إلا بأجر فإنه – والحال هذه يأثم – والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ لا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ [البقرة : ٤٢] ، وما هي صور ذلك ؟

ج : أما (اللبس) فهو الخلط ، (الحق بالباطل) هو الصدق بالكذب ، ومن صور ذلك :

- أنهم يخلطون التوراة المنزلة على موسى بالأكاذيب والتحريفات التي يسطرونها بأيديهم ، ويقولون : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله .
- أنهم يخلطون النصرانية واليهودية بالإسلام .
- أنهم يؤمنون ببعض ما في أيديهم ويكفرون ببعض ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٤٢] ، تعلمون ماذا ؟

ج : تعلمون أنكم لابسون الحق بالباطل وكاتمون للحق ، فأنتم تلبسون الحق بالباطل عن علم وليس عن جهل ، وهذا أشد قبحًا وأعظم جُرمًا ولا شك .

ويحتمل أيضًا : وأنتم تعلمون عقوبة من لبس الحق بالباطل والوعيد الشديد الوارد في حقه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر الأحاديث الواردة في فضل صلاة الجماعة والحث عليها

والترهيب من تركها ؟

ج : روى **البخاري ومسلم في صحيحيهما** من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة »[1] ،، **كما روى البخاري ومسلم** واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاةُ الرجل في جماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خَمْسًا وعشرين ضِعْفًا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوُضُوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخْرِجه إلا الصلاة لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفعَتْ له بها دَرَجة وَحُطَّتْ عنه بها خطيئةٌ ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مُصلاه ما لم يُحْدِثْ تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة »[2]، كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بِحَطبٍ فَيُحْتَطَبَ ثم آمُرَ بالصلاة فَيُؤَذَّنَ لها ثم آمُرَ رجلًا فَيَؤُمَّ الناس ثم أخالف إلى رجال فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهم »[3]، كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادَى بهنَّ ، فإن الله شرع لنبيكم سُنَنَ الهُدى وإنهن من سُنَن الهُدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رَأَيْتُنَا وما يتخلف عنها إلا منافق معلومُ النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٥) ، ومسلم (حديث ٦٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٧) ، ومسلم (حديث ٦٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٤) ، ومسلم (حديث ٦٥١) .

(٤) أخرجه مسلم (ص٤٥٣ عقب حديث ٦٥٤) ، وفي رواية لمسلم (٦٥٤) : قال عبد الله : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض ، إن كان =

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » قال : نعم قال : « فأجب » .

● وأخرج مسلم[2] من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كلّه » .

✵ ✵ ✵

س : لماذا خصَّ الركوع في قوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ [البقرة : ٤٣] ؟

ج : خصَّ الركوع – كما ذكر بعض أهل العلم – لأنه كان أثقل عليهم من كل فعل ، وقيل : إنه الانحناء لغة ، وذلك يعم الركوع والسجود ، وقد كان الركوع أثقل شيء على القوم في الجاهلية حتى قال بعض من أسلم للنبي ﷺ : على ألا أخرَّ إلا قائمًا ، فمن تأوله على ألا أركع فلما تمكن الإسلام من قلبه اطمأنت نفسه بذلك .

● وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي : صلُّوا مع المصلين (ففيه على هذا القول : الحث على الجماعة) .

● وقيل : إن صلاة اليهود لا ركوع فيها فأُمروا بالصلاة التي فيها ركوع ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

= المريض يمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة ، وقال : إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهُدى ، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه .

(١) حديث (٦٣٥) .
(٢) حديث (٦٥٦) .

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات والجُمل :

تنسون أنفسكم – تتلون – واستعينوا – وإنها لكبيرة – الخاشعين – يظنون

ج :

الكلمة	معناها
تنسون أنفسكم	تتركونها ولا تأمرونها بالبر .
تتلون	تقرءون وتدرسون ، وأصل التلاوة الاتباع، تلوته إذا تبعته .
واستعينوا	اطلبوا العون .
وإنها لكبيرة	مشقة ثقيلة – ومنه قوله تعالى : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [الشورى : ١٣] وقوله عليه الصلاة والسلام : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء » .
الخاشعين	المتواضعين الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده ، والخاشع هو الذي يُرى عليه أثر الذُّل والانكسار– خشعت الأصوات أي: سكنت
يظنون	يتيقنون ، فالظن هنا بمعنى اليقين ، ومنه ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] .

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟ وما هو الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة ؟

ج : المخاطبون بهذه الآية الكريمة هم اليهود بالدرجة الأولى ، والكتاب المشار إليه هو التوراة ، ويلتحق بهم كل من أمر بالبر ونسي نفسه من نصارى وأهل نفاق ، ومن قال ما لم يعمل وهو قادر على العمل وإن كان من المسلمين .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المراد من الاستفهام التقريع والتوبيخ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالبر في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر .. ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : ابتداء كل طاعة لله عز وجل تسمى برًّا[1]، لكن المراد بالبر في هذه الآية الكريمة ، لأهل العلم فيه أقوال منها ما يلي :

١ – أن المراد بالبر هنا التمسك بالتوراة ، فكان بنو إسرائيل يأمرون الناس بالتمسك بها ولا يتمسكون بها هم أنفسهم .

٢ – أن المراد البر اتباع محمد ﷺ ، فكان الرجل من اليهود يوصي أقاربه سرًّا باتباع محمد ﷺ ويقول له : إنه هو الرسول الحق – ولا يتمسك هو

(١) ونقل الطبري رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك (٧/٢ بتحقيق أحمد شاكر) .

بذلك[1] .

٣ — أن المراد بالبر هنا الصدقة ، فقد كان علماء اليهود يأمرون بها ولا يتصدقون .

٤ — أن المراد بالبر الحث على اتباع النبي ﷺ ، فقد كان جماعة من اليهود يخبرون الناس بخروج النبي ﷺ ويحثونهم على اتباعه قبل أن يبعث فلما بُعث رسول الله ﷺ كفروا به وجحدوا نبوته وأعرضوا عن دينه[2].

٥ — أن المراد بالبر عموم الطاعات ، فكان الأحبار يحضون أتباعهم على طاعة الله عز وجل وتقواه ويواقعون هم المعاصي ويقترفونها : فالمعنى أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه .

وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب ، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب —

(١) وقد أخرج البخاري (حديث ١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار » .

(٢) أخرج ابن إسحاق في السيرة من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت الآيات من البقرة : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ [البقرة : ٨٩] (انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢١١) .

والله تعالى أعلم – هو آخرها لأن كل الأقوال التي قبله داخلة فيه هذا ، وقد يأتي البر بمعنى متسعٍ كما في قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذي صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [1] [المائدة : ٢] ، وقد يأتي البر بمعنى أضيق بعض الشيء كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾.[البقرة : ١٧٧] ، وكما قال النبي ﷺ : « ... فإن الصدق يهدي إلى البر... »[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق ... »[3].

● هذا والآية الكريمة : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ... ﴾ وإن كان سياقها في اليهود إلا أن معناها عام فيدخل فيها كل من أمر بالبر وترك نفسه ، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالنسيان في قوله تعالى : ﴿ ... وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿... وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة : ٤٤] الترك

---

(١) وسيأتي مزيد لهذا البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (ص٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

فالمعنى : أتأمرون الناس بالبر وتتركون أنفسكم لا تأمرونها ولا تعملون به ، وذلك لأن النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر لا يؤاخذ صاحبه، وذلك لأن المؤمنين قالوا : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال الله : (قد فعلت) ، وفي رواية : (نعم)[١] .

هذا ، والنسيان بمعنى الترك يأتي كثيرًا في كتاب الله عز وجل .

- قال الله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾[٢] [التوبة : ٦٧] .
- وقال تعالى : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ [البقرة : ٢٢٧] .
- وقال تعالى : ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف : ٥١] .
- وقال تعالى : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .
- وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ... ﴾ الآية [الأنعام : ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أفلا تمنعون أنفسكم من الوقوع في هذه الحالة المخزية وهي أمر الناس بالبر ونسيان النفس . فالعقل : المنع ، ومنه عقال البعير ؛

---

(١) وسيأتي تخريج هذا في أواخر سورة البقرة بتمامه إن شاء الله تعالى ، وهو في صحيح مسلم (١٤٥/٢) .

(٢) وقد قال موسى عليه السلام : ﴿ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [طه : ٥٢] ، فتبين بذلك أن المراد بالنسيان ليس النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر ، والله أعلم .

لأنه يمنعه من الحركة ، وقولهم : فلان معتقل أي : محبوس ممنوع من التصرف.

وأيضًا معنى قوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] : أفلا تفهمون وتفقهون ؟! .

❋ ❋ ❋

س : هل يترك الإنسان الأمر بالبر حتى يفعله ، أو أن للإنسان أن يأمر بالبر وإن لم يفعله ؟

ج : لا يترك الإنسان الأمر بالبر ، بل عليه أن يأمر بالبر وإن لم يفعله ، فالآية الكريمة ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ [البقرة : ٤٤] حوت ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى : أمر الناس بالبر في قوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ .

الفقرة الثانية : نسيان النفس في قوله تعالى : ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ .

الفقرة الثالثة : تلاوة الكتاب في قوله تعالى : ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ .

ولا شك أن الذم في الآية الكريمة وكذلك التوبيخ والتقريع منصبٌّ على الفقرة الثانية بالدرجة الأولى ، فأمر الناس بالبر مستحب وقد يصل إلى الوجوب في بعض الأحيان ، وكذلك تلاوة الكتاب .

فمن نسي نفسه وأمر الناس بالبر وتلا الكتاب خير[1] ممن نسي نفسه وترك تلاوة الكتاب ،وترك أمر الناس بالبر ، وكذلك فهو خير ممن نسي نفسه وأمر بالمنكر وترك تلاوة الكتاب وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء رحمهم الله تعالى[2].

---

(١) وإن لحقه الإثم .

(٢) **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى** : والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف معروف =

وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨] ، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف ، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعصية لا ينهى غيره عنها ، وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ، فإنه لا حجة لهم فيها ، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، قال مالك عن ربيعة : **سمعت سعيد بن جبير** يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر .

قال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء ؟

قلت : (القائل هو الحافظ ابن كثير رحمه الله) : لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وقال السعدي رحمه الله تعالى : (في تفسيره تيسير الكريم المنان) : فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله ، أو نهاه عن الشر فلم يتركه دلَّ على عدم عقله وجهله خصوصًا إذا كان عالمًا بذلك قد قامت عليه الحجة ، وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل فهي عامة لكل أحدٍ لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين ، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر ، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين والنقص الكامل أن يتركهما ، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر فليس في رتبة الأول ، وهو دون الأخير ، وأيضًا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله ، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة .

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث وأيضًا بعض الأشعار في ذم من يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، وينهى عن المنكر ويأتيه ؟

ج : أما الآيات الكريمات فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ؟!! [البقرة : ٤٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

● وقول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ [هود : ٨٨] .

● وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

● أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها : ما أخرجه البخاري[(١)] من طريق أبي وائل قال : قيل لأسامة : لو أتيت فلانًا[(٢)] فكلمته ، قال : إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟!! إني أكلمه في السِّر دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه ، ولا أقول لرجلٍ أن كان عليَّ أميرًا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول :« يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) .
(٢) هذا الفلان هو عثمان رضي الله عنه ، كما هو واضح في سائر الروايات .

● أما من الأشعار فنورد هنا ما ذكره القرطبي رحمه الله ، نقلًا عن غيره .

قال رحمه الله : وقال منصور الفقيه فأحسن :

إن قومًا يأمروننا بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو العتاهية :

وصفت التُّقى حتى كأنك ذو تقى وريحُ الخطايا من ثيابك تستطعُ

وقال أبو الأسود الدُّؤلي :

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتِيَ مثلَه عار عليك إذا فعلتَ عظيمُ
وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها فإن انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقَبل إن وَعظتَ ويُقتدى بالقول منك وينفع التعليمُ

وقال أبو عمرو بن مطر : حضرت مجلس أبي عثمان الحِيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته ؛ فناداه رجل كان يُعرف بأبي العباس : ترى أن تقول في سكوتك شيئًا ؟ فأنشأ يقول :

وغير تَقِيٍّ يأمر الناس بالتُّقَى طبيبٌ يداوي وَالطبيبُ مريضُ

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج .

الرابعة – قال إبراهيم النَّخَعِي : إني لأكره القَصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ الناس بالبر ﴾ الآية [البقرة : ٤٤] ، وقوله : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] ، وقوله : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [هود : ٨٨] . وقال سلم بن عمرو :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقًا أضحى وأمسى بيته المسجد

إن رفض الدنيا فما بالـهُ يَستمنــح النــاس ويسترفــد
والرزق مقسوم على من ترى ينالـــه الأبـــيض والأسود

❋ ❋ ❋

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بـالصبر والصلاة ... ﴾ الآية [البقرة : ٤٥] ؟

ج : المخاطبون بذلك هم بنو إسرائيل ، والمؤمنون لهم تبع في هذا الخطاب أما قولنا : إن المخاطبين هم بنو إسرائيل فذلك لأن سياق الكلام فيهم ابتداءً من قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] .

أما قولنا : إن المؤمنين لهم تبعٌ ، في هذا الخطاب فذلك لأن العبرة بالعموم والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يُطلب من بني إسرائيل الاستعانة بالصبر والصلاة ؟

ج : يطلب منهم الاستعانة على طاعة الله عز وجل بصفة عامة وعلى ما يُذهب عنهم شهوة الرئاسة فقد كانوا ذوي جاهٍ ورئاسةٍ فقيل : لهم استعينوا بالصبر والصلاة لتذهب عنكم شهوة الرئاسة والجاه .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يطلب المؤمنون العون من الله تبارك وتعالى ؟

ج : إجمالي القول في ذلك أن يقال : إن الاستعانة مطلوبة لفعل ما

يرضي الله سبحانه وتعالى وتجنب ما يسخطه عز وجل ، وببعض التفصيل :

● **فهي مطلوبة لتحمل المصائب والصبر على أقدار الله عز وجل .**

● وكذلك فعل الخليل إبراهيم عليه السلام لما دخلت سارة على الجبار قام إبراهيم عليه السلام يصلي[1].

● فكذلك ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[2] [البقرة : ٤٥] .

وكذلك خُبيب قام يصلي بين يدي القتل[3] .

● **والاستعانة مطلوبة لدفع البلاء كذلك** فعند كسوف الشمس تشرع الصلاة حتى تنجلي ، ومن المعلوم أن كسوف الشمس أو القمر آيتان

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .... الحديث وفيه أن إبراهيم عليه السلام قام إلى الصلاة لما أدخلت سارة على الجبار ، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٠٨٤) مرفوعًا ومطولًا موقوفًا (٢٣٥٨) وسيأتي بطوله في آل عمران عند سؤال تسليط قوم على قوم .

(٢) أخرجه الطبري (رقم ٨٥٢) بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه .. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت .

يخوف الله عز وجل بهما عباده ، وقد قال النبي ﷺ : « إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره »[1] الحديث .

● وقد قال الله تعالى في شأن نبيه يونس عليه السلام : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [الصافات : ١٤٣، ١٤٤] .

وقوله : ﴿ من المسبحين ﴾ فسرها بعض العلماء بـ (المصلين) ، والله أعلم .

● **والاستعانة بالصلاة مطلوبة للحفظ ودفع الشرور** ، قال الله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

● **وكذلك الاستعانة مطلوبة للتوفيق إلى أعمال الخير** كما في صلاة الاستخارة ، فإننا نركع ركعتين ثم ندعو الله عز وجل بالدعاء المذكور[2] .

● **وكذلك الاستعانة مطلوبة لجلب الرزق** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ [طه : ١٣٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٥٤٥) ، ومسلم (٦/٢١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) حديث الاستخارة أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به ، ويسمي حاجته » .

س : ما معنى الصبر لغة ؟

ج : الصبر يطلق على الحبس ، ومنه قولهم : قتل فلان صبرًا أي أُمسك وحُبِس حتى قُتِل ، وقوله : صبرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها عليه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالصبر في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر ... ﴾ [البقرة : ٤٥] ؟

ج : الصبر هنا عام يدخل فيه كل أنواع الصبر ، فمنه صبر على طاعة الله عز وجل (أي : حبس النفس وإلزامها طاعة ربها عز وجل) .

● ومنه الصبر عن محارم الله عز وجل (أي : منع النفس عن المحارم) .

● وصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى (من السراء والضراء) .

● ومن الصبر الصوم كذلك ، وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] : إنهم الصائمون[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الاستعانة بالصلاة ؟

ج : وجه ذلك أن الصلاة يتلى فيها ما يرغِّب في الآخرة ويزهِّد في الدنيا ، وفي إقبال العبد عليها اعتراف من العبد بأنه سيلقى ربه عز وجل فتهون عليه المصائب وتسهل عليه الطاعات ، والله أعلم .

---

(١) ومستندهم في ذلك أن الله عز وجل قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] . وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « والحسنة بعشر أمثالها ، وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .
ومن ثمَّ أطلق على رمضان شهر الصبر كذلك ، والله أعلم .

س : لماذا عُقب قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ بقوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة : ٤٦] ؟

ج : وجه ذلك – والله أعلم – أن العبد إذا أيقن بالمعاد وبالجزاء وبلقاء الله عز وجل سهلت عليه الطاعات وتيسر عليه عمل الخير ، فالذي خفف عليهم الطاعات وأوجب لهم التسلي في المصيبات وزجرهم عن فعل السيئات هو ما قذفه الله عز وجل في قلوبهم من يقين بأنهم ملاقو ربهم عزَّ وجل وأنهم إليه راجعون .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] ، يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال .

● **منها أن الضمير يرجع إلى الصلاة** (١) **وحدها لأنها أقرب مذكور** في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] ، ومن المعلوم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا إذا جاء دليل على التعميم .

ويَرِد على هؤلاء القائلين بأن الضمير يرجع إلى الصلاة وحدها سؤال وهو لماذا لم يقل في الصبر : إنه كبير أيضًا ؟

فأجاب أهل هذا القول بأجوبة منها :

أولًا : أن الضمير رجع إلى الصلاة وحدها لأهمية الصلاة فاقتصر على

(١) ويشهد له قول النبي ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء ... » الحديث .

الصلاة لأهميتها ، كما اقتصر على ذكر التجارة في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] ، لأن الحامل الأصلي على الانفضاض هو التجارة .

الثاني : أن الصبر داخل في الصلاة .

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة : ٦٢] ، لأن رضا رسول الله ﷺ داخل في رضا الرب سبحانه وتعالى .

الثالث : قيل : تغليبًا ، كما في قوله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها[1] في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] .

الرابع : قيل : اختصارًا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ [المؤمنون : ٥٠] ، ولم يقل : وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية .

● **ومنها أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرة ... ﴾ راجع إلى الوصية بالاستعانة بالصبر والصلاة** كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] أي : وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا .

● ونحوه في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ [القصص : ٨٠] أي : هذه الوصية لا يلقاها إلا الصابرون .

● **ومنها أن الضمير يرجع إلى الاستعانة نفسها** أي : أن الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين ، وهذا القول قريب من الذي قبله .

---

(١) بعض العلماء يقول : إن الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ راجع إلى الأشياء المكنوزة ، والله تعالى أعلم .

● ومنها أن الضمير يرجع إلى الأوامر التي كلف بها بنو إسرائيل ، وتبدأ من قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ... ﴾ [البقرة : ٤٠] الآيات ، ثم قال تعالى : ﴿ وإنها ﴾ (أي : هذه الأوامر والتكاليف التي كلفتم بها ﴿ كبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ، والله تعالى أعلم) .

❋ ❋ ❋

س : هل في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ... ﴾ [البقرة : ٤٦] ، دليل صريح على رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة ؟ وهل يرى المؤمنون ربهم عز وجل يوم القيامة ؟

ج : نعم يرى المؤمنون ربهم عز وجل يوم القيامة[1]، أما هذه الآية الكريمة ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ [البقرة : ٤٦] ففيها دليل إلا أنه ليس بصريح ، أما عدم صراحته فلأن اللقاء لا يستلزم الرؤية ، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ : « من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » وقد يحلفها كافر ، والكافر لا يرى ربه لقوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥] .

● وقال الله عز وجل : ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ [البقرة : ٢٢٣] وهذا عام .

● وقال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في محله من التفسير إن شاء الله تعالى . وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢] ، وقال النبي ﷺ كما ثبت عنه في الصحيح : « إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة ... » الحديث ، وسيأتي مزيد لذلك في أبوابه إن شاء الله .

يلقونه ﴾ [التوبة : ٧٧] .

***

س : ما هو المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم .. ﴾ [البقرة : ٤٦] ؟

ج : المراد بالظن هنا اليقين لأن الله سبحانه وتعالى قال في شأن المتقين : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ . وليس المراد بالظن هنا الشك ، فإن الله عز وجل قال في شأن الكافرين : ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شكٍّ منها بل هم منها عمون ﴾ [النمل : ٦٦] ، فالشك في الآخرة كفر ، والعياذ بالله .

- وكون الظن يطلق على اليقين فهو جائز بل ووارد بكثرة .
- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا ﴾ [الكهف : ٥٣] .
- وقال تعالى : ﴿ ... إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] .
- وفي الحديث القدسي : « ... أفظننت أنك ملاقي » .

***

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

لا تجزي – عدلٌ – يُنصرون ؟

ج :

الكلمة	معناهــا
لا تجزي	لا تغني – لا تقضي
عـدل	فدية (فداء)
يُنصرون	يُمنعون من عذاب الله

❋ ❋ ❋

س : من المعلوم أن بني إسرائيل الذين وجه إليهم الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى ، فإن قال قائل : بماذا فضل هؤلاء على العالمين ؟ فكيف الجواب عليه ؟

ج : الجواب يتلخص في أن الذين فضلوا هم آباؤهم الأولين ، فشرف آبائهم شرف لهم ، ومجد آبائهم مجدٌ لهم ، والدليل على أن بني إسرائيل الذين فضلوا هم الآباء وليسوا الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ وما جاورها ، قوله تعالى : ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون ...﴾ الآيات [البقرة : ٤٩]، وهم لم يروا فرعون بل الذين رأوه هم آباؤهم[١] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، فيه عطف للخاص على العام ، وضح ذلك ؟

ج : توضيح ذلك أن يقال : إن قوله تعالىٰ : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ يجمع النعم التي أنعم الله عز وجل بها على بني إسرائيل ، وضمن هذه النعم تفضيل الله عز وجل إياهم على العالمين ، فكونه يكرر : ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ فمعناه : أنه سبحانه ذكر أحد أفراد النعم بعد أن

---

(١) هذا وتمام التفضيل خاص بمن انتفع بنعم الله منهم وأطاع الله سبحانه وتعالى ، أما من عصاه منهم فكانوا قردة خاسئين وكانوا من المغضوب عليهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

ذكرها مجتمعة ، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا كرر التذكير بقوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ... ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : كرر التذكير للتأكيد عليهم وبيان كمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعم التي أنعم الله عز وجل بها عليهم ، وكرر كذلك ليربط بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بطريقتي الترغيب والترهيب في قوله : ﴿ واتقوا يومًا .... ﴾ [البقرة : ٤٨] ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل فضلت بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ ؟

ج : لم تفضل بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ ، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وقال النبي ﷺ : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »[1] .

***

س : من المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : المراد عالمي زمانهم ، وقيل : إنه تفضيل عام لكن بوجهٍ من الوجوه مخصوص ألا وهو كثرة أنبيائهم ، كما قال النبي ﷺ : « كانت بنو إسرائيل

---

(١) حديث حسن ، وسيأتي تخريجه مع مزيد من الأدلة التي تشهد لهذا المعنى في آل عمران إن شاء الله تعالى .

تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث[1] .

لكن القول الأول (وهو أنهم فُضّلوا على عالمي زمانهم) عليه جمهور أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ [الجاثية : ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين ﴾ [المائدة : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] .

***

س : اذكر بعض النعم التي فضل الله بها بني إسرائيل على العالمين ؟

ج : من هذه النعم كثرة الأنبياء فيهم – كما تقدم عن رسول الله ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم[2] الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ... » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا .
(٢) أي : تقودهم .

- جعلهم الله عز وجل ملوكًا[1] بما أغدق عليهم من النعم .
- ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .
- أنزل الألواح على نبيهم موسى ﷺ .

وثَمَّ نعم أخر يعرف بعضها البشر ، والبعض الآخر لا يحصيه إلا الخالق سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ، وما هو اليوم المراد ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : واحذروا يومًا أو واخشوا يومًا ، وقيل : هنا إضمار ، والمعنى : واتقوا عذاب يومٍ ، والمقصود من اتقاء اليوم الخوف من أهواله وعظائمه ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبًا * السماء منفطر به كان وعده مفعولًا ﴾ [المزمل : ١٧، ١٨] .

وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] .

أما اليوم المراد فهو يوم القيامة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالنفس في قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : النفس الكافرة ، فهذا من العام الذي أريد

(١) وسيأتي إن شاء الله تعالى تفسير الملوك في بابه من سورة المائدة .

به الخصوص .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ، النفس الكافرة لا كل نفس .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات : قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ [عبس : ٣٤ – ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ [لقمان : ٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ [فاطر : ١٨] .

❋ ❋ ❋

س : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ ولا يقبل منها شفاعة ﴾ [البقرة : ٤٨] نفي الشفاعة مطلقًا ؟ أم ماذا ؟

ج : ليس المراد من الآية الكريمة نفي الشفاعة مطلقًا إلا إذا أُريد الكافرين كما هو الصحيح في الآية[١] ، فالشفاعة فيهم ومنهم مرفوضة منفية تمامًا[٢] ، أما شفاعات أهل الإيمان في أهل الإيمان بإذن الله عز وجل فثابتة ، كما قال تعالى:

(١) أعني تفسير النفس في الآية بأنها النفس الكافرة كما تقدم .

(٢) باستثناء أبي طالب ، فشفاعة رسول الله ﷺ خفف الله عنه بها بعض العذاب ، وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله .

﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا يؤخذ منها عدل ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها ﴾ [الأنعام : ٧٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ [الحديد : ١٥] .
- وقوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به ﴾ [آل عمران : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٣٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [الرعد : ١٨] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ [الطارق : ١٠]

وقوله تعالى : ﴿ ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [الصافات : ٢٥ ، ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ﴾ [الأحقاف : ٢٨] .

***

س : من هم الذين لا تقبل فيهم الشفاعة ؟ ولا تقبل منهم ؟

ج : هم الكفار ، ودليل ذلك قولهم : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] ، وقوله تعالى: ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [المدثر : ٤٨] .

***

س : الشفاعة مأخوذة من ماذا ؟ وما معنى استشفعه إلى فلان ؟

ج : الشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان ، والشفع ضد الوتر ، فالوتر واحد والشفع اثنان ، تقول : كان وترًا فشفعته ، فالشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال منفعة للمشفوع .

قال الطبري رحمه الله تعالى : و (الشفاعة) مصدرٌ من قول الرجل : (شفع لي فلان إلى فلان شفاعة) وهو طلبه إليه في قضاء حاجته ، وإنما قيل للشفيع : شفيع وشافع لأنه ثنَّى المستشفع به فصار به شفعًا ، فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به في حاجته فردًا فصار صاحبه له فيها شافعًا وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة ، ولذلك سمي الشفيع في الدار وفي الأرض (شفيعًا) لمصير البائع به شفعًا .

قلت : والمشفِّع هو الذي يقبل الشفعة ، والمشفَّع هو الذي تُقبل

شفاعته ، والشفاعة كذلك التوسط للتجاوز عن الذنوب والجرائم وأيضًا التوسط لجلب خيرٍ أو لدفع ضُرٍّ عن أحدٍ من الناس .

أما معنى استشفعه إلى فلان أي: سأله أن يشفع له إليه ، ومنه القول المنقول عن الأعشى :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلًا	يارب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي	نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا
واستشفعت من سَرَاةِ الحي ذا ثقةٍ	فقد عصاها أبوها والذي شفعا

ومنه أيضًا :

مضى زمن والناس يستشفعون بي	فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾[البقرة : ٤٨] ؟

ج : أمثل ما قرأته في تأويلها إجمالًا هو قول الطبري رحمه الله فقال : واتقوا يومًا لا تقضي نفس عن نفسٍ حقًّا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حق .

وتأويل قوله[(١)] : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] يعني : أنهم لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية ، بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرُّشى والشفاعات وارتفع[(٢)] بين القوم التعاون والتناصر وصار الحكم إلى العدل الجبار الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنُّصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه : ﴿ وقفوهم إنهم

---

(١) هذا أيضًا قول الطبري رحمه الله تعالى .

(٢) أي : ذهب وانقضى .

مسئولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [الصافات : ٢٤ - ٢٦] ، والله أعلم .

***

س : اذكر بعض الآيات التي نفت الشفاعة والشفيع مطلقًا ؟

ج : من هذه الآيات :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٥١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [يونس : ١٨] .

● وقول أهل النار : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] .

● وقوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام

ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ [السجدة : ٤] .

● وقول بعض الصالحين : ﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرٍّ لا تغني عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون ﴾ [يس : ٢٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾ [الزمر : ٤٣ ، ٤٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي أثبتت الشفاعة والشفيع ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

● وقوله تعالى : ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ [البقرة : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ – ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا * يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا * يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا ﴾ [طه : ١٠٥ – ١٠٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد

بالحق وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٨٦] .

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود .

* * *

س : كيف تجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها ؟

ج : يجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها بالآتي :

أولًا : لا بد أن يُعلم أن أمر الشفاعة كله موكولٌ إلى الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل : ﴿ قل لله الشفاعة جميعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] .

ثانيًا : لا شفاعة في كافر[1] لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] .

ولقول الكافرين : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠، ١٠١] ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥) ، ومسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ – وذكر عنده عمه أبو طالب – فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » ، وقد جاء هذا مجزومًا به في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : « هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » ، أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩) ، فأبو طالب مستثنى ، ثم إن الشفاعة لم تخرجه من النار ، وقد يقال : إن الكافر الداعي إلى كفره ليس كالكافر الذي =

عن النبي ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه فيقول : يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل : إني حرمت الجنة على الكافرين »[1] .

ثالثًا : أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

رابعًا : أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سبحانه وتعالى ، لقوله عز وجل : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

خامسًا : أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها ، قال الله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [يونس : ١٨] .

= لا يدعو إلى الكفر وهذا صحيح ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ [العنكبوت : ١٢ - ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ [النحل : ٢٤ ، ٢٥] .

فأبو طالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًا إلى الكفر بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثم خُفف عنه .

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال :« ولولا أنا ... » أقوى من هذا المفهوم ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٩) .

● وقال تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق[1] وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

● وقال تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .... ﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] والله أعلم .

* * *

س : اذكر أنواع الشفاعات مع (بيان أمثلة لكل نوعٍ منها) ؟

ج : الشفاعات على وجه الإجمال تحصل لي أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي :

● شفاعات في الآخرة .

● شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا .

● شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم .

أما على وجه التفصيل **فبالنسبة لشفاعات الآخرة** فنذكر منها الآتي :

١ - **الشفاعة العظمى** (والشافع فيها هو رسول الله ﷺ[2] بإذن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : هذا استثناء منقطع أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . وسيأتي لهذا مزيد في تفسير الآية المذكورة إن شاء الله .

(٢) وهي التي ذكرها النبي ﷺ في حديث: « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت =

ربه) وهي لأمور ثلاثة :

أ) للتفريج عن الناس مما هم فيه من الغم والكربات التي لا يطيقونها ولا يحتملونها لما يجمعهم الله عز وجل في صعيدٍ واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رءوسهم .

ب) لإدخال أقوامٍ الجنة .

ج) لإخراج أقوام من النار .

وها هي بعض الأحاديث الواردة في بيان هذه الشفاعة العظمى :

= بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي **وأعطيت الشفاعة** ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (حديث ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وهي التي أخرَّها النبي ﷺ لأمته فقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه (حديث ٨٢٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا فقال لي : « يا أبي أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف . فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثانية . اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردَّةٍ رددتكها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي **وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ** » .

● وأخرج البخاري (٧٤٧٤) ، ومسلم (حديث ١٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

● حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (حديث ١٩٤) واللفظ له ، وفيه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحمٍ . فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه . فنهس منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة . وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد . فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون . وما لا يحتملون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم . فيأتون آدم . فيقولون : يا آدم ! أنت أبو البشر . خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله . إنه نهاني عن الشجرة فعصيته . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري . اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ! أنت أول الرسل إلى الأرض . وسماك الله عبدًا شكورًا . اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله . وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي . نفسي اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض . اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى ﷺ فيقولون : يا موسى ! أنت رسول الله . فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب

اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها . نفسي . نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ! أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه . فاشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . ولم يذكر له ذنبًا . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتوني فيقولون : يا محمد ! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء . وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي . ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي . ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك . سل تعطه . اشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : يارب ! أمتي أمتي . فيقال : يا محمد ! أدخل الجنة من أمتك ، من لا حساب عليه ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجرٍ أو كما بين مكة وبصرى » .

● حديث أنس رضي الله تعالى عنه[1] وفيه أن أنسًا رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، علمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناك - ويذكر لهم خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤١٠) ، ومسلم (حديث١٩٣) .

إلى أهل الأرض . فيأتـون نوحًا فيقول : لسـت هناك – ويذكر خطيئته التي أصاب – ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم – ويذكر لهم خطاياه التي أصابها – ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا . فيأتون موسى فيقول : لست هناكم – ويذكر لهم خطيئته التي أصابها– ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه . فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتونني ، فأنطلق ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع ، فيحد لي حدًّا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول : يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، فقال النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة » .

● وهذا سياق آخر لحديث أنس رضي الله تعالى عنه مع حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[1] ، فقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى :

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم (١/١٨٢ ترتيب محمد فؤاد) .

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه . فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى . فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني فأقول : أنا لها ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي ! فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرَة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجدًا فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتي فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار ، فأنطلق فأفعل » ، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا : لو مررنا بالحسن وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة فحدثنا بما

حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له : يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك ، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة ، فقال : هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع ، فقال : هيه ، فقلنا : لم يزد لنا على هذا فقال : لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلموا ، فقلنا : يا أبا سعيد فحدثناه فضحك ، وقال : خلق الإنسان عجولًا ، ما ذكرته إلا وأنا أريد أحدثكم حدثني كما حدثكم به ، قال : « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ، ثم أخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » .

● ومنها حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه ومعه أبو هريرة رضي الله عنه قالا[1] : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس . فيقوم المؤمنون حتى تزلف[2] لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ! لست بصاحب ذلك واذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله . قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك . إنما كنت خليلًا من وراء وراء[3] . اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا فيأتون موسى ﷺ فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلك . فيأتون محمدًا ﷺ . فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم[4] فتقومان جنبتي

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥) .

(٢) (تزلف) : أي تقرب. كما قال الله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي : قربت .

(٣) (من وراء وراء) قال الإمام النووي : قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه . وقال : الفتح صحيح .وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ وَشَغَرَ بَغَرَ وسقطوا بين بين فركبهما وبناهما على الفتح .

(٤) (وترسل الأمانة والرحم) إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما . فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى .

الصراط[1] يمينًا وشمالًا فيمر أولكم كالبرق » قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! أي شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح . ثم كمر الطير وشد الرجال[2] . تجري بهم أعمالهم[3] ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب ! سلم سلم . حتى تعجز أعمال العباد . حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا». قال: «وفي حافتي الصراط[4] كلاليب معلقة . مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج ومكدوس[5] في النار » .

والذي نفس أبي هريرة بيده ! إن قعر جهنم لسبعون خريفًا .

٢ – الشفاعة لأهل الكبائر [6] ، وعليها أدلة كثيرة منها ما هو خاص ومنها ما هو عام .

أما الخاص فحديث رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[7].

---

(١) (جنبتي الصراط) معناهما : جانباه ، ناحيتاه اليمنى واليسرى .

(٢) (وشد الرجال) الشد هو العَدْوُ البالغ والجري .

(٣) (تجري بهم أعمالهم) هو تفسير بقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.

(٤) (حافتي الصراط) هما جانباه .

(٥) (ومكدوس) قال في النهاية : أي مدفوع . وتكدَّس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط .

(٦) ليس المقصود قصر الشفاعة على أهل الكبائر وحصرها منهم ، بل المراد – والله أعلم أن الشفاعة تنفع أكثر ما تنفع أهل الكبائر ، وذلك لأن الكبيرة يعذب عليها صاحبها – إلا أن يشاء الله أن تغفر له – فإذا أذن الله عز وجل لنبيه ﷺ في الشفاعة في صاحب الكبيرة فقد ارتفع عن صاحب الكبيرة العذاب ومن ثمَّ حصل له الانتفاع ، والحامل على هذا القول أن هناك أنواعًا من الشفاعات لرسول الله ﷺ كما بيناه ونبينه إن شاء الله ، والله أعلم .

(٧) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه ، فله عن رسول الله ﷺ طرق منها حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣/٢١٣) وأبو داود (في كتاب السُّنة من سننه أبواب الشفاعة حديث ٤٧٣٩) من طريق سليمان بن حرب ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحداني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وله طرق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا وله أيضًا طرق أخرى عن غير أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ كجابر بن عبد الله وغيره من الصحابة ، انظر هذا كله بتفصيل في كتاب الشفاعة .

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي :

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنه قال لرسول الله ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه »(1) .

● الأحاديث التي قدمناها عند ذكر الشفاعة العظمى وفيها : « فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، وقول النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة».

● وفي الأحاديث المتقدمة أيضًا «... فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ...– إلى أن قال: فيقول (أي الرب سبحانه وتعالى)–: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار فأنطلق فأفعل ...» الحديث .

● وفي الحواشي المتقدمة كذلك قول النبي ﷺ : « وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

ومنها قول النبي ﷺ : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة »(2) .

فيدخل في هذا أهل الكبائر أيضًا .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٩٩ ، ٦٥٧٠) .

(2) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٩٩/٨) ، وأبو داود (٣٦٢/١) وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

٣ - الشفاعة لإدخال قوم الجنة بغير حساب .

● تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيما ذكرناه من أحاديث في أبواب الشفاعة العظمى أن النبي ﷺ قال : « فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » .

● وعن رفاعة[1] الجهني رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال : بقديد فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر » فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا فقال رجل إن الذي يستأذنك بعد هذا السفيه فحمد الله وقال حينئذ : « أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة قال : وقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبَّوؤا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة وقال إذا مضى نصف الليل أو قال ثلثا الليل ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري من ذا يستغفرني فأغفر له من الذي يدعوني أستجيب له من ذا الذي يسألني أعطيه حتى ينفجر الصبح » .

٤ - الشفاعة في خروج الموحدين من النار .

● عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تُمارونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دُونَهُ سَحابٌ ؟ » قالوا : لا يا رسولَ الله . قال : « فهل تُمارونَ في الشَّمسِ ليسَ دونَها سحابٌ ؟ » قالوا : لا . قال : « فإنكم ترَونهُ كذلك ، يُحشَرُ الناسُ يومَ القِيامةِ فيقولُ :

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٦) .
(٢) أخرجه البخاري حديث (٨٠٦) ومسلم (١/١٦٣ ، ١٦٤) .

مَن كانَ يَعبُدُ شَيئًا فَلْيَتَّبِعْ ، فمنهم مَن يتَّبعُ الشَّمسَ ، ومنهم مَن يتَّبعُ القمرَ ، ومنهم مَن يتَّبعُ الطواغِيتَ ، وتبقىٰ هٰذهِ الأُمَّة فيها مُنافِقوها ، فيأْتِيهمُ اللهُ فيقولُ : أَنا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكانُنا حتى يأْتِينَا ربُّنا ، فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه . فيأْتيهمُ اللهُ فيقولُ : أَنا ربُّكم فيقولونَ : أَنتَ ربُّنا ، فيدعوهم فيضرَبُ الصِّراطُ بينَ ظهرانَيْ جَهنَّم ، فأَكونُ أَوَّلَ مَن يَجوزُ مِنَ الرُّسُلِ بأُمَّتِهِ ، ولا يتكلَّمُ يومَئِذٍ أَحدٌ إِلَّا الرُّسُلُ ، وكلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ : اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وفي جَهنَّم كَلاليبُ مِثْلُ شَوكِ السَّعدان هل رَأَيتمْ شَوكَ السَّعدانِ ؟ » قالوا : نعم . قال : « فإنها مثلُ شوكِ السعدانِ ، غيرَ أَنَّه لا يَعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إِلَّا اللهُ ، تَخْطَفُ الناسَ بأَعمالِهِمْ ، فمنهم مَن يُوبَقُ بعَمِلِه ، ومنهم مَن يُخرْدَلُ ثمَّ يَنجو . حتى إذا أَرادَ اللهُ رحمةَ مَن أَرادَ مِن أَهلِ النَّارِ أَمَرَ اللهُ الملائكةَ أَن يُخرِجوا مَن كان يَعبُدُ اللهَ ، فيُخرِجونهمْ ، وَيَعرِفونَهم بآثارِ السُّجودِ ، وحرَّمَ اللهُ عَلَى النارِ أَن تأْكلَ أَثَرَ السجودِ . فيخرُجونَ منَ النارِ ، فكلُّ ابنِ آدمَ تأْكلُه النارُ إِلَّا أَثَر السجودِ ، فيخرُجونَ مِنَ النَّار قد امتَحشوا ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ ، فيَنبتُونَ كما تنبتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ . ثمَّ يَفرُغُ اللهُ مِنَ القضاءِ بينَ العبادِ ، ويَبقىٰ رَجُلٌ بينَ الجنَّةِ والنار – وهو آخرُ أَهلِ النارِ دخُولًا الجَنَّةَ – مُقبِلٌ بوَجهِهِ قِبَلَ النارِ ، فيقول : يا ربِّ اصرفْ وَجهي عن النار ، قد قَشَبَني رِيحُها وأَحرَقَني ذَكاؤُها . فيقولُ : هلْ عَسيتَ أَنْ فُعلَ ذٰلك بكَ أَن تَسأَلَ غيرَ ذٰلكَ ؟ فيقول : لا وعزَّتك . فيُعطِي اللهَ ما يَشاءُ من عَهدٍ وميثاقٍ ، فيصرِفُ اللهُ وَجهَهُ عنِ النارِ ، فإذا أَقبَلَ به على الجنَّةِ رأَى بهجَتها ، سَكتَ ما شَاءَ اللهُ أَن يَسكُتَ ، ثم قال : يا ربِّ قدِّمْني عندَ بابِ الجنَّةِ . فيقولُ اللهُ له : أَليسَ قد أَعطيتَ العُهود والميثاقَ أَنْ لا تَسأَلَ غيرَ الذي كنتَ سأَلتَ ؟ فيقول : يا رب ، لا أَكونُ أَشقىٰ خَلقِكَ . فيقول : فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيُعطي ربَّهُ ما شاءَ من عهد وَمِيثاقٍ ، فيُقَدِّمُهُ إلى بابِ الجنَّةِ، فإذَا بَلَغَ بابَها فرأَىٰ زهرتَها وما فِيها

مِنَ النَّضرَةِ والسُّرور فيَسكُتُ ما شاءَ الله أن يسكُتَ ، فيَقولُ : يا ربِّ أدخِلني الجَنَّة . فيقولُ اللّهُ : وَيحَكَ يا ابنَ آدَمَ ، ما أَغْدَرَكَ ! أليسَ قد أعطيت العهودَ والميثاقَ أن لا تسأَلَ غيرَ الذي أُعطيتَ ؟ فيقولُ : يا ربِّ لا تجعلني أَشقىٰ خَلقك . فيَضحَكُ اللّهُ عز وجلَّ منه ، ثمَّ يأْذَنُ لهُ في دُخولِ الجنَّةِ ، فيقولُ : تمنَّ ، فيَتَمنَّى . حتى إذا انقَطَعَ أُمنيَّتُهُ قال الله عزَّ وَجلَّ : مِن كذا وكذا - أَقبَلَ يُذَكِّرُهُ ربُّهُ - حتى إذا انْتهَتْ بِهِ الأَمانيُّ قال اللّهُ تعالىٰ : لَكَ ذلك وَمِثلُهُ مَعَهُ » . قال أبو سعيدٍ الْخُدرِيُّ لأبي هُريرَةَ رضيَ اللّهُ عنهما : إنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « قال اللّهُ : لَكَ ذلكَ وَعشَرَةُ أَمثالِه » . قال أبو هُريرةَ : لمْ أَحفَظْ مِن رسولِ اللّهِ ﷺ إلا قَوْلهُ : « لكَ ذٰلكَ ومِثلُهُ معهُ » . قال أبو سعيد : إني سمعتُهُ يقول : « ذٰلك لكَ وعشرَةُ أَمثالِه » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال[1] : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : «هل تضاروُنَ في رؤية الشمس والقَمر إذا كانت صَحوًا ؟» قلنا: لا ، قال : «فإنكم لا تضارُون في رؤية ربِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ، ثم قال : ينادى مناد ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصليبِ مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتم . حتى يبقى من كان يعبدُ الله من بر أو فاجر وغُبراتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يؤتى بجهَنَّم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنَّا نعبُدُ عُزَيْرًا ابن الله ، فيقال : كذَبتم لم يكنْ للّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ، قالوا : نريد أن تسقِيَنا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبدُ المسيحَ ابن الله ، فيقال كذبتم لم يكن للّه صاحبة ولا ولدٌ ، فما تريدون فيقولون نريدُ أن تسقينا ، فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ فيقولون :

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) .

فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا مناديًا ينادِى : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا . قال : فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة ، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون السَّاق : فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثمَّ يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم » قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدحضةٌ مَزِلةٌ عليها خطاطيف وكلاليبُ وحسكةٌ مفلطَحَةٌ لها شوكةٌ عقَيفاء تكون بنَجد يقال لها السعدانَ ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيْل والركاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يَمرَّ آخرهُم يُسحب سحبًا فما أنتم بأشَدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ، وإذا رأوْا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون معَنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى : اذهبوا فمنْ وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من إيمان فأخِرجوه ، ويحِّرمُ الله صوُرَهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غَاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيهِ فيخرِجون مَن عَرفوا ثم يَعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيخُرِجون من عَرفوا » ، قال أبو سعيد فإن لم تصدَّقوني فاقرءوا : ﴿ إن الله لا يظلمُ مثقال ذرَّة ، وإنْ تك حسنَةً يُضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فَيشَفَعُ النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبارُ بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيُخرجُ أقوامًا قد امتُحشوا فيلقْون في نهر بأفواهِ الجَّنةِ يقال له ماء الحياة فينبُتون في حافَتَيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السَّيْل قد رأيتموها إلى جانب الصَّخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضرَ ، وما كان منها إلى الظل كان أبيضَ فَيَخرجُون كأنهم اللؤلؤ فيُجعلُ في رقابهم

الخواتيمُ فيدخلون الجنَّة فيقول أهلُ الجنةِ هؤلاء عتقَاء الرحمن أدخلَهمُ الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدمَّوه ، فيقال لهم لكم ما رأيتمُ ومثلهُ معه » .

وعن أنس[1] رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « يُحبَس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمُّوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحُنا من مكانِنا ، فيأتون آدمَ فيقولون أنت آدم أبو الناس ، خلَقكَ اللَّه بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكتَه ، وعلمك أسماء كل شيء ، لتشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيقول لستُ هُناكم ، قال : ويذكر خطيئتهُ التي أصاب أكله من الشجَرة وقد نُهي عنها ، ولكنِ ائتوا نوحًا أوَّل نبي بعثهُ اللَّه تعالى إلى أهلِ الأرض . فيأتون نوحًا ، فيقول لستُ هُناكم ، ويذكر خَطيئتهُ التي أصاب سُؤاله ربَّه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خليلَ الرحمن ، قال : فيأتون إبراهيمَ ، فيقول : إني لستُ هناكُم ، ويذكر ثلاث كذبات كذَبَهُن ، ولكن ائتوا موسىٰ عبدًا آتاه اللَّه التوراةَ وكلمهُ وقرَّبه نجيًّا ، قال فيأتون موسىٰ فيقول إني لستُ هناكُم ، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفسَ ، ولكن ائتوا عيسىٰ عبد اللَّه ورسوله ، وروحَ اللَّه وكلمته ، قال : فيأتون عيسىٰ فيقول لستُ هناكمُ ، ولكن آئتوا مُحمدًا ﷺ عبدًا غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، فيأتوني فأستأذنُ على ربِّي في داره ، فيؤْذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا ، فيدَعني ما شاء اللَّه أن يدَعني ، فيقول ارفعْ محمدُ وقلْ يُسمعْ ، وآشفعْ تُشَّفعْ ، وسلْ تُعط ، قال : فأرفعُ رأسي فأثني على ربِّي بثناء وتحميد يُعلمنيه ، فيُحدَّ لي حدًّا فأخرُج فأدخلهم الجنَّة » . قال قتادة : وسمعتهُ أيضًا يقول : « فأخُرجُ فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيأذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا ، فيَدَعني ما شاء اللَّه أن يدَعَني ، ثم يقول ارفعْ محمدُ ، وقُلْ يُسمعْ ، واشفعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعطهَ ، قال : فأرَفُع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٤٤٠) .

يُعلِّمنيه ، قال : ثم أشفَعُ فيُحدُّ لي حدًّا فأخرُجُ فأدخِلُهم الجنَّة » ، قال قتادة : « وسمعتُه يقول فأخرُجُ فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنَّة ثم أعود الثالثةَ فأستأذن على ربِّي في دارِه فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدَعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمدُ وقلْ يسمعْ ، واشفعْ تُشفعْ ، وسلْ تُعطهْ ، قال : فأرفعُ رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يُعلِّمنيه ، قال : ثم أشفعُ فيحُدُّ لي حدًّا فأخرج ، فأدخلهم الجنَّة » . قالَ قتادة : وقد سمعتهُ يقول « فأخرج فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا مَن حبسه القرآنُ ، أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا الآية : ﴿ عسى أن يبعثكَ رَبُّكَ مقامًا محمودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، قال : وهذا المقامُ الذي وُعِدَهُ نبيكم ﷺ » .

٥ – الشفاعة لدخول الجنة .

● وفي ذلك حديث أنس رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا »[١] وفي رواية عن أنس أيضًا قال : قال رسول اللّه ﷺ : «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك»[٢].

٦ – شفاعة النبيين .

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « .... فيشفع النبيون » .

٧ – شفاعة الملائكة .

● قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٢٦] .

● وتقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « .... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون .... » الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٦) .

(٢) أخرجه مسلم أيضًا (حديث ١٩٧) .

٨ – **شفاعة المؤمنين .**

● تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « .... فما أنتم بأشدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من إيمان فأخرجوه ، ويُحرِّم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخُرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»، قال أبو سعيد فإن لم تصدقوني فاقرءوا ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تكُ حسنةً يضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ... » .

٩ – **شفاعة الاباء لأبنائهم المؤمنين .**

قال الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ [الطور : ٢١] .

١٠ – **شفاعة الشهداء .**

● عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة[١]، ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين **ويشفع في سبعين من أقاربه** » [٢] .

١١ – **شفاعة الجبار عزَّ وجل .**

● تقدم في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه أن النبي ﷺ

---

(١) هذه كلها واحدة (يغفر له عند أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة) .
(٢) صحيح وسيأتي أخرجه الترمذي وسيأتي في آل عمران إن شاء الله .

قال : « ... فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخُرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السَّيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خيرٍ قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه » .

شفاعة الأطفال لآبائهم يوم القيامة .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها :

● ما أخرجه مسلم (٢٦٣٥) مَن طريق أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة إنه قد مات لنا ابنان فما أنت[1] مُحدِّثي عن رسول اللَّه ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال بيده – كما آخذ أنا بصنفةِ ثوبك هذا ، فلا يتناهى أو قال : فلا ينتهي حتى يدخله اللَّه وأباه الجنة » .

● وأخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه (المسند ١٠٥/٤) بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ : « يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال : فيأتون قال : فيقول اللَّه عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين ادخلوا الجنة » قال : فيقولون يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، قال فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

---

(١) وفي رواية عند مسلم أيضًا : فهل سمعت من رسول اللَّه ﷺ شيئًا تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ .

شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب [1].

وقد تقدم في بعض الحواشي السابقة الحديثُ عنها وفيه أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال « هو في ضحضاح من نارٍ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » متفق عليه . وفي رواية في الصحيحين أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه . فقال : « لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » .

شفاعة القرآن وخاصة سورة البقرة وآل عمران .

● أخرج مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه[2] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[3] أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان[4] من طيرٍ صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها

---

(١) من المعلوم أن أبا طالب عم رسول الله ﷺ قد مات على الكفر فكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب ، وقد نزل فيه قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة : ١٣٣] ونزل فيه أيضًا ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القصص : ٥٦].

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٨٠٤) .

(٣) المراد سحابتان ، والله أعلم .

(٤) الفِرق هو الجماعة أو القطعة .

بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَةُ »[1] .

● وفي صحيح مسلم أيضًا[2] من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدُمُه سورة البقرة وآل عمران » . وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد – قال : « كأنهما غمامتان أو ظلَّتان سوداوان بينهما شَرْقٌ[3] أو كأنهما حزقان[4] من طير صوافَّ تحاجان[5] عن صاحبهما ».

شفاعات من أقوام أحياء لأقوام قد ماتوا لرفع درجاتهم .

● ويدخل فيها عموم الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ لمن مات ومنها الوارد في أدعية الصلاة على الجنائز ، ونحو ذلك ، وها هي بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب .

● أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[6] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما فرَغ النبيُّ ﷺ من حُنَين بَعث أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس ، فلقيَ دُرَيدَ بن الصِّمَّة ، فقُتِلَ دُرَيدَ ، وهزم الله أصحابه . قال أبو موسى : وبَعثني معَ أبي عامر ، فرُمي أبو عامر في ركبتِهِ ، رَماه جُشميٌّ بسهمٍ فأثبتَه في ركبتِه فانتهيتُ إليهِ فقلتُ : يا عمَّ مَن رماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فقَصَدتُ له ، فلحِقته ، فلما رآني ولى ، فاتبعتُهُ وجعلت أقولُ له : ألا تستحي ، ألا تثبت فكفَّ . فاختَلَفنا ضربتَين بالسيف فقتلتُه ، ثم قلتُ لأبي عامر :

---

(١) البطلة هم السحرة .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٥) .

(٣) شرق أي ضياء ونور .

(٤) الحزق الجماعة أو القطعة .

(٥) تحاجان تدافعان وقال بعض العلماء تحاجان الجحيم والزبانية .

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (ص ١٩٤٣ – ١٩٤٤) .

قَتلَ اللَّه صاحبكَ . قال : فانزع هذا السهمَ ، فنزَعتهُ فنزل منه الماء . قال : يا ابنَ أخي ، أقْرِىء النبي ﷺ السلام وقل له : استغفِرْ لي . واستَخلفني أبو عامر على الناس . فمكثَ يسيرًا ثم مات . فرجعتُ فدخلت على النبيّ ﷺ في بيته على سرير مُرمَلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثَّرَ رمالُ السرير بظهره وجَنبيَه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال : قل له استغفرْ لي ، فدَعا بماء فتوضأ ، ثم رفعَ يدَيه فقال : « اللهمَّ اغفرْ لعُبيدٍ أبي عامر » ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه . ثم قال : « اللهمَّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقكَ منَ الناس » . فقلتُ : ولي فاستغفر . فقال : « اللهمَّ اغفر لعبد اللَّه بن قَيسٍ ذنْبهَ ، وأدخله يومَ القيامةِ مُدخَلًا كريمًا » . قال أبو بُردةَ : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى » .

● وأخرجه مسلم من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت : دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَىٰ أبي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ . فَأَغْمَضَهُ . ثُمَّ قَالَ : « إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ » . فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ . فَقَالَ : « لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إلَّا بِخَيْرٍ . فَإنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ » . ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ . وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يا رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ . وَنَوِّرْ لَهُ فِيه » .

شفاعة المصلين على الميت .

● أخرج مسلم[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : نعم ، قال : أخرجوه ، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون باللَّه شيئًا إلا

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٥٥ حديث رقم ٩٤٨) .

شفعهم اللَّه فيه » .

● وأخرج مسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ قال : « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » .

شفاعة الأبناء لآبائهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك »[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أن أطلب الشفاعة من المخلوق الحي فيما يقدر عليه ؟

ج : نعم يجوز ذلك فقد أخرج الإمام أحمد[3] رحمه اللَّه تعالى في مسنده من حديث عثمان بن حنيف رضي اللَّه عنه أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع اللَّه أن يعافيني ، قال : « إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير » ، فقال : ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوَّجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم شفِّعه فيَّ .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤/٢ حديث رقم ٩٤٧) وفيه بعض الانتقاد ويشهد له ما قبله والمسلمون في الحديث الثاني لا يشركون باللَّه شيئًا .

(٢) أخرجه أحمد (٥٠٩/٢) بإسناد حسن .

(٣) المسند (١٣٨/٤) ، وهو صحيح .

س : اذكر بعض أسباب جلب الشفاعات ؟

ج : **منها :- قراءة القرآن والعمل به** ، وقد تقدم في ذلك حديث رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه .... » الحديث .

٢ - **سكنى مدينة رسول الله ﷺ والصبر على لأوائها** فقد أخرج مسلم في صحيحه[١] من طريق أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرَّة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال ويحك لا آمرك بذلك إني سمعت رسول الله يقول : « لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا » .

وأخرج مسلم نحوه أيضًا من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم[٢] .

٣ - **الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكرير ما يقوله المؤذن** فقد أخرج مسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

٤ - **الصلاة على الميت** ، وقد تقدم في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم ص ١٠٠٢ .
(٢) حديث (١٣٧٧) ، (١٣٧٨) .
(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤) .

٥ - **كثرة السجود** فقد أخرج أحمد في مسنده[1] من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة ، قال : كان النبي ﷺ مما يقول للخادم : « ألك حاجة » قال : حتى كان ذات يوم فقال : يا رسول الله حاجتي ، قال : « وما حاجتك ؟ » قال : أن تشفع لي يوم القيامة . قال : « ومن دلك على هذا ؟ » قال : ربي . قال : « أما لا فأعني بكثرة السجود » .

* * *

س : متى يمنع المسلم من أن يشفع ؟

ج : إذا أكثر من اللعن ، فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة »[2].

* * *

الشفاعات الدنيوية

س : هل تشرع الشفاعات الدنيوية ؟

ج : من الشفاعات الدنيوية ما هو مشروع ومنها ما هو محرم قال الله تبارك وتعالى : ﴿ من يشفع شفاعة حسنةً يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئةً يكن له كفلٌ منها وكان الله على كل شيءٍ مقيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٥٠٠) من طريق عفان ثنا خالد يعني الواسطي (قال مصطفى وهو خالد الطحان) قال ثنا عمرو بن يحيى الأنصاري عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي ﷺ ... وهذا إسناد صحيح . وقد أخرج مسلم (حديث ٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : « سل » فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة قال : « أو غير ذلك » قلت : هو ذاك قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٠٦) .

س : اذكر نماذج للشفاعات الدنيوية المشروعة ؟

ج : منها ما ورد في حديث رسول الله ﷺ أنه كان إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال : « اشفعوا تؤجروا » ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء[1]، أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

● وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له : مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثًا » ؟ فقال النبي ﷺ : « لو راجعته » قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : « إنما أنا أشفع » قالت : لا حاجة لي فيه . أخرجه البخاري (٥٢٨٣) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر مثالًا للشفاعات الدنيوية المحرمة ؟

ج : من أمثلة ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص .

أخرج البخاري[2] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أَهَمَّتْهُمْ المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال : أتشفع في حدٍّ من حدود الله » ؟ ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس إنما

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢) ، وفي غير موطن من صحيحه ، ومسلم (٢٦٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٨) ، ومسلم (حديث ١٦٨٨) .

ضلَّ[1] من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

ويدخل في الشفاعات المحرمة الواسطة التي تذهب بحقوق أناس إلى آخرين لا حقَّ لهم .

❋ ❋ ❋

(١) في رواية إنما هلك .

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : نجيناكم – يسومونكم سوء العذاب – يستحيون نساءكم – لعلكم تشكرون – الفرقان ؟

ج :

الكلمة	معناها
نجيناكم	أخلصناكم
يسومونكم سوء العذاب	يذيقونكم أسوأ العذاب أو أشد العذاب أو العذاب الذي يسيء صاحبه
يستحيون نساءكم	يتركونهن أحياء
لعلكم تشكرون	لتشكروني
الفرقان	ما يفرق به بين الحق والباطل ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿وإذ نجيناكم﴾ ؟ [البقرة : ٤٩].

ج : العامل فيها هو قوله ﴿**واذكروا**﴾ فالمعنى– والله أعلم– واذكروا إذ نجيناكم.

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالخطاب في قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ... ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : الخطاب موجه للموجودين من بني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ ، والمراد من سلف من آبائهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] ، أي حملنا آباكم .

وقيل إن الخطاب للأبناء ، وذلك لأن نجاة الآباء كانت سببًا في ميلاد هؤلاء الموجودين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى : ﴿ نجيناكم ﴾ ، [البقرة : ٤٩] ؟

ج : المعنى – أنقذناكم وأخلصناكم ، والمعنى الأصلي ألقيناكم على نجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها هذا هو الأصل في تعريف النجاة ثم سُمِّيَ كل فائزٍ ناجيًا ، فالناجي من خرج من ضيق إلى سعة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في أي يوم أنجى الله عزَّ وجل بني إسرائيل من فرعون وأغرق فرعون وآله .. ؟

ج : كان ذلك في يوم عاشوراء ، فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « ما هذا » قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم » . فصامه وأمر بصيامه) .

(١) هو عند البخاري (حديث ٢٠٠٤) ، ومسلم (١١٣٠) .

س : فرعون عَلم ، على كل من حكم مصر وكان كافرًا من العماليق ومن غيرهم[1] ، فما هو العَلم لكل من حكم الفرس والروم والأحباش واليمنيين والهنود ؟

ج : أما من حكم الفرس كافرًا فيطيق عليه (كسرى) .

- ومن حكم الروم كافرًا فيطلق عليه (قيصر) وكذلك يطلق عليه (هرقل) .
- ومن حكم اليمن يطلق عليه (تُبَّع) وجمعه تبابعة .
- ومن حكم الحبشة يطلق عليه (النجاشي) .
- ومن حكم الهند يطلق عليه (بطليموس) ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بآل فرعون ؟

ج : هم أهل دينه من قومه وأشياعه وأتباعه[2].

* * *

س : ما معنى ﴿ يسومونكم ﴾ ، [البقرة : ٤٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – يولونكم – يدعون عذابكم – يذيقونكم يوردونكم ، وكل هذا صحيح .

وأصل السوم الدوام ، ومنه قيل للغنم سائمة لمداومتها الرعي .

ومن المعاني المتقدمة « يذيقونكم » وقال الشاعر (عمرو بن كلثوم) :

إذ ما الملك سام الناس خسفًا[3]   أبينا أن نقرَّ الخسف فينـا

* * *

(١) وكذلك كلُّ عاتٍ وظالم فرعون، ويقال: تفرعن، وهو ذو فرعنة أي: دهاء ومكر.

(٢) وتفسير الآل بتفصيل سيأتي في سورة آل عمران إن شاء الله .

(٣) الخسف المراد به هنا النقيصة والإذلال .

س : ما هو سوء العذاب الذي أنجى الله عز وجل منه بني إسرائيل ؟

ج : فُسر سوء العذاب في باقي الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالنساء في قوله تعالى : ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : من العلماء من قال إن المراد بالنساء هنا الأطفال الإناث وعبر عنهن بالنساء (مع كونهن أطفالًا) باعتبار المآل (أي باعتبار ما سيئول إليه أمر الطفلة فأمرها سيئول إلى أن تكون من النساء إذا كبرت) وليذكرهم بالاسم الذي في وقته سيستخدمن ويمتهن ، ونفس الاستحياء ليس عذابًا ولكن العذاب فيما يأتي من وراء هذا الاستحياء من امتهان ... ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا اتجه فرعون إلى قتل الأبناء واستحياء النساء ؟

ج : بعض أهل العلم يذكر لذلك سببًا وهو خوف فرعون من زوال ملكه على يد بعض بني إسرائيل ، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره[1] بإسناد صحيح إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعَد إبراهيم خليله – أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشِّفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه ففعلوا فلما ، رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عامًا كل مولودٍ ذكر فتقل أبناؤهم ، ودعوا عامًا .

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٩٨) ، وهو صحيح إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه لكن صحة المتن علمها عند الله سبحانه وتعالى ، وليس للأثر حكم الرفع فقد يكون متلقى من أهل الكتاب ، والله تعالى أعلم .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة حتى إذا كان القابل حملت بموسى[٢] .

س : ما هو المراد بالبلاء في قوله تعالى : ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بالبلاء هنا ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء وهذا هو قول جمهور العلماء ، قالوا البلاء ها هنا في الشر والقول الثاني أن المراد بالبلاء هنا نعمة فالمعنى وفي ذلكم نعمة عظيمة من ربكم إذ أنجاكم من آل فرعون ، وحجة أصحاب هذا القول أن البلاء يطلق على الخير كما يطلق على الشر ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولُيبلي المؤمنين منه بلاء حسنًا ﴾ [الأنفال : ١٧] وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقال

---

(٢) وقال القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره (محاسن التأويل) ص١٢٢ : وسبب سومه بني إسرائيل سوء العذاب من تذبيح أبنائهم – وعلى ما روي في التوراة[١] خوفه من نموهم وكثرة توالدهم ، وكانت أرض مصر امتلأت منهم ، فإن يوسف عليه السلام لما استقدم أباه وإخوته وأهلهم من أرض كنعان إلى مصر أعطاهم ملكًا في أرض مصر في أفضل الأرض كما أمره ملك مصر ، وكان لهم في مصر مقام عظيم بسبب يوسف عليه السلام فتكاثروا وتناسلوا ، ولما توفي يوسف عليه السلام والملك الذي اتخذه وزيرًا عنده انقطع ذلك الاحترام عن بني إسرائيل إلى أن قام على مصر أحد ملوكها الفراعنة فرأى نمو الإسرائيليين فقال لقومه : أضحى بنو إسرائيل شعبًا أكثر منا وأعظم فهلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من أرضنا ، فسلط عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم ، وكانوا كلما اشتد تعبدهم ازدادوا كثرة وشدة فشق على المصريين كثرتهم واختشوا منهم فجعل أهل مصر يستعبدونهم جورًا ويمررون عليهم حياتهم بالعمل الشديد بالطين واللبن وكل فلاحة الأرض ، وكل الأفعال التي استعبدوهم بها بالمشقة ، وأمر فرعون بذبح أبنائهم كما قصَّه الله تعالى ، ولم يزل الأمر في هذه الشدة عليهم حتى نجاهم سبحانه بإرسال موسى عليه السلام .

(١) الله أعلم بصحة ذلك .

سبحانه : ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ [الأعراف : ١٦٨] قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : والعرب تسمي الخير (بلاءً) ، والشر بلاءً غير أن الأكثر في الشر أن يُقال (بلوته أبلوه بلاءً) وفي الخير (أبليته أُبْليه إبلاء وبلاءً) ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

جزى الله بالإحسان ما فعَلا بكم وأبلاهُما خير البَلاَء الذي يَبْلو

فجمع بين اللغتين لأنه أَراد : فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده .

❋ ❋ ❋

س : ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .. ﴾ [البقرة : ٤٩] دليل على أن كل من باشر القتل وإن كان بأمر غيره أو تحت قهر غيره يُعد قاتلًا وضح ذلك ؟

ج : وجه قول هذا الفريق من أهل العلم هو أن آل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب ويقتلون الأبناء ويستحيون النساء وهذا كله كان بأمر فرعون ، لكن نسب الربُ سبحانه وتعالى هذه الأفعال إليهم لأنهم باشروها بأنفسهم .

● قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه ، وإن كان عن أمره غيره ففاعله المتولي ذلك هو المستحق إضافة ذلك إليه ، وإن كان الآمر قاهرًا الفاعل المأمور بذلك – سلطانًا كان الآمر أو لصًّا خارجًا أو متغلبًا فاجرًا كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم إلى آل فرعون دون فرعون وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك فعلوا ما فعلوا مع غلبته إياهم وقهره

لهم فكان كل قاتلٍ نفسًا بأمر غيره ظلمًا فهو المقتول عندنا به قصاصًا ، وإن كان قتله إياها بإكراه غيره له على قتله .

قلت : وقد أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره خلافًا للعلماء على ثلاثة أقوال لهم في هذه المسألة ، إن شئت فراجعه عند تفسير الآية الكريمة هناك ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ فرقنا بكم البحر ﴾ [البقرة : ٥٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ﴿ فرقنا بكم البحر ﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا ففرق البحر اثني عشر طريقًا فسلك كل سبط منهم طريقًا منها فذلك فرق الله عز وجل بهم البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر . انتهى .

فذهب ابن جرير رحمه الله تعالى إلى أن البحر كان فيه اثنا عشر طريقًا بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه كان طريقًا واحدا مرَّ عليه بنو إسرائيل جميعًا مع موسى عليه السلام .

والدليل يشهد للقول الثاني ، فقد قال الله تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ﴾ [طه : ٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم ﴾ [الشعراء: ٦٣] .

هذا وأصل الفلق والفصل ، ومنه فرق الشعر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ [الإسراء : ١٠٦] أي فصلناه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا سُمي البحر بحرًا ؟

ج : سُمي البحر بحرًا لاتساعه ، ومنه قول النبي ﷺ في شأن فرس

أبي طلحة : « وإن وجدناه لبحرًا »[1] أي واسع الجري .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في فضل صوم يوم عاشوراء ؟

ج : أخرج مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه حديثًا فيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال كيف تصوم .. الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : « وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله »[2] .

❋ ❋ ❋

س : الإنجاء من القوم الظالمين نعمة يتغافل عنها الكثيرون وقد ذكرنا الله عز وجل بها في جملة آيات من كتابه العزيز حتى نشكره عليها اذكر بعض هذه الآيات ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ .. وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

● وقوله تعالى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٢٠) ، وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (حديث ٢٣٠٧) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١١٦٢) وفي رواية عند مسلم : وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : « يكفر السنة الماضية » .

ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [المائدة : ١١] .

● وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

✵ ✵ ✵

س : لماذا واعد الله عز وجل موسى عليه السلام أربعين ليلة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول : أنه سبحانه واعده أربعين ليلة لإنزال التوراة عليه وأخذ الألواح أي أن التوراة ستنزل عليه بعد أربعين ليلة .

الثاني : أن هذه المواعدة كانت للتكليم (كي يكلمه ربه عز وجل) .

✵ ✵ ✵

س : متى كانت هذه المواعدة ؟ وما معنى ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : جمهور المفسرين يذكرون أن هذا بعد إغراق فرعون وآله في اليم وإنجاء موسى ومن معه من بني إسرائيل ، فبعد أن أنجاهم الله عز وجل ذكر

بعض المفسرين أن بني إسرائيل سألوا موسى (أو أن موسى وعد بني إسرائيل) كتابًا فجاءت المواعدة بذلك والله أعلم .

أما معنى ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] واعدناه انقضاء أربعين ليلة . وانظر السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الليالي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : لا أعلم دليلًا من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله ﷺ يُحدِّدُ هذه الليالي بالضبط ما هي . إلا أن جمهور المفسرين يذكرون أنها شهر ذي القعدة والعشر الأُول من ذي الحجة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

❋ ❋ ❋

س : هل كانت المواعدة أربعين ليلة من بداية الأمر ؟

ج : البعض يرى أنها كانت على مرحلتين لقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربِّه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] وفريق من أهل العلم يرى أن المواعدة أربعين ليلة كانت مجتمعة من أول الأمر وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ [الأعراف : ١٤٢] أنها كقوله تعالى : ﴿ .. فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذكرت الليالي دون الأيام في قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ ؟

ج : بعض العلماء يعوِّل في ذلك على أن عادة العرب التأريخ بالليالي لأن

أول الشهر ليلة ، واعتياد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعًا لليالي ، والله أعلم .

● وقال بعض العلماء إن الليالي أسبق من الأيام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] ، من الآية الكريمة ؟

ج : موقعها – والله تعالى أعلم – وأنتم تعلمون بظلمكم قد قامت عليكم الحجة ، ومن المعلوم أنهم في هذه الحالة التي يعبدون فيها العجل والحجة قائمة عليهم أعظم جرمًا وأكبر إثمًا من الذي يعبد على جهل لم تصله الحجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صفات موسى ﷺ الخلقية ؟

ج : كان موسى ﷺ وجيهًا كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

● وأخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضَرْبٌ رَجِلٌ[2] كأنه من رجال شنوءة » .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٣٩٤) .

(٢) أي دهين الشعر مسترسله .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : (فتح الباري ٤٩٤/٦) : قوله : « كأنه من =

س : ما هو المضمر في قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : المضمر هو إلهًا أو معبودًا فالمعنى ثم اتخذتم العجل إلهًا ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ... فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ [طه : ٨٧ ، ٨٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥١ ، ٥٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من نعم الله عز وجل عليكم أن عفا عنكم بعد اتخاذكم العجل إلهًا تعبدونه لتتجهوا إليه سبحانه بالشكر على عفوه عنكم إذ العفو يوجب الشكر عند أهل اللبِّ والعقل ، والله أعلم .

= رجال شَنُوْءة » بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو بعدها همزة ثم هاء التأنيث حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله ، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو ، قال ابن قتيبة : سمي بذلك من قولك رجل أي والتقزز[1] بقاف وزايين التباعد من الأدناس ، قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول . انتهى .

ووقع في حديث ابن عمر عند المصنف بعد (كأنه من رجال الزط) وهم معروفون بالطول والأدمة .

---

(١) كأن في الكلام سقط ، والله أعلم .

س : ما معنى ﴿ عفونا عنكم ﴾ [البقرة : ٥٢] ، وما هو الفرق بين العفو والغفران ؟

ج : عفونا عنكم معناها محونا ذنوبكم ، أما بالنسبة للفرق بين العفو والغفران أن الغفران لا يكون معه عقوبة ، بينما العفو قد يكون بعد العقوبة أو قبلها ومما يدل على أن العفو قد يكون معه بعض المؤاخذة قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، مع أن القائل عُفي عنه و لم يقتل لكنه مع ذلك لزمته الدِّية[١] والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بالكتاب وما هو المراد بالفرقان في قوله تعالى : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] ؟

ج : أما **الكتاب** فهو التوراة ، وقد نقل عدد من أهل العلم الإجماع على ذلك في هذا الموطن .

أما **الفرقان** فلأهل العلم فيه أقوال :

- منها أن **الفرقان هو التوراة** وأعيد ذكره باسمين تأكيدًا .

وذلك كقول الشاعر :

وقددت[٢] الأدِيم[٣] لِرَاهِشَيْـهِ[٤]   وألفَـى قولهـا كذبًـا ومَينًـا

فالكذب هو المين .

---

(١) إلا أن يعفو أهل القتيل عفوًا آخر عن الدية كذلك ، والله تعالى أعلم .

(٢) في سياق آخر للبيت (وقدَّمت) . أما القدُّ فهو القطع .

(٣) الأديم هو الجلد .

(٤) الراهشان : عرقان في بطن الذراع .

● وأيضًا قول الشاعر :

ألا حبـذا هنـدٌ وأرضٌ بهـا هنـدٌ   وهندٌ أتى من دونها النأى والبعدُ

فالنأى هو البعد .

● ومن العلماء من قال إن الفرقان هو النصر الذي نصر الله عز وجل به موسى عليه السلام وبني إسرائيل كما قال تعالى في يوم بدر : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ [الأنفال : ٤١] فعليه الفرقان هو الفصل بين الحق والباطل .

● ومن العلماء من يقول إن الفرقان هنا هو انفلاق البحر ، وهذا راجع إلى القول الثاني .

وسيأتي للفرقان مزيد من التفسير في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم .

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

بارئكم – لن نؤمن لك – جهرة – الصاعقة – ظللنا عليكم الغمام – المن – السلوى ؟

ج :

الكلمة	معناها
بارئكم	خالقكم ، والبريَّة الخلق
لن نؤمن لك	لن نصدقك – لن نتابعك
جهرة	عيانًا (يكشف ما بيننا وبينه) علانية[1]

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن (٩٥٠) ، عن قتادة قال (جهرة) عيانًا .

الكلمــة	معناهــا
الصاعقة	قيل : هي نار ، وقيل : رجفة (ودليله : فلما أخذتهم الرجفة) : وقيل الموت
ظللنا عليكم الغمام	الغمام هو السحاب ، وظللنا عليكم الغمام جعلناه فوقكم كالظلة تقيكم حر الشمس مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من الطعام والشراب من غير تعب ولا كد ، وقيل : هو طعام كالعسل
السلوى	طائر السُّماني ، وهو طائر طيب اللحم

❋ ❋ ❋

س : هل القوم يدخل فيهم النساء ؟

ج : كثير من أهل العلم يرون أن القوم مختصة بالرجال لأنهم هم الذين يقومون بالأمور ، واستدلوا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ﴾ [الحجرات : ١١] واحتجوا أيضًا بقول زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقومٌ آل حصن أم نساء

وقول الشاعر الآخر :

قومي هم قتلوا أُميم أخي فإذا رميتُ يُصيبني سهمي

واحتجوا أيضًا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾ [الأعراف : ٨٠ ، ٨١] فالمراد بالقوم الرجال ؛ والله أعلم .

● واعترض على هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ [نوح : ١] ونوح عليه السلام كان مرسلًا للرجال والنساء ولما كذبته امرأته كفرت[١] ، وقال مؤمن آل فرعون : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ... ﴾ [غافر : ٤١] لكن أجاب أهل القول الأول على هذا بأن قالوا : إن القوم في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة ... ﴾ [غافر : ٤١] يدخل فيه الرجال والنساء بلا شك لكن دخول النساء فيه من باب الاستتباع أي لأنهم تبع للرجال فأطلق على الرجال والنساء قوم تغليبًا[٢] . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ...﴾ [التحريم : ١٠].

(٢) ولقائل أن يقول إن القوم يدخل فيها الرجال والنساء ويجيب على قوله تعالى : =

س : هل اعترف بنو إسرائيل أنهم أخطأوا بعبادتهم للعجل ؟

ج : نعم اعترفوا بذلك ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى بارئكم ؟ ولماذا عُبِّر بهذه الصفة من صفات الله عز وجل في هذا المقام ؟

ج : بارئكم خالقكم ، وعُبِّر بهذه الصفة – والعلم عند الله تعالى – لبيان عظيم جرمهم وكبر ذنبهم ، فالمعنى توبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض أهل العلم يقولون هنا محذوف لا بد أن يقدر في قوله تعالى : ﴿ اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ٥٤] فما هو هذا المحذوف الذي يُقدر ؟

ج : المحذوف هو (فامتثلتم) فالمعنى اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فامتثلتم ما أمركم الله به ، فتاب عليكم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف كانت توبة الله عز وجل على بني إسرائيل ؟

ج : ظاهر الكتاب العزيز فيه ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم

= ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ... ﴾ [الحجرات : ١١] بأن هذا من باب عطف الخاص على العام لكن الأول عليه أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ٥٤] وهذا الظاهر يفيد أنهم أمروا بقتل أنفسهم ، لكن لما كان من المعلوم أن النفس في كثير من الأحيان تُطلق ولا يراد بها نفس الشخص المخاطب كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] أي لا يلمز بعضكم بعضًا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] أي ظنوا بإخوانهم خيرًا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] فعلى هذا يحتمل – وهو احتمال قوي جدًّا – أن يكون قوله : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤] معناه فليقتل بعضكم بعضًا[1] ، ويتأيد هذا بأمور منها :

● قول القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحدٍ من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده .

● أخرج ابن أبي حاتم في التفسير[2] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[3]:... فقال الله تبارك وتعالى إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والدٍ أو ولدٍ فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كان قد خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أُمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول .

● وأخرج ابن جرير الطبري رحمه الله وابن أبي حاتم رحمه الله[4]

---

(١) أثر رقم (٥٣١) .

(٢) وبعض العلماء يقولون : يقتل من لم يعبد العجل مَن عبد العجل ، والله أعلم .

(٣) هو جزء من حديث الفتون .

(٤) أخرجه ابن جرير (أثر ٩٣٥) ، وابن أبي حاتم (أثر ٥٣٢) ، وهذا رجاله ثقات إلا أن حجاج بن محمد وإن كان ثقة إلا أنه تغير لما قدم بغداد – والله أعلم .

في تفسيريهما من طريق حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدًا قالا قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا ، لا يحنُّ رجل على رجلٍ قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل ، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه .

***

س : ما هو المراد بالصاعقة في قوله تعالى : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ [البقرة : ٥٥] ؟

ج : قيل إن الصاعقة هي الموت وقيل إن الصاعقة هي الرجفة لما ورد في قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي .... ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

● وقيل إن الصاعقة هي نار .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : وأصل الصاعقة كل أمرٍ هائل رآه المرءُ أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب ، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتًا كان ذلك أو زلزلة أو رجفًا ، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقًا وهو حي غير ميت قول الله عز وجل : ﴿ وخرَّ موسى صعقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] يعني مغشيًّا عليه ومنه قول جرير بن عطية :

وهل كان الفـرزدق غير قـردٍ ... أصابته الصواعق فاستـدارا[1]

فقد عُلم أن موسى لم يكن – حين غشي عليه وصعق – ميِّتًا لأن الله

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وعزا هذا البيت لجرير في ديوانه (٢٨١) والنقائض (٢٥١) وبعده في هجاء الفرزدق وهو من أشده . =

تعالى أخبر عنه أنه لما أفاق قال ﴿ تبت إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولا شبه جريرُ الفرزدق ، وهو حي بالقرد ميتًا ، ولكن معنى ذلك ما وصفنا .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة: ٥٥] كيف أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ؟

ج : قال بعض العلماء صُعق بعضهم والبعض الآخر ينظر ، ثم بُعث الذين صعقوا ، وصعق الآخرون ثم بُعثوا فقال الله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لعلكم تشكرون .﴾[1] [البقرة : ٥٥ ، ٥٦]

● وقال بعضهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم ، يقول أخذتكم الصاعقة عيانًا جهارًا وأنتم تنظرون إليها .

وهذا الأخير قول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى .

= وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدار قوم   رحلت بخزيةٍ وتركتَ عارًا

وما أشد ما قال ! وقال في النقائض في شرح البيت « ولغته – يعني جريرًا – الصواقع . فاستدار أي استدار إنسانًا بعد أن كان قردًا[1] » وكأنه أخطأ المعنى فإنه أراد مسخ قردًا على هيئته التي كان عليها قبل أن يكون إنسانًا . فقوله (استدار) عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه) ومن ذلك قوله ﷺ في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» أي عاد كما بدأ، فهو يقول: كان الفرزدق في أصل نشأته قردًا ثم تحوَّل إنسانًا فلما أصابته صواعق شعري عاد كما كان في أصل نشأته قردًا صريحًا .

(١) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (٥٤٠) ، بإسناد صحيح إلى عروة بن رويم قال سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخبرهم أنهم لن يطيقوا ذلك فأبوا فسمعوا من كلام الله فصعق بعضهم ، وبعضهم ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء ، وفي رواية ثم بعُث الذين صعقوا وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ .

---

(١) لا يعني ما يعنيه الملاحدة من أن الإنسان أصله قرد ، فالله سبحانه يقول : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] ويقول سبحانه : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ٥ الذي خلقك فسواك فعدلك ... ﴾ [الانفطار : ٦ ، ٧] ويقول النبي ﷺ : « خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا ... » ولكن قول جرير من أقوال الشعراء الظلمة الذي خرج هجاؤهم إلى القبح .

س : هل مات الإسرائيليون من الصاعقة ؟

ج : نعم ماتوا من الصاعقة لقوله تعالى : ﴿ ..ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يذكر أن موسى قام يدعو ربه عز وجل لما صعق من قومه مَن صُعق فهل من دليل على ذلك ؟

ج : أما الدليل على ذلك فهو قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ... ﴾ [الأعراف : ١٥٥ ، ١٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل يؤخذ من الآية الكريمة ﴿ ..فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ... ﴾ [البقرة : ٥٤] ، مشروعية قتال المرتدين ؟

ج : قتال المرتدين مشروع لكنه لا يؤخذ من هذه الآية الكريمة فالذي في هذه الآية الكريمة حكم خاص ببني إسرائيل ثم أنهم أيضًا كانوا قد تابوا قبل أن يؤمروا بقتل بعضهم البعض على ما قدمناه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : متى سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل

جهرة ، وما هو السبب الحامل لهم على ذلك ؟

ج : بعض العلماء يذكرون أن ذلك حدث لما تاب الإسرائيليون من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلًا يخرجون معه لميقات ربه عز وجل حتى يعلموا يقينًا أنهم قد تيب عليهم[1] وذكر البعض من العلماء لسؤالهم رؤية الله جهرة أسبابًا منها أنهم أرادوا أن يتأكدوا أن الذي يكلمهم هو الله سبحانه وتعالى ، ولكن ليس معنا نص من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ يوضح سبب ذلك[2] ، ومن ثم قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بعد أن أورد أسبابًا لذلك نقلها بإسناده إلى بعض أهل العلم : ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى ، تقوم به حجة فيُسلم له ، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فإذ كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يُقال : إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : ﴿ يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] كما أخبر عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخًا لهم في كفرهم بمحمد ﷺ ، وقد قامت حُجَّته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك ، وقد قال الذين

---

(١) وسياق آيات سورة الأعراف يشهد لشيء من ذلك ، قال تعالى : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين * والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم * ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون * واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ... ﴾ [الأعراف : ١٥٢ - ١٥٥] ، وهذا ليس بصريح كذلك .

(٢) إلا أنه من المعروف أن من صفات بني إسرائيل التعنت .

أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقًّا كما قال .

❋ ❋ ❋

س : من الأدلة التي تساق في كتاب الله عز وجل لإثبات البعث إحياء الله عز وجل لبعض الأنفس بعد موتها ، اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : من أمثلة ذلك ما يلي :

● قوله تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ۞ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٥ ، ٥٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ۞ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ..أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال

أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

● ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله ، وكما قال الله سبحانه عن عيسى : ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ [آل عمران : ٤٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وإذ تخرج الموتى بإذني ... ﴾ [المائدة : ١١٠] .

* * *

س : هل يرى الناس ربهم عزَّ وجل في الدنيا ؟

ج : لن يرى الناس ربهم عز وجل في الدنيا ، وقد قال الله عز وجل لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام – لما سأله الرؤية – : ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وقال النبي ﷺ : « تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه عز وجل حتى يموت »[1] .

* * *

س : هل سؤال رؤية الرب عز وجل في الدنيا جائز ؟

ج : الذي يظهر أنه لا يجوز فقد سأل موسى عليه السلام ربه فقال : ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ [الأعرافْ : ١٤٣] فلم يُجب إلى ذلك ، فقال الله تعالى له : ﴿ لن تراني ﴾[2] ولما علق بنوا إسرائيل إيمانهم لموسى على رؤية الله

---

(١) أخرجه مسلم ص (٢٢٤٥) من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ .

(٢) وقد يقول قائل إن موسى عليه السلام لم يعتب عليه الله عز وجل إذ سأله ذلك ، فالإجابه على هذا أن الله قال له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، فهذا يحمل نهيًا عن سؤال الرؤية ثم الآيات التي استدللنا بها أعلاه يُفهم منها المنع ، والله أعلم .

عز وجل جهرة أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، وأيضًا :

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ [النساء : ١٥٣] .

● وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١] فظهر بهذه الأدلة المنع من سؤال رؤية الرب عز وجل في الدنيا ، لكن يسأل العبد ربه أن يراه في الآخرة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ [البقرة : ٥٤] يرجع إلى ماذا ؟

ج : يرجع الضمير إما إلى القتل أي أن قتلكم أنفسكم يا بني إسرائيل خير لكم عند بارئكم ، أو يرجع إلى التوبة أي توبتكم خير لكم عند بارئكم ، أو يقال : توبتكم بقتل أنفسكم خير لكم عند بارئكم[1] .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُردُّ على من قال : إن الرب لا يرى يوم القيامة لأن (لن) تفيد التأبيد، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣]؟

ج : الجواب أن لن لا تفيد التأبيد في كل الأحوال ، وهي وإن أفادته في بعض الأحوال لا تفيده في هذا الموطن في الآخرة لورود الأحاديث الصريحة برؤية الرب عز وجل في الآخرة[2] .

---

(١) وهذا كما تقدم خاص ببني إسرائيل .

(٢) منها قول النبي ﷺ : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة .. » ، وسيأتي في بابه إن شاء الله .

ومن الأدلة على أن لن لا تفيد التأبيد قوله تعالى في شأن اليهود : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [الجمعة : ٦ ، ٧] فقال تعالى : ﴿ **ولا يتمنونه أبدًا** ﴾ مع أن اليهود سيتمنون الموت يوم القيامة ، فهم داخلون في جملة الكفار الذين يقولون : ﴿ **يا مالك ليقض علينا ربك** ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى الغمام ؟

ج : الغمام هو السحاب[1] ، وسمي السحاب غمامًا لأنه يغم السماء أي يغطيها ويواريها ويسترها ، ومنه قولهم غُمَّ الهلال إذا غطاه الغيم ، فالغمام كل ما غمَّ السماء فغطاها من سحاب وقتام وكل مغط فهو غمام ، والله تعالى أعلم .

***

س : أين كان تظليل الغمام على بني إسرائيل ؟

ج : كان ذلك في التيه الذي ضربه الله عز وجل عليهم وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ...فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ [المائدة : ٢٦] ، لكن أين كان هذا التيه ، الله تعالى أعلم ، ولم نقف على خبر ثابت يوضح لنا أين كان .

وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس : .. ثم ظلل عليهم الغمام في التيه .

***

(١) وخصه بعضهم بالسحاب الأبيض .

س : ما هو المن ؟ وما هي السلوى ؟

ج : أما السلوى فأكثر العلماء على أنها طائر السُّماني ، وهو طائر طيب اللحم ، أما المن ففيه أقوال :

● منها أنه طلٌّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلًا ويجفف جفاف الصمغ وقيل : هو الترنجبين .

● ومنها أنه العسل .

● ومنها أنه شراب حلو مثل العسل .

● ومنها أنه خبز الرقاق .

● وقيل : إنه مصدر يعم جميع ما مَنَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ولا عمل ولا كد طعامًا كان أو شرابًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » ؟ وما معناه ؟

ج : الحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ وقد أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » ، وفي بعض روايات مسلم : « الكمأة من المن الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين » ، وفي رواية أخرى : « الكمأة من المن الذي أنزل الله عز وجل على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين » .

أما الكمأة فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]: والكمأة نبات لا

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٨ ، ٤٦٣٩ ، ٥٧٠٨) ، ومسلم حديث (٢٠٤٩) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) فتح الباري (١٠/١٧٣) .

ورق لها ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تُزرع ، قيل : سميت بذلك لاستتارها ، يُقال : كمأ الشهادة إذا كتمها ، ومادة الكمأة من جوهرٍ أرضي بخاري يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع متجسدًا ، ولذلك كان بعض العرب يسميها جدري الأرض تشبيهًا لها بجدري مادة وصورة ، لأن مادته رطوبة دموية تندفع غالبًا عند الترعرع وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة ومشابهتها له في الصورة ظاهر .

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة : أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : الكمأة جدري الأرض ، فقال النبي ﷺ : «الكمأة من المن» الحديث . وللطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال : كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ ، فامتنع قوم من أكلها وقالوا : هي جدري الأرض ، فبلغه ذلك فقال : « إن الكمأة ليست من جدري الأرض ، ألا إن الكمأة من المن » والعرب تسمي الكمأة أيضًا بنات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض . وهي كثيرة بأرض العرب ، وتوجد بالشام ومصر ، فأجودها ما كانت أرضه رملة قليلة الماء ، ومنها صنف قتال يضرب لونه إلى الحمرة . وهي باردة رطبة في الثانية رديئة للمعدة بطيئة الهضم ، وإدمان أكلها يورث القولنج والسكتة والفالج وعسر البول ، والرطب منها أقل ضررًا من اليابس ، وإذا دفنت في الطين الرطب ثم سلقت بالماء والملح والسعتر وأُكلت بالزيت والتوابل الحارة قل ضررها ، ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها ، فلذلك كان ماؤها شفاء للعين .

قوله : (من المن) قيل في المراد بالمن ثلاثة أقوال : أحدها : أن المراد أنها من المن الذي أنزل على بني إسرائيل ، وهو الطلُّ الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوًا ، ومنه الترنجبين فكأنه شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج. قلت: وقد تقدم بيان ذلك واضحًا في تفسير سورة البقرة، وذكرت من زاد في متن هذا الحديث « الكمأة من المن الذي

أنزل على بني إسرائيل » . والثاني : أن المعنى أنها من المن الذي امتن الله به على عباده عفوًا بغير علاج ، قاله أبو عبيد وجماعة ، وقال الخطابي : ليس المراد أنها نوع من المن أنزل على بني إسرائيل ، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر ، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي ، فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فيقع على الشجر ، فيتناولونه . ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعًا ، منها ما يسقط على الشجر ، ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه ، وهذا هو القول الثالث وبه جزم الموفق عبد اللطيف البغدادي ومن تبعه فقالوا : إن المن الذي أنزل على بني إسرائيل ليس هو ما يسقط على الشجر فقط بل كان أنواعًا مَنَّ الله عليهم بها من النبات الذي يوجد عفوًا ، ومن الطير التي تسقط عليهم بغير اصطياد ، ومن الطلّ الذي يسقط على الشجر . والمن مصدر بمعنى المفعول أي ممنون به ، فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب كان مَنًّا محضًا ، وإن كانت جميع نعم الله تعالى على عبيده مَنًّا منه عليهم ، لكن خص هذا باسم المن لكونه لا صُنع فيه لأحد ، فجعل سبحانه وتعالى قوتهم في التيه الكمأة وهي تقوم مقام الخبز ، وأدمهم السلوى وهي تقوم مقام اللحم ، وحلواهم الطل الذي ينزل على الشجر ، فكمل بذلك عيشهم . ويشير إلى ذلك قوله ﷺ : « من المن » فأشار إلى أنها فرد من أفراده ، فالترنجبين كذلك فرد من أفراد المن ، وإن غلب استعمال المن عليه عرفًا اهـ . ولا يعكر على هذا قولهم : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ؛ لأن المراد بالوحدة دوام الأشياء المذكورة من غير تبدل وذلك يصدق على ما إذا كان المطعوم أصنافًا لكنها لا تتبدل أعيانها .

قوله : (وماؤها شفاء للعين) كذا للأكثر وكذا عند مسلم ، وفي رواية المستملي : « من العين » أي شفاء من داء العين ، قال الخطابي : إنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة ؛ لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ،

ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر ، والعكس بالعكس . قال ابن الجوزي : في المراد بكونها شفاء للعين قولان : أحدهما : أنه ماؤها حقيقة ، إلَّا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفًا في العين ، لكن اختلفوا كيف يصنع به على رأيين : أحدهما : أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها ، حكاه أبو عبيد ، قال : ويصدق هذا الذي حكاه أبو عبيد أن بعض الأطباء قالوا : أكل الكمأة يجلو البصر ، ثانيهما : أن تؤخذ فتشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ، ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها ، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة ويبقى النافع منه ، ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع ، وقد حكى إبرهيم الحربي عن صالح وعبد الله ابني أحمد بن حنبل أنهما اشتكت أعينهما فأخذا كمأة وعصراها واكتحلا بمائها فهاجت أعينهما ورمدا . قال ابن الجوزي : وحكى شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي أن بعض الناس عصر ماء كمأة فاكتحل به فذهبت عينه . والقول الثاني : أن المراد ماؤها الذي تنبت به ، فإنه أول مطر يقع في الأرض فتربى به الأكحال حكاه ابن الجوزي عن أبي بكر بن عبد الباقي أيضًا ، فتكون الإضافة إضافة الكل لا إضافة جزء . قال ابن القيم : وهذا أضعف الوجوه . قلت : وفيما ادعاه ابن الجوزي من الاتفاق على أنها لا تستعمل صرفًا نظر ، فقد حكى عياض عن بعض أهل الطب في التداوي بماء الكمأة تفصيلًا ، وهو إن كان لتبريد ما يكون بالعين من الحرارة فتستعمل مفردة ، وإن كان لغير ذلك فتستعمل مركبة ، وبهذا جزم ابن العربي فقال : الصحيح أنه ينفع بصورته في حال ، وبإضافته في أخرى ، وقد جُرب ذلك فوجد صحيحًا . نعم جزم الخطابي بما قال ابن الجوزي فقال : تربى بها التوتياء وغيرها من الأكحال ، قال : ولا تستعمل صرفًا فإن ذلك يؤذي العين . وقال الغافقي في « المفردات » : ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به ، فإنه يقوي الجفن ، ويزيد الروح الباصر حدة

وقوة ، ويدفع عنها النوازل . وقال النووي : الصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقًا فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه ، قال : وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا فشفي وعاد إليه بصره ، وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبد الدمشقي صاحب صلاح ورواية في الحديث ، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركًا به فنفعه الله به . قلت : الكمال المذكور هو كمال الدين بن عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر يعرف بابن عبد بغير إضافة الحارثي الدمشقي من أصحاب أبي طاهر الخشوعي ، سمع منه جماعة من شيوخ شيوخنا ، عاش ثلاثًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة قبل النووي بأربع سنين . وينبغي تقييد ذلك بمن عرف من نفسه قوة اعتقاد في صحة الحديث والعمل به كما يشير إليه آخر كلامه ، وهو ينافي قوله أولًا مطلقًا ، وقد أخرج الترمذي في جامعه بسند صحيح إلى قتادة قال : حدثت أن أبا هريرة قال : أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسًا أو سبعًا فعصرتهن فجعلت ماءهن في قارورة فكحلت به جارية لي فبرئت . وقال ابن القيم : اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة يجلو العين ، منهم المسبحي وابن سينا وغيرهما . والذي يزيل الإشكال عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها من المخلوقات خلقت في الأصل سليمة من المضار ، ثم عرضت لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الأسباب التي أرادها الله تعالى ، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله ، وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة ، واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ، ويدفع الله عنه الضرر بنيته ، والعكس بالعكس ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا قيل في المن والسلوى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ٥٧] مع أن الأطعمة الحلال كلها من رزق الله سبحانه وتعالى ؟

ج : هذا – والله أعلم – ليبين أنه أتى إليهم من غير جهد ولا مشقة .

❋ ❋ ❋

س : هل بدَّل كل بني إسرائيل القول الذي كلِّفوا به ؟

ج : الظاهر أن منهم من بدَّل ومنهم من لم يبدل بل امتثل الأمر ، والشاهد على ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم .. ﴾ [الأعراف : ١٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [البقرة : ٥٧] واذكر بعض الآيات وحديثًا في معناها ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أنهم ما ظلمونا بمعصيتهم لنا وإنما ظلموا أنفسهم بمقابلتهم النعم بالمعاصي ، فطاعتهم لنا لا تنفعنا ، ومعصيتهم لنا لا تضرنا إنما كل ذلك إما لهم وإما عليهم كما قال الله سبحانه : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ﴾ [يونس : ٢٣] ، وكما قال سبحانه في الحديث القدسي[1] « ... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ....» الحديث ، وفيه أيضًا : « ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت =

وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا » .

❋ ❋ ❋

= الظلم على نفسي[1] وجعلته بينكم محرمًا . فلا تظالموا[2]. يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته[3]. فاستهدوني أهدكم يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته . فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي ! كلكم عارٍ إلا من كسوته . فاستكسوني أكسكم . يا عبادي ! إنكم تخطئون[4] بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا . فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم . ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته . ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم . ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

---

(١) (إني حرمت الظلم على نفسي) قال العلماء : معناه تقدست عنه وتعاليت . وأصل التحريم في اللغة المنع . فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا ، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء .

(٢) (فلا تظالموا) أي : لا تتظالموا . والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا .

(٣) (كلكم ضال إلا من هديته) قال المازريُّ : ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال ، إلَّا من هداه الله تعالى . وفي الحديث المشهور : « كل مولود يولد على الفطرة » . فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا . وهذا الثاني أظهر .

(٤) (إنكم تخطئون) الرواية المشهورة : تُخطئون ، بضم التاء . وروي بفتحها وفتح الطاء . يقال : خطىء يخطأ إذا فعل ما يأثم به ، فهو خاطىء . ومنه قوله تعالى : ﴿ استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ﴾ [يوسف : ٩٧] . ويقول في الإثم أيضًا : أخطأ . فهما صحيحان . من التعليق على مسلم .

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

حطة – رجزا ؟

ج :

الكلمة	معناها
حطة	دخولنا الباب سجدًا حطةٌ يحط الله بها خطايانا (فحطة مصدر حط يحط حطة)
رجزًا	عذابًا ، وقيل : إن العذاب هو الطاعون ، والله أعلم .

* * *

س : ما هي القرية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن هذه القرية ، **هي بيت المقدس** ودليلهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسين ﴾ [المائدة : ٢١ - ٢٦] .

فأُمِرُوا بدخول الأرض المقدسة فامتنعوا فضرب عليهم التيه ، وظُلِّل عليهم الغمام وأُنزل عليهم المن والسلوى في هذا التيه وبعدها قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية .... ﴾ [البقرة : ٥٨] ، فدل ذلك على أنها الأرض المقدسة ولكن هل هي بيت المقدس ؟ قال ذلك الجمهور .

● ومن العلماء من يقول إنها **(أريحاء)** ، واحتج أصحاب هذا القول على أنه لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس ؛ لأن الفاء في قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ٥٩] تقتضي التعقيب فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى عليه السلام ، لكن موسى مات في أرض التيه[1] ولم يدخل بيت المقدس فثبت أنه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس ، وأجاب الأولون بأنه ليس في هذه الآية أنا قلنا لهم ادخلوا هذه القرية على لسان موسى أو على لسان يوشع ، وإذا حملناه على لسان يوشع زال الإشكال .

---

(١) ومما يدل على أن موسى عليه السلام لم يمت في الأرض المقدسة ما أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٣٩ ، ٢٤٠٧) ، ومسلم (ص١٨٤٣) (واللفظ له) من طريق معمر عن همام قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام » . فقال له : أجب ربك . قال : « فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها » . قال : « فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت . وقد فقأ =

● وثمَّ قول ثالث (تالف لا دليل عليه البتة) وهو أن هذه القرية (مصر) . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا سميت القرية بالقرية ؟

ج : سميت القرية بالقرية لاستقرار الناس فيها وتطلق القرية — في الأصل — على مجموعة البيوت المستقرة (سواء كانت قرية بالمعنى الاصطلاحي الموجود الآن أم كانت مدينة) ، وقد أطلق الله سبحانه وتعالى على مكة قرية فقال سبحانه : ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ [الشورى : ٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ [محمد : ١٣] .

= عيني » . قال : « فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شعرة . فإنك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر » . قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق ، عند الكثيب الأحمر » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٣/٢٤٦) : ويحتمل أنْ يكون سر ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم ، ولم يدخلها معه أحدٌ ، ممن امتنع أولًا أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء ، ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا فكأن موسى لمَّا لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طَلب القرب منها ؛ لأن ما قارب الشيء يُعطى حكمه .. ، والله أعلم .

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمرت بقريةٍ تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس[2] كما ينفي الكير خبث الحديد » . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : متى قيل لهم : ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : قيل لهم ذلك بعد خروجهم من التيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى سجدًا في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : للعلماء في ذلك أقوال منها :

- ركعًا[3] .
- ومنها منحنين كالراكعين .
- ومنها متواضعين شاكرين خاضعين متذللين ، والحامل على هذا الانصراف عن ﴿ سجدًا ﴾ هو أنه لا يتيسر لأحد المشي وهو ساجد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أمروا بدخول الباب سُجدًا ؟

ج : الله أعلم بالحكمة من وراء ذلك ، ولعله ابتلاء من الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٧١) ، ومسلم (حديث ١٣٨٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٠٥/٤) : المراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده .

(٣) صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن جرير الطبري (١٠٠٧ ، ١٠٠٨) وابن أبي حاتم (التفسير رقم ٥٨٠) قال : **أمروا أن يدخلوا ركعًا** (وفي رواية من باب صغير) .

لهم[1] ثم إن بعض العلماء يشير إلى أن هذا من مستلزمات شكر النعمة فلما أنعم الله عز وجل عليهم بدخول الأرض المقدسة بعد التيه الذي ضربه الله عز وجل عليهم أربعين سنة – لزمهم شكر هذه النعمة بأن يدخلوا الباب (باب القرية) متواضعين خاضعين ذليلين لله عز وجل شاكرين لنعمائه عليهم ، وسجود الشكر مشروع في شريعتنا[2] وقد سجده النبي ﷺ وسجده أصحابه[3] ، وعند الفتح أيضًا صلى النبي ﷺ ثمان ركعات بمكة[4] ، والله تعالى أعلم وعند دخول الناس في دين الله أفواجًا يشرع التسبيح بحمد الرب سبحانه والاستغفار كما في قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ [النصر : ١ – ٣] فرأى بعض الصحابة أن المراد كثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه نُعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها[5] ، وأقرَّه على ذلك عمر ، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك ونُعي إليه روحه الكريمة أيضًا .

---

(١) وبعض العلماء يقولون : (أمروا أن يخضعوا لله عند الفتح بالقول والفعل) .

(٢) وقد قال النبي ﷺ في شأن سجدة (ص) كما عند النسائي : « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا » .
وقد سجد النبي ﷺ في (ص) كما عند البخاري (مع الفتح ٥٤٤/٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرج أبو داود بإسناد حسن لشواهده (٢١٦/٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا جآءه أمر سرورٍ أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٦٩/١) ومسلم (٢٨/٤ ، ٢٣١/٥ مع النووي) من حديث أم هانىء رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) أخرج البخاري (حديث ٤٩٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رئيتُ أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم ، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم =

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ﴿ البقرة : ٥٨ ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● حطة مغفرة[(١)] ، والمعنى : دخولنا الباب سجد حطة أي مغفرة يغفر الله عز وجل بها عنا خطايانا .

● وقيل : معناها لا إله إلا الله .

● وقيل : حط عنا خطايانا .

● وقيل : أُمروا أن يستغفروا .

● وحطةٌ بالرفع أي مسألتنا حطة .

● وهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى واحد ألا وهو أنهم أمروا أن يقولوا قولًا يحط الله عز وجل بهم عنهم خطاياهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= أعلم منها إلا ما تقول .

● وقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى ما يؤيد وجهة الصحابة الذين سألهم عمر فأخرج مسلم رحمه الله (ص٣٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُكثر من قول : « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » قالت : فقلت : يا رسول الله أراك تكثر من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، قال : « خبَّرني ربي أني سأرى علامةً في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فتح مكة ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ » [النصر : ١ - ٣] .

(١) أخرج هذا ابن جرير الطبري رحمه الله (١٠١٢) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٨٤) قال : مغفرة استغفروا .
وفي رواية لابن جرير عن ابن عباس (أمروا أن يستغفروا) .

س : قوله تعالى : ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ [البقرة : ٥٨] سنزيدهم من ماذا ؟

ج : سنزيدهم إحسانًا إلى إحسانهم ، وقيل : نزيدهم ثوابًا ، والله أعلم .

* * *

س : كيف بدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ؟

ج : بدلًا من أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا حطة دخلوا يزحفون على أستاههم قائلين حبة في شعرة ، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « قيل لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ فبدَّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة » .

وقد أخرج الطبري (١٠٢٥) ، وابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٥٩٤) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : أمروا أن يدخلوا ركعًا ويقولوا حطة قال : أمروا أن يستغفروا ، قال : فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزءون فذلك قوله : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ﴾ [البقرة : ٥٩] وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما ، والمرفوع إلى رسول الله ﷺ أولى أي : أنهم قالوا : حبة في شعرة ، إلا أن يجمع بين الروايتين فيقال : بعضهم قال : حنطة وبعضهم قال : حبة في شعرة أو بأن يقال : إنهم جميعًا قال هذا وذاك[2] والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤١) ، ومسلم (حديث ٣٠١٥) .

(٢) وقد وقع في رواية للبخاري (٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .... أنهم قالوا : حِطة حبَّة في شعرة .

س : ما معنى ﴿ رجزًا ﴾ [البقرة : ٥٩] ؟

ج : معناها : عذابًا ، وقيل الرجز هنا هو الطاعون .

وقيل الرجز الغضب ، وقيل العقوبة ، وكلها يرجع إلى معنى العذاب ، وأما من قال إن المراد بالرجز هنا الطاعون فحجته ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون رجسٌ(٢) أُرسل على طائفة من بني إسرائيل – أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » .

فهذا يقوي رأي من قال : إن المراد بالعذاب هنا (أي المراد بالرجز) هو الطاعون ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : المعاصي سبب لنزول المصائب وزوال النعم اذكر عدة أدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذين قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : ١١٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٢٢١٨) .
(٢) وفي رواية : « رجزٌ » .

● وقوله تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيْروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ [سبأ : ١٥ - ١٩] .

● وقال سبحانه في شأن أصحاب القرية ﴿ ... إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم : ١٧ - ٢٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● وقال عز وجل : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : ١١] .

● وقال عز وجل : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا .. ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل

إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

● وقال تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾ ....إلى قوله تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ [القصص : ٧٦ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نهرًا * وكان له ثمر ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها .... ﴾ [الكهف : ٣٢ - ٤٢] .

● وكذلك فرعون وقومه لما تمردوا وتجبروا وبغوا في الأرض قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين ﴾ [الزخرف : ٥٥ ، ٥٦] .

● وقال سبحانه في شأنهم أيضًا : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء : ٥٧ - ٥٩].

وكذلك كل الأمم الظالمة من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين

والمؤتفكات وغيرهم من أهل البغي والظلم والفساد .

● ومن عصى من المسلمين أيضًا حل عليه شؤم معصيته : (إلا أن يسترها الله سبحانه ويغفرها) فأصحاب نبينا ﷺ لما خالفوا أمر نبيهم ﷺ يوم أحد حلَّ بهم ما حل من قتل وجراح وذهاب غنيمة وجرح نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشج رأسه وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام[1] .

● وآدم ﷺ أسكنه الله عز وجل الجنان وقال له : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ [طه : ١١٨ ، ١١٩] فلما وسوس له الشيطان وأغواه وجرأه على الأكل من الشجرة باليمين الكاذبة[2] والوعود الباطلة الذاهبة[3] فلما أكل منها آدم أُخرج عليه السلام من الجنة وطفق هو وزوجه يخصفان عليهما من ورق الجنة وغوى آدم عليه السلام ، لكن تفضل الله عز وجل عليه بالهداية والاجتباء كما قال سبحانه : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

* * *

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في سورة آل عمران .
(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [الأعراف : ٢١] .
(٣) كما في قوله : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

س : لماذا كرر لفظ الذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ فبدّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] ؟ واذكر أمثلة للتكرير ؟

ج : كرر لفظ الذين ظلموا تأكيدًا لظلمهم وإلصاقًا للظلم بهم أما أمثلة التكرير لتغليظ الفعل وتأكيده فهي كثيرة في الكتاب العزيز منها قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] فقال في الآية الكريمة : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم ﴾ ولم يقل فويل لهم مما كتبوا . وكرر الويل تغليظًا لفعلهم وتقبيحًا لأمرهم .

ومنه أيضًا قول الخنساء :

تعرقنــي الدهــر نهسًا وحــزًّا وأوجعني الدهر قرعًا وغمزًا[1]

وهذا كله تكرير بعد تمام الكلام ، وقد يأتي التكرير قبل تمام الكلام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الحاقة * ما الحاقة ﴾ [الحاقة : ١ ، ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ [الواقعة : ٨] فكررت الحاقة تعظيمًا لشأنها وبيانًا لهولها ، وكرر ذكر أصحاب الميمنة تفخيمًا لما ينالهم من الثواب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز رواية الحديث بالمعنى ؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلى المنع مستدلين بأدلة منها :

١ – أن الله عز وجل ذم بني إسرائيل وأنزل عليهم رجزًا من السماء لما بدلوا ما أمرهم به وقالوا : حبة في شعرة وقد أُمروا أن يقولوا : حطة .

٢ – قول النبي ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه

---

(١) تريد أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغارها ، ومن المعلوم أن الدهر لا يفعل ذلك بل الأمور كلها من عند الله سبحانه وتعالى .

غيره .. »[1].

٣ - رد النبي ﷺ على البراء بن عازب رضي الله عنهما لما علمه النبي ﷺ الذكر الذي يُقال عند النوم قال له فيه : « ... ونبيك الذي أرسلت » فقال البراء لما عاد الحديث على رسول الله ﷺ يستذكره : « ... وبرسولك الذي أرسلت » فقال له النبي ﷺ : « لا ، قل وبنبيك الذي أرسلت »[2] بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى جواز رواية الحديث بالمعنى إذا كان الذي يرويه عالمًا بالألفاظ ومدلولاتها فاهمًا لمعانيها متقنًا لما يحيل المعنى عن معناه ، كل هذا بشرط المطابقة للمعنى بكماله ، واستثنى هذا الفريق من العلماء الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها ، فهذه الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها تنقل كما هي ، والله تعالى أعلم .

وأجاب هذا الفريق من العلماء على استدلالات الفريق الأول بالآتي :

قالوا : إن قول بني إسرائيل : (حبة في شعرة) لم يكن من باب الرواية بالمعنى ولا السمع والطاعة بالمعنى إنما كان على سبيل العناد والتبديل كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] فجمعت الآية الكريمة ثلاثة أوصاف لهم :

١ - أنهم بدَّلوا ٢ - أنهم ظلموا ٣ - أنهم فسقوا .

---

(١) صحيح متواتر ، وهو بهذا اللفظ عند أحمد في المسند (١٨٣/٥) وأخرجه كذلك الدارمي (٧٥/١) وابن حبان (موارد الظمآن ٧٢، ٧٣) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج البخاري (١٠٩/١١) ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول » ، فقلت أستذكرهن : وبرسولك الذي أرسلت ، قال : « لا وبنبيك الذي أرسلت » . وأخرجه أيضًا مسلم (مع النووي ١٧/ ٣٢) .

وأجابوا عن الدليل الثاني أنه الأفضل والأكمل لكن لا ينفي ما سواه ، وأيضًا فهذا الحديث نفسه : « نَضَّر الله امرأ .... » روي بعدة ألفاظٍ عن النبي ﷺ .

٣ – وأجابوا عن الدليل الثالث (حديث البراء) أن هذا من النوع الذي يتعبد به فيروى كما هو .

ثم استظهروا لأقوالهم بأن قالوا إنَّ جُلَّ الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ رويت بالمعنى وكذلك القصص التي ذكرت في كتاب الله تكرر كثيرٌ منها بألفاظ تؤدي نفس المعنى ، وأيضًا لما جاز نقل الأحاديث إلى غير العربية بمعناها فكان نقلها من العربية إلى العربية من باب أولى .

وها هو بحث للإمام القرطبي رحمه الله تعالى في ذلك .

قال رحمه الله : استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن تبديل الأقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يخلو أن يقع التعبُّد بلفظها أو بمعناها ؛ فإن كان التعبُّد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها ؛ لذمّ الله تعالى من بدل ما أمره بقوله . وإن وقع بمعناها جاز تبديلها بما يؤدي إلى ذلك المعنى ؛ ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه .

وقد اختلف العلماء في هذا المعنى ؛ فحكي عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم أنه يجوز للعالم بمواقع الخطاب البصير بآحاد كلماته نقل الحديث بالمعنى لكن بشرط المطابقة للمعنى بكماله ؛ وهو قول الجمهور . ومنع ذلك جمع كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة . وقال مجاهد : انقص من الحديث إن شئت ولا تزد فيه . وكان مالك بن أنس يشدّد في حديث رسول الله ﷺ في التاء والياء ونحو هذا . وعلى هذا جماعة من أئمة الحديث لا يرون إبدال اللفظ ولا تغييره حتى إنهم يسمعون ملحونًا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه . وروى أبو مجلز عن

قيس بن عُبَاد قال : قال عمر بن الخطاب : من سمع حديثًا فحدث به كما سمع فقد سلم . وروي نحوه عن عبد الله بن عمرو وزيد بن أرقم . وكذا الخلاف في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان ؛ فإن منهم من يعتد بالمعنى ولا يعتد باللفظ ، ومنهم من يشدد في ذلك ولا يفارق اللفظ . وذلك هو الأحوط في الدين والأتقى والأولى ؛ ولكن أكثر العلماء على خلافه . والقول بالجواز هو الصحيح إن شاء الله تعالى ؛ وذلك أن المعلوم من سيرة الصحابة رضي الله عنهم هو أنهم كانوا يروون الوقائع المتحدة بألفاظ مختلفة ، وما ذاك إلا أنهم كانوا يصرفون عنايتهم للمعاني و لم يلتزموا التكرار على الأحاديث ولا كتبها . وروي عن واثلة بن الأسقع أنه قال : ليس كل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ نقلناه إليكم ؛ حسبكم المعنى . وقال قتادة عن زرارة بن أوفى : لقيت عدة من أصحاب النبي ﷺ فاختلفوا عليَّ في اللفظ واجتمعوا في المعنى . وكان النخعي والحسن والشعبي رحمهم الله يأتون بالحديث على المعاني . وقال الحسن : إذا أصبت المعنى أجزأك . وقال سفيان الثوري رحمه الله : إذا قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ؛ إنما هو المعنى . وقال وكيع رحمه الله : إن لم يكن المعنى واسعًا فقد هلك الناس . واتفق العلماء على جواز نقل الشرع للعجم بلسانهم وترجمته لهم ؛ وذلك هو النقل بالمعنى . وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قص من أنباء ما قد سلف ، فقص قصصًا ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة والمعنى واحد ، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي وهو مخالف لها في التقديم والتأخير ، والحذف والإلغاء ، والزيادة والنقصان . وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية فلأن يجوز بالعربية أولى . احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي ، وهو الصحيح في الباب .

فإن قيل : فقد قال النبي ﷺ : « نَضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها » وذكر الحديث . وما ثبت عنه ﷺ أنه أمر رجلًا أن يقول عند مضجعه في دعاء علمه : « آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي

أرسلت » ؛ فقال الرجل : ورسولك الذي أرسلت ؛ فقال النبي ﷺ : « ونبيك الذي أرسلت » . قالوا : أفلا ترى أنه لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ وقال : « فأداها كما سمعها » . قيل لهم : أما قوله : « فأدَّاها كما سمعها » فالمراد حكمها لا لفظها ؛ لأن اللفظ غير معتَّد به . ويدلك على أن المراد من الخطاب حكمه قوله : « فُرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . ثم إن هذا الحديث بعينه قد نقل بألفاظ مختلفة والمعنى واحد ؛ وإن أمكن أن يكون جميع الألفاظ قول النبي ﷺ في أوقات مختلفة ؛ لكن الأغلب أنه حديث واحد نقل بألفاظ مختلفة ؛ وذلك أدل دليل على الجواز . وأما رده عليه السلام الرجل من قوله : « ورسولك - إلى قوله - ونبيك » ؛ لأن لفظ النبي ﷺ أمدح ؛ ولكل نعت من هذين النعتين موضع . ألا ترى أن اسم الرسول يقع على الكافة ، واسم النبي لا يستحقه إلا الأنبياء عليهم السلام ! وإنما فضل المرسلون من الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة . فلما قال : « ونبيك » ، جاء بالنعت الأمدح ، ثم قيده بالرسالة بقوله : « الذي أرسلت » . وأيضًا فإن نقله من قوله : « ورسولك - إلى قوله - ونبيك » ليجمع بين النبوة والرسالة . ومستقبح في الكلام أن تقول : هذا رسول فلان الذي أرسله ، وهذا قتيل زيد الذي قتله ؛ لأنك تجتزي بقولك : رسول فلان ، وقتيل فلان عن إعادة المرسل والقاتل ، إذ كنت لا تفيد به إلا المعنى الأول . وإنما يحسن أن تقول : هذا رسول عبد الله الذي أرسله إلى عمرو ، وهذا قتيل زيد الذي قتله بالأمس أو في وقعة كذا . والله ولي التوفيق .

فإن قيل : إذا جاز للراوي الأول تغيير ألفاظ الرسول عليه السلام جاز للثاني تغيير ألفاظ الأول ، ويؤدي ذلك إلى طمس الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفائها . قيل له : الجواز مشروط بالمطابقة والمساواة كما ذكرنا ؛ فإن عُدمت لم يجز . قال ابن العربي : الخلاف في هذه المسألة إنما يتصور

بالنظر إلى عصر الصحابة والتابعين لتساويهم في معرفة اللغة الجبلية الذوقية ؛ وأما من بعدهم فلا نشك في أن ذلك لا يجوز ؛ إذ الطباع قد تغيرت ، والفهوم قد تباينت ، والعوائد قد اختلفت ؛ وهذا هو الحق . والله أعلم .

قال بعض علمائنا : لقد تعاجم ابن العربي رحمه الله ؛ فإن الجواز إذا كان مشروطًا بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم ؛ ولهذا لم يفصل أحد من الأصوليين ولا أهل الحديث هذا التفصيل . نعم ، لو قال : المطابقة في زمنه أبعد كان أقرب ، والله أعلم .

* * *

س : الزيادة في الدين والابتداع فيه وكذلك التبديل جرم كبير عظيم الخطر وضح من الآيات الكريمة ما يفيد ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن بني إسرائيل لما غيَّروا وبدلوا قوله تعالى : ﴿ حطة ﴾ [البقرة : ٥٨] فقالوا مكانها : (حبة في شعرة) ولما تمردوا على أمر الله إذ قال لهم الله : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا ﴾ [البقرة : ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاههم لقوا من البلاء ما لقوا ووصفهم الله عز وجل بالظلم وبالفسق وأنزل عليهم رجزًا من السماء كل ذلك لتبديل كلمة أمرهم الله عز وجل بها وفعلٍ أمرهم الله به فكيف بمن بدَّل عموم الشريعة كفرًا وأحل قومه دار البوار ؟؟؟



۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

س : ما معنى هذه الكلماتِ :
استسقى – لا تعثوا ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
استسقى	طلب الماء للقوم من ربِّه عز وجل
لا تعثوا	لا تفسدوا – لا يشتد إفسادكم

✵ ✵ ✵

س : ما معنى ﴿ استسقى ﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : استسقى أي طلب السقي لقومه (أي طلب الماء لهم) كقوله تعالى في الحديث القدسي : « استطعموني » أي : اطلبوا مني أن أطعمكم ، و « استغفروني » اطلبوا مني أن أغفر لكم ، و « استكسوني » اطلبوا مني أن أكسكم .

● وقال ابن عطية في تفسيره : و ﴿ استسقى ﴾ معناه : طلب السُّقيا ، وعرف استفعل طلب الشيء ، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى : ﴿ واستغنى الله ﴾ [التغابن : ٦] أي غني ، وكقولهم : (استعجب) أي : عجب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أين استسقى موسى لقومه ؟

ج : استسقى موسى لقومه وهم في البرِّية أثناء فترة (التيه) التي ضربها الله عز وجل عليهم ، وكانوا قد شكوا إلى موسى عليه السلام الظمأ .

وقد أخرج ابن جرير الطبري[1] رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : ذلك في التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ وجُعل بين ظهرانيهم حَجر مربع ، وأُمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحيةٍ منه ثلاث عيون لكل سبط عين ، ولا يرتحلون مَنقلةً[2] إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول .

● وأخرج ابن جرير[3] أيضًا بإسنادٍ حسن إلى قتادة قوله : ﴿ وإذ

(١) هو عند الطبري (١٠٤٤) .
(٢) المنقلة هي المرحلة من مراحل السفر والجمع مناقل .
(٣) هو عند ابن جرير رقم (١٠٤٣) .

استسقى موسى لقومه ﴾ [البقرة : ٦٠] الآية ، قال : كان هذا إذ هم في البرِّية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ فأُمروا بحجر طُوريٍّ أي من الطور – أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سبطٍ عين معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم .

● وقال الرازي في تفسيره (٨٨/٣) : جمهور المفسرين على أن هذا الاستسقاء كان في التيه ؛ لأن الله تعالى لما ظلَّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش فأعطاهم الله الماء من ذلك الحجر ، وأنكر أبو مسلم حمل هذه المعجزة على أيام مسيرهم إلى التيه فقال : بل هو كلام مفردٌ بذاته ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء ؟

ج : الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء إما دعاءٌ ، يدعو به الإمام في خطبة الجمعة ، أو يخرج الإمام إلى المصلى فيستقبل القبلة ويدعو الله عز وجل ويصلي ركعتين على ما ورد في الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذلك ، وعلى ما ورد تفصيله في كتب الفقه ، أما بالنسبة للأحاديث الواردة في ذلك فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] من حديث عباد بن تميم عن عمه (وهو عبد الله بن زيد رضي الله عنه) قال : رأيت النبي ﷺ لما خرج[٢] يستسقي قال فحوَّل إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو ثم حوَّل رداءه ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة . ففي هذا الحديث أن النبي

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٨٩٤) .

(٢) في طرق هذا الحديث في الصحيحين أيضًا (خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى يستسقي ...) الحديث .

ﷺ خرج إلى المصلى يستسقي ، ولكن الخروج إلى المصلى ليس بشرط فقد استسقى النبي ﷺ في المسجد كذلك .

أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ذكر أن رجلًا دخل يوم الجمعةِ من بابٍ كان وِجاهَ المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا فقال : يا رسولَ الله هَلكتِ المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت . قال : والله ما رأينا الشمس سبتًا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة – ورسول الله ﷺ قائم يخطب – فاستقبله قائمًا فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها . قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب ، والأودية ومنابت الشجر » . قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]: وقد اتفق فقهاء الأمصار على مشروعية صلاة الاستسقاء وأنها ركعتان إلا ما روي عن أبي حنيفة أنه قال : يبرزون للدعاء والتضرع وإن خطب لهم فحسن ، ولم يعرف الصلاة هذا هو المشهور عنه ، ونقل أبو بكر الرازي عنه التخيير بين الفعل والترك ، وحكى ابن عبد البر الإجماع على استحباب الخروج إلى المصلى والبروز إلى ظاهر المصر لكن حكى القرطبي عن أبي حنيفة أنه لا يستحب الخروج وكأنه اشتبه عليه بقوله في الصلاة .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٣) ، ومسلم (٨٩٧) .

(٢) فتح الباري (٥٧١/٢) .

قلت (لفظ القرطبي) : سنة الاستسقاء الخروج إلى المصلى – على الصفة التي ذكرنا[1] – والخطبة والصلاة وبهذا قال جمهور العلماء ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس من سنته صلاة ولا خروج وإنما هو دعاء لا غير واحتج بحديث أنس الصحيح أخرجه البخاري ومسلم ولا حجة له فيه .

فإن ذلك كان دعاءً عُجلت إجابته فاكتفي به عما سواه و لم يقصد بذلك بيان سنة ، ولما قصد البيان بيَّن بفعله حسب ما رواه عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين .

قلت : ومن السنة أن يرفع الإمام يديه في الاستسقاء ، فقد أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان نبي الله ﷺ لا يرفع يديه[3] في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء[4] حتى يُرى بياض إبطيه .

❋ ❋ ❋

---

(١) أي التي ذكرها القرطبي رحمه الله .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣١) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٨٩٥) واللفظ لمسلم .

(٣) في رواية لمسلم فأشار بظهر كفيه إلى السماء .

(٤) ظاهره يفيد نفي رفع اليدين في كل موطن يُدعى فيه إلا في الاستسقاء ، لكن هذا معارض فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في عدة مواطن ، وقد ذكرنا بعضها في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة ، أما حديث أنس هذا فلأهل العلم في توجيهه قولان :

● أحدهما : أن المثبت مقدم على النافي فمن أثبت أن النبي ﷺ رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في مواطن آخر غير الاستسقاء قدم قوله على قول أنس رضي الله عنه لأن كلًّا منهما حكى علمه في هذا الباب .

● والثاني : أن يكون أنسًا رضي الله عنه روى صفة مخصوصة من الرفع عند الدعاء للاستسقاء ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٢/٦٠١) : =

س : الله سبحانه وتعالى قادر على أن يُفجر الماء لموسى دون أن يضرب بعصاه الحجر فلماذا ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه ؟

ج : قال بعض أهل العلم إن ذلك لربط الأسباب بالمسببات حكمة منه سبحانه وتعالى للعباد في وصولهم للمراد وليترتب على ذلك الثواب والعقاب في المعاد ، وقد قال الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام : ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًّا ﴾ [مريم : ٢٥] ، والله عز وجل قادر على أن يُسقط عليها الرطب الجني دون أن تهز إليها جذع النخلة .

● وكذلك اجتهد النبي ﷺ وأصحابه في حفر الخندق يوم أن تكالبت عليهم الأحزاب ، والله جل وعلا قادر على أن ينصرهم بدون أن يُجهدوا أنفسهم في الحفر ، إلى غير ذلك من الوقائع التي لا تنتهي في هذا الباب

= قوله : (إلا في الاستسقاء) ظاهره نفي الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء ، وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء وقد تقدم أنها كثيرة ، وقد أفردها المصنف بترجمة في كتاب الدعوات وساق فيها عدة أحاديث ، فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى ، وحمل حديث أنس على نفي رؤيته وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره . وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس المذكور لأجل الجمع بأن يحمل النفي على صفة مخصوصة أما الرفع البليغ فيدل عليه قوله : (حتى يرى بياض إبطيه) ويؤيده أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد به مد اليدين وبسطهما عند الدعاء ، وكأنه عند الاستسقاء مع ذلك زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه وبه حينئذ يرى بياض إبطيه ، وأما صفة اليدين في ذلك فلما رواه مسلم من رواية ثابت عن أنس : (أن رسول الله ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء) ولأبي داود من حديث أنس أيضًا : (كان يستسقي هكذا ومد يديه – وجعل بطونهما مما يلي الأرض – حتى رأيت بياض إبطيه) قال النووي : قال العلماء : السنة في كل دعاء لرفع البلاء أن يرفع يديه جاعلًا ظهور كفيه إلى السماء ، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء . انتهى . وقال غيره : الحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء دون غيره للتفاؤل بتقلب الحال ظهرًا لبطن كما قيل في تحويل الرداء ، أو هو إشارة إلى صفة المسئول وهو نزول السحاب إلى الأرض .

كالدعاء والتداوي والضرب في الأرض للبحث عن الرزق والإصلاح بين الناس ، و .. والله سبحانه قادر على أن يفعل كل ما يريد ، ولكن التأويل على ما ذكرناه ، والعلم عند الله .

* * *

س : قال بعض أهل العلم : (إنه ما من معجزة أوتاها نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي نبينا ﷺ معجزة من جنسها وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن موسى ﷺ لما ضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا كانت تلك معجزة لموسى ﷺ ، ونبينا محمد ﷺ أوتي معجزة من نفس الجنس وهي تفجر الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام كما ثبت ذلك في الصحاح وغيرها ، وهذه المعجزة لنبينا ﷺ لا شك أقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في هذا الجانب وذلك لأن من الحجارة أصلًا ما يتفجر منه الأنهار لكن ليس من الأصابع ما يتفجر من بينها الماء .

● ومن ذلك أيضًا أن سليمان عليه السلام سُخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ونبينا ﷺ سُخِّر له البراق فانطلق به من مكة إلى بيت المقدس ، وكذلك عُرِج برسول الله ﷺ إلى السموات ولم يحدث هذا لسليمان عليه السلام .

● وموسى عليه السلام كلمه ربه بجانب الطور ، ونبينا ﷺ كلمه ربه بعد السماء السابعة .

● وسليمان عليه السلام سخرت له الجن ، والجن على عهد رسول الله ﷺ منهم من آمن به ، ومنهم من كفر ، ومن كفر وذهب يتسمع إلى الملأ الأعلى لحقه شهاب ثاقب كما قالت الجن : ﴿ ... وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ [الجن : ٩].

● وأفضل من الجن وهم الملائكة وأفضل الملائكة وهو جبريل ﷺ يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، وكذلك ميكائيل يقاتل ، وملك الجبال يقول لرسول الله ﷺ : لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت .

● وداود عليه السلام كانت الجبال تسبح معه والطير ، ونبينا ﷺ كان الحجر يسلم عليه ، والشجر يذعن إليه ، والجبل يحبه ، والطعام يسمع له تسبيح وهو يؤكل على عهده ﷺ .

● وعيسى عليه السلام كان يبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله .

● وبعض المسلمين من أمة محمد ﷺ كان به برص فدعا الله عز وجل فشفاه[1]، وهذا ببركة اتباعه لرسول الله ﷺ ، وأيضًا نبينا ﷺ رد إلى محمد بن مسلمة رضي الله عنه رجله لما كسرت في الحال بإذن الله ، وبصق في عين عليٍّ وهو أرمد فبرأ بإذن الله .

● وعيسى ﷺ كان يحيي الموتى بإذن الله ، ونبينا عليه الصلاة والسلام حن له الجذع وسمع له صوت كصوت العشار لما فارقه النبي ﷺ وتحوَّل إلى المنبر يخطب عليه ، وصوت الجمادات أعظم إعجازًا من صوت الحي الذي قد مات .

● وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار ولم تضره، ونبينا ﷺ رأى من نور الله عز وجل ما لو رآه بشرٌ لاحترق ، وشرب بعض أتباعه السم فلم يضره ، وأنجاه الله عز وجل من القتل المحقق مرارًا ﷺ

❋ ❋ ❋

س : هل من حكمة في تفجير الحجر إلى اثنتي عشرة عينًا ؟

ج : قال جمهور أهل العلم : إن هذا على عدد أبناء يعقوب عليه السلام

---

(١) وهو أويس القرني ، وحديثه بذلك ثابت في صحيح مسلم .

فقد كانوا اثني عشر كما ذكر الله عز وجل في كتابه : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] ، فالأحد عشر هم إخوة يوسف وهو ثاني عشر لهم ، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالأُناس في قوله تعالى : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : المراد : كل سبط من أولاد يعقوب ﷺ ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : أما المشرب فهو موضع الشرب الذي يشربون منه ، وقيل : إنه المشروب ، والمعنى الإجمالي : كل قد علم كل سبط (أي كل قبيلة) العين الخاصة به التي يشرب منها حتى لا يتشاحنوا ولا يتنازعوا على الماء .

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن[1] إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : وأُعْلِم كلُّ سبطٍ منهم عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول .

❋ ❋ ❋

س : قسمة الماء هل تشرع أم أن المسلمين شركاء كلهم فيه ؟

ج : المسلمون شركاء في الماء ، كما ورد عن رسول الله ﷺ[2] لكن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٨) بسند حسن .

(٢) ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » =

هذا لا يمنع من تقسيم الماء إذ دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك ، فقد قال النبي ﷺ للزبير لما حدث نزاع بينه وبين الأنصاري في شراج الحرَّة : « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصاري »[1] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ [الشعراء : ١٥٥] .

وقال عز وجل : ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ﴾ [القمر : ٢٨] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : أولًا : العثو : هو شدة الفساد ، وقال بعض أهل العلم : العثو في

= وذلك عند أبي داود (حديث ٣٤٧٧) وأحمد (٣٦٤/٥) والبيهقي (السنن الكبرى ١٥٠/٦) من طريق حريز بن عثمان عن أبي خداش (وهو حبان بن زيد الشرعي) عن رجل من المهاجرين .. به مرفوعًا .

وحبان بن زيد الشرعي لم أقف على من وثقه إلا ابن حبان ولكن ذكر أبو داود أن شيوخ حريز كلهم ثقات (وعلى هذا القول تحفظ عندي) .

وأخرج ابن ماجة (٢٤٧٣) بإسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا ثلاث لا يُمنعن الماء والكلأ والنار .

(١) أخرج البخاري (٢٧٠٨) من حديث عروة بن الزبير أن الزبير كان يُحدِّث أنه خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله ﷺ : « اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك » فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال : « اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر » فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم ، قال عروة والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥] .

والحديث أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن الزبير أيضًا .

الأصل يطلق على الاعتداء ثم غلب إطلاقه على الفساد . وقيل : لا تعثوا : لا تسيروا .

ثانيًا : فإن قال قائل : فلماذا كرر ذكر الإفساد إذا قلنا : إن لا تعثوا لا تفسدوا فيكون المعنى : (لا تفسدوا في الأرض مفسدين) فالإجابة من وجوه : أولها : أن التكرير حدث للتأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] .

قال الراغب (كما نقل عنه القاسمي في « محاسن التأويل » ص١٣٦) : فإن قيل : فما فائدة قوله : ﴿ مفسدين ﴾ والعثو ضرب من الإفساد ؛ قيل : قد قال بعض النحويين : إن ذلك حال مؤكدة ، وذكر ألفاظًا مما يشبه ، وقال بعض المحققين : إن العثو ، وإن اقتضى الفساد فليس بموضوعٍ له ، بل هو كالاعتداء ، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد وهو مقابلة المتعدي بفعله نحو : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾[1] [البقرة : ١٩٤] ، وهذا الاعتداء ليس بفساد بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل ، ولولا كونه جزاءً لكان إفسادًا ، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه هو المقصود به الإفساد فالإفساد مكروه على الإطلاق ، ولهذا قال : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، وقد يكون في صورة العثو والتعدي ما هو صلاح وعدل كما تقدم وهذا ظاهر ، والله أعلم .

قلت : والآية الكريمة نحو قوله تعالى : ﴿ لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

هذا وقد يقول قائل إن من معنى الآية الكريمة – وإن دب بينكم بعض

---

(١) وقريب من المعنى قوله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ [الحشر : ٥] .

نزاع لاختلافكم في مواضع الشرب فلا تتمادوا في هذا النزاع بل احسموا مادة النزاع بأن يرجع كل أناس إلى مشربهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : في الآية الكريمة : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [البقرة : ٦٠] محذوفات دل عليها السياق اذكر بعضها ؟

ج : من هذه المحذوفات التي دل عليها سياق الكلام : محذوف يقدر بأنه لفظ الجلالة (إما الله أو ربه) في قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى ﴾ فالمعنى : (وإذ استسقى موسى ربه ..) أي : طلب السقيا من ربه عز وجل .

● ومنها : (فضربه) في قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ فالمعنى : (فقلنا لموسى اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت) .

● ومنها : (منهم) في قوله تعالى : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] أي : قد علم كل أناس من بني إسرائيل مشربهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف يُردُّ على الجاهل المنكر لمثل هذه المعجزة (تفجر اثنتا عشر عينًا من الحجر) ؟

ج : يرد عليه ابتداء بأن الله عز وجل على كل شيء قدير يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون .

هذا وقد قال الراغب[1]: وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده ، وهذا

---

(١) نقلًا من « محاسن التأويل » للقاسمي (ص١٣٦) .

المنكر مع أنه لم يتصور قدرة الله تعالى في تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات ، فقد ترك النظر على طريقته إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجر الحديد ، وأن الحجر المنفر للنحل ينفره ، والحجر الحلاق يحلق الشعر[1]، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة وإذا لم يكن مثل ذلك منكرًا عندهم فغير ممتنع أن يخلق الله حجرًا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض اهـ .

* * *

س : هل كان الحجر الذي ضربه موسى حجرًا معينًا ؟

ج : قال ابن عطية رحمه الله تعالى : ولا خلاف أنه كان حجرًا منفصلًا مربعًا تطرد[2] من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى ، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون .

وأخرج ابن أبي حاتم[3] بسند صحيح عن ابن عباس (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث عيون) .

وقد تقدم عن قتادة أنه كان حجرًا طوريًا (من جبل الطور) .

● ونقل ابن كثير عن الحسن : لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه ، قال : وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة ، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فييبس ... إلى آخر ما قاله رحمه الله .

---

(١) ومن الأحجار ما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .
وقد ضرب موسى الحجر الذي فر وعليه ثوب موسى وموسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر !!! وهو في الصحيح .

(٢) تطرد أي تجري بتتابع ، ومنه قولهم : نهران يطردان أي : يجريان .

(٣) التفسير (أثر رقم ٦٠٦) .

قلت : وليس هناك كبير فائدة في تحديد نوع الحجر وخاصة أنه لم يذكر لتحديده منفعة في الكتاب ولا في السنة فيما علمنا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك فرق بين قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ فانفجرت ﴾ [البقرة : ٦٠] وبين قوله عز وجل : ﴿ فانبجست ﴾ [الأعراف : ١٦٠] في سورة الأعراف ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : إنهما يؤديان نفس المعنى ؛ لأن القصة واحدة وبعضهم يُفرِّق بينهما ، قال أبو حيان في « البحر المحيط » : وجاء هنا (انفجرت) وفي الأعراف (انبجست) فقيل : هما سواء انفجر وانبجس وانشق مترادفات ، وقيل : بينهما فرق وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء والانفجار اتساعه وكثرته ، وقيل : الانبجاس خروجه من الصلب ، والانفجار خروجه من اللين ، وقيل : الانبجاس هو الرشح والانفجار هو السيلان ، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة .



وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

بقلها – فومها – الذي هو أدنى – ضربت عليهم – الذّلة – المسكنة – باءوا ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
بقلها	كل نبات ليس له ساق – وقيل : هو البقول كالكراث والفجل ونحو ذلك
فومها	الحنطة (البر)[1]– الثّوم – الحبوب التي تُخبز بصفة عامة[2]– الخُبز[3]
الذي هو أدنى	الذي هو أخس وأردأ

(١) روي ذلك بإسناد صحيح عند الطبري (١٠٦٧) عن أبي مالك

(٢) روي ذلك بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٠٦٥) .

(٣) روي ذلك بأسانيد تصح بمجموعها عن عطاء ومجاهد عند الطبري (١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤) .

الكلمة	معناها
ضربت عليهم	كتبت عليهم وألزموها
الذلة	مأخوذة من الذل ، وقيل : الجزية
المسكنة	الفقر والمهانة (فترى اليهود وإن كانوا مياسير إلا أنهم كأنهم فقراء وهم الآن وإن كانت لهم دولة إلا أن التسول في دمائهم وطلب المعونات ديدن لهم)
باءوا	رجعوا – انصرفوا – استمعوا



س : كيف قالوا : ﴿ يا موسى لن نصبر على طعام واحدٍ ﴾ [البقرة : ٦١]وهم يأكلون صنفين المن والسلوى ؟ وهل الشراب يدخل في الطعام ؟

ج : مقصدهم – والله أعلم – أن الطعام يتكرر فلا يتغير ولا يتبدل ، ومن ثم أطلق عليه طعام واحد .

أما كون الشراب يدخل في الطعام ، فقد يذكر الطعام أحيانًا ويدخل في ثناياه الشراب ، وقد يطلق الطعام على الشراب خاصة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ... ﴾ الآية [المائدة : ٩٣] .

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها في الخمر قبل التحريم .

● وقال رسول الله ﷺ في شأن زمزم : « إنها طعام طعم »[1]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقول بني إسرائيل : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : المراد – والله أعلم – لن نحبس أنفسنا على طعام واحد .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبقل في قوله تعالى : ﴿ .... من بقلها ﴾ [البقرة : ٦١]؟

ج : قيل : البقل كل ما أنبته الله عز وجل من الخضر .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

وقيل : هو كل نبات ليس له ساق ، والشجر هو كل نبات له ساق .

وقيل أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : هو استفهام استنكاري .

❋ ❋ ❋

س : اذكر قومًا كانوا في نعمة من الله سبحانه وتعالى فطلبوا أدنى منها كما فعل بنو إسرائيل ؟

ج : هؤلاء القوم هم سبأ ، قال الله عز وجل فيهم : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور – إلى قوله تعالى – وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾[1] [سبأ : ١٥ – ١٩] .

❋ ❋ ❋

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٥٣٣/٣) في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير .. ﴾ [سبأ : ١٨] :
يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد ، والبلاد المرضية ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا ، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم =

س : ما هو المراد بمصر في قوله تعالى ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾ [البقرة : ٦١] ، وما معنى قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : لأهل العلم فيها قولان مشهوران :

الأول : هو أن المراد بمصر مصر من الأمصار (يعني بلدة من البلدان) .

= ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ [سبأ : ١٨] قال وهب بن منبه : هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفي عن ابن عباس : القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضًا : هي قرى عربية بين المدينة والشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أي : بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى : ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أي : جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿ سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين ﴾ أي : الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ وقرأ آخرون ﴿ بعد بين أسفارنا ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ، ولهذا قال لهم : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة : ٦١] وقال عز وجل : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ [القصص : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : ١١٢]. وقال تعالى في حق هؤلاء : ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ أي بكفرهم ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ أي : جعلناهم حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد .

الثاني : هو مصر المعروفة لدى الناس الآن .
والقول الأول ذكره عدد من أهل العلم منهم قتادة[1] وغيره والقول الثاني نُقل عن مالك رحمه الله[2] وغيره .
وحجة أهل القول الثاني أن الله عز وجل قال في شأن قوم فرعون : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء : ٥٧ – ٥٩] .
● ومن أقوى حجج القول الأول التنوين في قوله تعالى : ﴿ مصرًا ﴾ ، وذكر الطبري رحمه الله تعالى حجج الفريقين ثم ختمها بقوله والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر ، وأهل التأويل متنازعون تأويله فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله عز وجل في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارًا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه ، وجائز أن يكون ذلك القرار (مصرَ) وجائز أن يكون (الشام) .
فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾ وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القرأة على ذلك ، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضًا بينها .
قلت : أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا الذي سألتموه

(١) روي بإسناد حسن عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨١) .
(٢) قال ابن عطية في تفسيره : وقال أشهب : قال لي مالك : هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون .

ليس بأمرٍ عزيز بل هو كثير في أي بلدٍ دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه ، ولهذا قال : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ماسألتم ﴾ [البقرة : ٦١] أي : ما طلبتم ، ولما كان سؤالهم هذا من باب الأشر والبطر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه[1] ، والله أعلم .

✸ ✸ ✸

س : ما معنى ﴿ ضربت عليهم ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : المعنى فرضت عليهم وكتبت عليهم وألزموها وجعلت محيطة بهم ، ومنه قولهم : ضرب الإمام الجزية أي فرضها مأخوذ من ضرب القباب ومنه قول الفرزدق يهجو جريرًا :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها   وقضى عليك به الكتاب المنزل

✸ ✸ ✸

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] وهل هناك حق يستدعي أن تقتل الأنبياء به ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ويعني بقوله ﴿ ويقتلون النبيين بغير

---

(١) كذا قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إنهم لم يجابوا إليه ، فإن قصد رحمه الله تعالى أن موسى لم يدع ربه لهم بما أرادوه فله وجه ، وإن قصد أنهم لم يجابوا إلى طلبهم بنيل البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل فلا وجه له عندي ، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى : فتأويل الآية إذًا : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ ، قال لهم موسى : أتستبدلون الذي هو أخس وأردأ من العيش بالذي هو خير منه ، فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه فاستجاب الله له دعاءه فأعطاهم ما طلبوا وقال الله لهم : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ ، والله أعلم .

الحق ﴾ [البقرة : ٦١] أنهم كانوا يقتلون رسل الله بغير إذن[1] الله لهم بقتلهم منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم .

قلت : وليس المراد من الآية الكريمة أن قتل النبيين ينقسم إلى قتلٍ بحق وقتلٍ بغير حق ، بل كل ما وقع من قتلهم إنما وقع بغير حق ، لأن النبي معصوم من أن يأتي أمرًا يستحق عليه القتل وإنما جاء هذا القيد ﴿ بغير الحق ﴾ على سبيل التشنيع لفعلهم والتقبيح لعملهم وسوء صنيعهم معهم .

ولقائل أن يقول أيضًا : إن هذا التقييد ﴿ بغير الحق ﴾ ذكر لبيان أن قتلة الأنبياء ليست عندهم أدنى شبهة في بطلان صنيعهم إذ قتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلو سألهم سائل لم قتلتم أنبياءكم ؟ لم يجدوا أي وجهٍ يجيبون به على سائلهم ، فقد يفعل الشخص كبيرة أو يتقلد قولًا باطلًا لشبهة عنده ، أما هؤلاء فليست عندهم أي شبهة يجيبون بها عن سوء صنيعهم مع أنبيائهم عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما مدى صحة حديث : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين » ؟

ج : أخرجه أحمد في المسند (٤٠٧/١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هي الآيات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال :

---

(١) المراد بالإذن هنا الإذن الشرعي الديني وليس الإذن الكوني القدري ، والله أعلم .

منها : أنها الآيات التسع التي أيد الله عز وجل بها موسى ﷺ ، وذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات.. ﴾ [الإسراء: ١٠١] .

ومنها : أنها التوراة بكل ما فيها .

ومنها : أنها كل ذلك (التوراة والمعجزات التي أيد الله عز وجل بها موسى ﷺ) . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾[1] [المجادلة : ٢١] وبين قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ ولماذا يُخلي الله عز وجل بين الكفار وأنبيائهم حتى يتمكن هؤلاء الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام ؟

ج : أما الجمع فمن وجوه :

منها : أن الله عز وجل ما أمر نبيًّا بالحرب إلا نصره فلم يُقتل ، وإنما خلَّى بين الكفار وبين من لم يؤمر بقتالٍ من الأنبياء ، هذا الوجه نقل عن الحسن رحمه الله تعالى .

ومنها : أن النصر بالحجة والبيان والبرهان وكذلك الغلبة .

ومنها : أن المراد الأخذ بثأر الأنبياء عليهم السلام ممن بغى عليهم وغدر بهم ونالهم بشيء من السوء والأذى ، والله أعلم .

أما لماذا خلَّى الله عز وجل بين الكفار وبين أنبيائهم حتى يتمكن الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام فذلك – والله أعلم – لينالوا من أعالي الدرجات ورفيع المنازل ما لا ينالونه إلا بالقتل ، وليس ذلك بخذلان للأنبياء عليهم

(١) وفي معناها قوله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات : ١٧١ – ١٧٣] .

الصلاة والسلام ، بل الأمر كما ذكره الله جل ذكره في عدة مواطن من كتابه الكريم : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ [محمد : ٤ – ٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٤٠ – ١٤١] ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما حكم من أكل المستلذات من الطعام وشرب ما طاب من الشراب واستمتع بالحسناوات من النساء ؟

ج : كل ذلك إذا كان من الحلال الطيب بدون إسراف ولا تبذير ولا أشر ولا بطر فهو جائز بل مستحب بشرط أن يؤدي ما عليه فيه من حق من شكر النعم والعمل بطاعة الله عز وجل ، وذلك لما يلي :

● أنعم الله عز وجل على بني إسرائيل بالمن والسلوى فلما طلبوا تبديلها بالذي هو أدنى منها (من البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل) عتب الله عز وجل عليهم في ذلك وقال لهم نبيهم موسى عليه السلام : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة .. ﴾ ، [البقرة : ٦١] .

وكذلك قوم سبأ لما ﴿ قالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ [سبأ : ١٩] جعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

● وقال الله جل ذكره : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ١١] .

● وقال سبحانه وتعالى لقارون : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ... ﴾ [القصص : ٧٧] .

● وجمع النبي ﷺ بين تسع نسوة وكان عموم نسائه رضي الله عنهن حسناوات .

● وكان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل[١] .

● وقال عليه الصلاة والسلام لما قرب إليه طعام دون اللحم وكان قد رأى اللحم دخل : « ألم أر البرمة ؟ »[٢] كل هذا وغيره يشعر بأن الشخص إذا وسع الله عز وجل عليه يوسع ولا يضيق على نفسه ولا يكون بائسًا متبائسًا ، وإذا قدر عليه رزقه فينفق بحسبه وقد قال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها .. ﴾ [الطلاق : ٧] ، والله تعالى أعلم[٣] .

✸ ✸ ✸

س : في تعاملات بني إسرائيل مع نبيهم موسى ﷺ الغاية من سوء الأدب وضح طرفًا من ذلك ؟

ج : هذا واضح جلي في تصرفهم مع موسى ﷺ وخطابهم معه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦١٤) ومسلم (ص ١١٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٧) ومسلم (ص ١١١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) وفقه هذه المسألة يحتاج إلى شرح أوسع لعله يأتي بعد ، إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك قولهم : يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ؛ ويا موسى لن نصبر على طعام واحد .

دون أي توقير في الخطاب مع النبي الكريم موسى ﷺ ، فيخاطبون موسى ﷺ كأنه رجل منهم[1] .

ومن ذلك اشتراطهم للإيمان بموسى ﷺ شروطًا !!! (أن يروا الله جهرة) .

ومن ذلك سوء أدبهم في قولهم : ﴿ ادع لنا ربك ﴾[2] وكأنه ليس بربهم وهذا كقولهم السيىء لموسى عليه السلام في سورة المائدة ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ [المائدة : ٢٤] .

هذا فضلًا عن الطامَّات الجسام والكبائر العظام والشرك الأعظم الذي يقترفونه من عبادة العجل وإتخاذه إلهًا جاحدين في ذلك نعم الله السابغة وآلائه الظاهرة عليهم .

❋ ❋ ❋

(١) وقد قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا ﴾ [النور : ٦٣] ، وسيأتي تفسيرها إن شاء الله .

(٢) وإن كان يجوز الخطاب بذكر (ربك) لكن ليس على هذا الوجه الذي استعمله هؤلاء الظلمة من بني إسرائيل .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

س : ما معنى كل مما يلي :

هادوا – الصابئون ؟

ج :

معناها	الكلمة
تابوا – مالوا ، والمراد بهم هنا اليهود.	هادوا
قوم لا دين لهم ، وقيل : قوم يعبدون الملائكة	الصابئون

✸ ✸ ✸

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا خوف عليهم فيما هو آتٍ ولا يحزنون على ما تركوه خلفهم من ذرِّية وأموال وأزواج وأهلين ونحو ذلك[1] ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٦٢] فيه تساؤلات منها :

١ – من المراد بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾ ؟ .

٢ – كيف يقال : ﴿ إن الذين آمنوا .. ﴾ ويقال بعدها : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ﴾ فكيف يؤمن المؤمن ؟

ج : في المراد بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾ للعلماء جملة أقوال :

الأول منها : أنهم المؤمنون بالله ورسوله محمد ﷺ ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن يُقال إن قوله : ﴿ من آمن ﴾ معناه ثباته على الإيمان وتركه تبديله والحرص على الموت عليه وأيضًا ازدياده من الإيمان كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] .

الثاني : أنهم المؤمنون قبل بعثة رسول الله ﷺ الموحدون ربهم عز وجل كزيد بن عمرو بن نفيل وأمثاله ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن من

(١) وقيل أيضًا : لا يحزنون يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

آمن بالله وكان موحدًا حنيفًا وجاءه رسول الله ﷺ فآمن به أيضًا وعمل صالحًا فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن .

الثالث : أن المراد بالذين آمنوا في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ... ﴾ هم من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه وهؤلاء أهل النفاق فمن تاب عن نفاقه منهم وصدق بالله وباليوم الآخر وآمن برسول الله ﷺ من قلبه فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ الذين هادوا ﴾ [البقرة : ٦٢] ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم ؟

ج : المراد بـ ﴿ الذين هادوا ﴾ اليهود وأطلق عليهم هذا الاسم لأمور ذكرها العلماء :

منها : لأنهم قالوا : ﴿ إنا هدنا[1] إليك ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

ومنها : أنهم ينسبون إلى أحد أولاد يعقوب ﷺ وهو (يهوذا) .

ومنها : أنهم يتهودون عند قراءة التوراة (أي : يتمايلون) .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى ﴿ النصارى ﴾ [البقرة : ٦٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره :

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ والنَّصَارَى ﴾

قال أبو جعفر : و « النصارى » جمع ، واحدهم نصران ، كما واحد السكارى سكران ، وواحد النشاوى نشوان . وكذلك جمع كل نعت كان واحده على « فعلان » فإن جمعه على « فعالى » . إلا أن المستفيض من كلام

(١) وانظر تفسير الهداية في سورة الفاتحة .

العرب في واحد « النصارى » « نصراني » . وقد حكي عنهم سماعًا « نصران » بطرح الياء ، ومنه قول الشاعر :

تراه إذا زار العشي محنفًا ويضحي لديه وهو نصران شامس[1]

وسمع منهم في الأنثى : « نصرانة » ، قال الشاعر :[2]

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف[3]

يقال : أسجد ، إذا مال[4] . وقد سمع في جمعهم « أنصار » ، بمعنى النصارى .

قال الشاعر :

لما رأيت نبطًا أنصارًا شمرت عن ركبتي الإزارا

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : (تراه إذا دار العشا متحنفًا) .
والبيت في صفة الحرباء . و « محنفًا » : قد تحنف ، أو صار إلى الحنيفية . ويعني أنه مستقبل القبلة . وقوله : « لديه » ، أي لدى العشي ، ويريد قبل أن يستوي العشي أو لدى الضحى ، ويكون قد ذكره في بيت قبله . وقوله : « شامس » ، يريد مستقبل الشمس ، قبل المشرق . يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني ، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا :
إذا حول الظل العشي رأيته حنيفًا ، وفي قرن الضحى يتنصر

(٢) هو أبو الأخزر الحماني .

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان (حنف) ، يصف ناقتين ، طأطأتا رءوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها ، برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى . قال حميد بن ثور ، يصف نوقًا :
فلما لوين على معصم وكف خضيب وأسوارها
فضول أزمتها أسجدت سجود النصارى لأحبارها

(٤) بيان الطبري عن معنى « أسجد » ليس بجيد .

كنت لهم من النصارى جارًا[1]

وهذه الأبيات التي ذكرتها ، تدل على أنهم سموا « نصارى » لنصرة بعضهم بعضًا ، وتناصرهم بينهم . وقد قيل : إنهم سموا « نصارى » ، من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها « ناصرة » .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على النصارى نصارى ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

١ – لأن عيسى عليه السلام لما قال للحواريين من أنصاري إلى الله ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [الصف : ١٤] .

٢ – نسبة إلى قرية يقال لها : ناصرة كان ينزلها عيسى بن مريم عليهما السلام[2] .

٣ – تسموا بذلك لنصرة بعضهم بعضًا ، وهذا القول عندي ضعيف واهٍ ، فإن الله سبحانه وتعالى قال في أهل الكتاب ، ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] وقال سبحانه : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ١٤] .

---

(١) لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات ، في معاني القرآن للفراء (١ : ٤٤) أمالي ابن الشجري (١ : ٧٩ ، ٣٧١) ، أنشده شاهدًا على حذف واو العطف : أي « وكنت لهم من النصارى جارًا » ، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهدًا على حذف الفاء العاطفة أي « فكنت لهم ... » .

(٢) أخرج الطبري (١٠٩٧) بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال : إنما سمُّوا نصارى لأنهم كانوا بقرية يُقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مرْيم فهو اسم تسمَّوا به ولم يؤمروا به .

والقول الأول وكذلك الثاني كلاهما له وجه قوي ، والله أعلم .

* * *

س : من هو الصابئ ؟

ج : الصابئ : هو من ترك دينه ودخل دينًا غير دينه وصبأ فلان أي ترك دينه ودخل دينًا آخر .

* * *

س : من هم الصابئون المعنيون في قوله تعالى : ﴿ ... والصابئين ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم: إن المعنيين هنا هم قوم لا دين لهم (ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس)[(١)] .

وقال بعض أهل العلم إنهم قوم يعبدون الملائكة فروى الطبري رحمه الله تعالى بإسناد صحيح[(٢)] عن الحسن قال : حدثني زياد[(٣)] أن الصابئين يُصلُّون إلى القبلة ويصلون الخمس ، قال : فأراد أن يضع عنهم الجزية ، قال فخبِّرَ بعد أنهم يعبدون الملائكة أخرج الطبري بإسناد حسن[(٤)] عن قتادة أيضًا : قوله ﴿ والصابئين ﴾ قال : الصابئون قوم يعبدون الملائكة يُصلُّون إلى القبلة ويقرأون الزَّبور .

---

(١) وزاد ابن زيد وكما روى ذلك عنه ابن جرير بإسناد صحيح (١١٠٧) : إنهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله ، قال : ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون لرسول الله ﷺ وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم .

(٢) أخرجه الطبري (١١٠٨) .

(٣) زياد هو (زياد بن أبيه) والي العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبري (١١٠٩) .

وقال بعض أهل العلم إنهم طائفة من المجوس وقال غيرهم هم طائفة من أهل الكتاب ، وثمَّ أقوال أُخر وأشهر الأقوال القول الأول والثاني الذين قدمناهما ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ... ﴾ الآية ما هو المراد من إيمان اليهودي هنا وإيمان النصراني والصابىء ؟

ج : المراد من إيمان اليهودي هنا تصديقه ما في التوراة ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ وما جاء به رسول الله ﷺ إذ صفة رسول الله ﷺ قد جاءت بها التوراة .

وكذلك إيمان النصراني تصديقه بالإنجيل ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ إذ قد جاء الإنجيل بصفة رسول الله ﷺ وصفة ما جاء به رسول الله ﷺ .

أما إيمان الصابىء فيكون بأن يدخل الصابىء في دين الإسلام ويتبع سبيل المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اشترط لصحة قبول العمل شرطان ما هما ؟

ج : الشرط الأول : هو (الإيمان) والشرط الثاني : هو (العمل الصالح) وهو ما يصيغه بعض العلماء بقوله : (أن يكون خالصًا صوابًا) وكونه خالصًا أي خالصًا من شوائب الشرك والرياء ، ويكون صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ وهو نحو الوارد في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربِّه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : **قال الله سبحانه وتعالى** : ﴿ .. **من** آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا **فلهم** أجرهم عند ربهم ﴾ **أفرد في الآية الكريمة** ﴿ **من** ﴾ وجمع ﴿ **فلهم** ﴾ فما وجه ذلك ؟

ج : أُجيب على ذلك بأن ﴿ مَن ﴾ لفظها لفظ الواحد لكنها تقع على الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث فيحمل الكلام على لفظها فيوحد ويُذكر ويُحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

فإن قال قائل : وكيف قال : ﴿ فلهم أجرُهم عند ربهم ﴾ ، وإنما لفظ ﴿ من ﴾ لفظ واحد ، والفعل معه موحد ؟

قيل : ﴿ من ﴾ ، وإن كان الذي يليه من الفعل موحد ، فإن له معنى الواحد والاثنين والجمع ، والتذكير والتأنيث ، لأنه في كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير . فالعرب توحد معه الفعل – وإن كان في معنى جمع – للفظه ، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ [يونس : ٤٢ ، ٤٣] .

فجمع مرة مع ﴿ من ﴾ الفعل لمعناه ، ووحد أخرى معه الفعل لأنه في لفظ الواحد كما قال الشاعر :

ألما بسلمى عنكما إن عرضتما وقولا لها: عوجي على من تخلفوا[1]

---

(١) في ديوان لامرئ القيس ، منسوب إليه من قصيدة عدتها ٢٣ بيتًا ، وفيه : « ويقال إنها لرجل من كندة » وأولها :

ديار بها الظلمان والعين تعكف وقفت بها تبكي ودمعك يذرف

والأضداد لابن الأنباري : (٢٨٨) ، قال : أنشده الفراء ، وروايته صدره :

(ألما بسلمى لمة إذ وقفتما) =

فقال : « تخلفوا » ، وجعل ﴿ من ﴾ بمنزلة « الذين » ، وقال الفرزدق :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[1]

فثنى « يصطحبان » لمعنى ﴿ من ﴾ . فكذلك قوله : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ ، وحد ﴿ آمن وعمل صالحًا ﴾ للفظ ﴿ من ﴾، وجمع ذكرهم في قوله : ﴿ فلهم أجرهم ﴾، لمعناه، لأنه في معنى جمع .

٭٭٭

= والذي في رواية الطبري من قوله : « عنكما » زائدة في الكلام ، والعرب تقول : « سر عنك » ، و « انفذ عنك » أي : امض ، وجز – لا معنى ل « عنك » . وفي حديث عمر رضي الله عنه : أنه طاف بالبيت مع يعلى بن أمية ، فلما انتهى إلى الركن الغربي الذي يلي الأسود ، قال له : ألا تستلم ؟ فقال : انفذ عنك ، فإن النبي ﷺ لم يستلمه . وفي الحديث تفسيره : أي دعه وتجاوزه . وقوله « عرضتما » من قولهم : عرض الرجل : إذا أتى العروض (بفتح العين) ، وهي مكة والمدينة وما حولهما . والتعليق للشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(١) قوله : تعال فإن عاهدتني ... أبيات من قصيدة للفرزدق[1] قالها لما خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين وعلى بعير لهم مسلوخة كان اجتزرها ثم أعجله المسير فسار بها فجاء الذئب فحرَّكها وهي مربوطة على بعير فذعرت الإبل وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق فأبصر الذئب ينهسها فقطع رجل الشاة فرمى بها إلى الذئب فأخذها وتنحى ثم عاد فقطع اليد فرمى بها إليه فلما أصبح القوم خبرَّهم الفرزدق بما كان وأنشأ يقول :

وأطلس[2] عسالٍ ، وما كان صاحبًا ... دعوت بناري مؤهنًا فأتاني

إلى أن قال :

تعشَّ فإن واثقتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أخيين كانا أرضعا بلبان

---

(١) نقلًا من ديوان الفرزدق قصيدة « أنت والغدر أخيَّان » ص٦٢٨ .

(٢) الأطلس : الذئب الأغبر المائل إلى السواد ، والعسَّال : المضطرب في جريه ، موهنًا : الموهن الليل قاله المعلق على الديوان .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

س : اذكر معنى هذه الكلمات :

آتيناكم – بقوةٍ – الخاسرين – علمتم – اعتدوا – كونوا – الخاسئين – نكالًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
آتيناكم	أعطيناكم – أمرناكم به في التوراة
بقوةٍ	بجد واجتهاد
الخاسرين	المراد بها هنا – والله أعلم – الهالكين في الدنيا والآخرة
علمتم	عرفتم
اعتدوا	الاعتداء هو تجاوز الحد الذي حدَّه الله عز وجل ، وكل متجاوز حدِّ شيءٍ إلى غيره فقد تعداه إلى ما جاوز إليه
كونوا	صيروا
الخاسئين	الخاسيء هو المُبعد المطرود – خاسئين مُبعدين مطرودين – أذلاء صاغرين

معناهـا	الكلمـة
النكال عبرة تنكل المعتبر بها ، عبرٌ مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا وقيل: النكال الزاجر بالعقاب ، والنكل والنكال قيود الحديد ، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل	نكالًا



س : ما هو الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل ؟

ج : لأهل العلم فيه أقوال :

● منها : أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله[1] وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● ومنها : أن هذا الميثاق هو العمل بالتوراة والإيمان بما جاء فيها .

● ومنها : أن هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١ ، ٨٢] ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

---

(١) روى ابن جرير الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متكلم فيه قال : لما رجع موسى من عند ربه بالألواح . قال لقومه بني إسرائيل : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرة ، حتى يطلع الله إلينا فيقول : هذا كتابي فخذوه ! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى ، فيقول =

س : ما هو الطور ؟

ج : لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

● منها : أن الطور هو الجبل (أيُّ جبل كان)[1] .

● ومنها : أنه نوع مخصوص من الجبال وهي الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت من الجبال .

● ومنها : أنه الجبل الذي ناجى الله سبحانه وتعالى موسى ﷺ عليه ، ويشهد لهذا الأخير قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ [القصص : ٤٦] وقوله تعالى : ﴿ ... آنس من جانب الطور نارًا .. ﴾ [القصص : ٢٩] إلا أن يقال إن الذي ناجى الله عز وجل عليه موسى هو الطور لا شك لكن لا ينفي ما سواه فلهذا القول وجه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= هذا كتابي فخذوه ؟ قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم ، فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله بعد موتهم ، فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : أي شيء أصابكم ؟ قالوا : متنا ثم حيينا . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم ، فقيل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطور ! قال : خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم . قال : فأخذوه بالميثاق ، وقرأ قول الله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا ﴾ حتى بلغ ﴿ وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ٨٣ - ٨٥] ، قال : ولو كانوا أخذوه أول مرة ، لأخذوه بغير ميثاق .

(١) روى ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (١١١٨) بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ﴾ [البقرة : ٦٣] قال : الطور : الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٦٣] فأقروا بذلك .

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ [البقرة : ٦٣] ؟

ج : المراد - والله أعلم - ظاهره ، فالله سبحانه وتعالى رفع الجبل فوق بني إسرائيل كما أخبر عز وجل بقوله : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ [الأعراف : ١٧١] فالجبل اقتلع من أصله ورفع عليهم كأنه ظلة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٦٣] هل فيه إضمار ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن فيه إضمار ، والمعنى ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا قذفناه عليكم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ [البقرة : ٦٣] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - اذكروا ما فيه من الوعد والوعيد ، وتدبروه واعملوا بمقتضاه ، ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم من بعد ذلك ﴾ [البقرة : ٦٤] من بعد ماذا ؟

ج : من بعد أخذ الميثاق عليكم وإقراركم به ، ومن بعد البرهان الذي أقمناه عليكم والترهيب الذي رهبناكم به ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل من رابط بين قوله تعالى : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ﴾ وبين

قوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ... ﴾ ؟

ج : نعم بينهما رابط ، وهذا الرابط فيه وجهان عند أهل العلم أولهما : أخذنا عليهم الميثاق فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل .

الثاني : أخذ عليهم الميثاق عند رفع الطور فوقهم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى (زاد المسير) : وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل فوقهم لإبائهم التوراة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ [البقرة : ٦٤] ؟

ج : أما المراد بفضل الله ورحمته ، فإمهاله لكم وعفوه عنكم وتوفيقكم للتوبة والإنابة إليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا .. ﴾ [البقرة : ٦٥] لمن ؟

ج : الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة هذا الاعتداء الذي فعله بنو إسرائيل ؟

ج : لأهل العلم فيه وجهان[1]:

الوجه الأول : أنهم اصطادوا الحيتان وأخذوها يوم السبت على سبيل

---

(١) أخرج الطبري رحمه الله تعالى (١١٤٠) بإسناد حسن إلى قتادة : قوله : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] : أُحلت لهم الحيتان وحُرِّمت عليهم يوم السبت بلاءً من الله ليعلم من يطيعه ممن =

الاستحلال والمخالفة لأمر الله عز وجل بمنعهم الصيد في السبت .

الوجه الثاني : أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المقصود بالسبت في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ [البقرة : ٦٥] ، وما هو أصل معنى كلمة السبت ؟

ج : المراد بالسبت في الآية الكريمة يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة أما أصل السبت فقد ورد في لسان العرب السَّبت والسُّبات : الدهر ، والسَّبْتُ أيضًا برهة من الدهر ، والسَّبْتُ كذلك الراحة ، وسبت استراح وسكن .

وقال الطبري رحمه الله : وأصل (السبت) الهدوء والسكون في راحة ودعة ولذلك قيل للنائم (مسبوت) لهدوِّه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه : ﴿ وجعلنا نومكم سُباتًا ﴾ [النبأ : ٩] أي : راحة لأجسادكم وهو مصدر من قول القائل : (سبت فلان يسبت سبتًا) .

● وقد قيل : إنه سمي (سبتًا) لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذي قبله من خلق جميع خلقه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه التحذير لبني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم

= يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف : فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية ، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومَرَدَ على المعصية فلما أبوا إلَّا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم : ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] فصاروا قردة لها أذناب ، تَعاوَى بعد ما كانوا رجالًا ونساءً .

الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] ؟

ج : وجهه أن الله سبحانه وتعالى ذكر بني إسرائيل بما صنع أسلافهم وأجدادهم من نقض العهود والمواثيق ، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى وقد كانت العهود أخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [النساء : ١٥٤] فلما خالفوا أمر الله تبارك وتعالى مسخهم الله عز وجل قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه : ﴿ ... فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] فأنتم يا معشر يهود يا من بعث محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة ، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به ، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة ، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم ، فعليكم حينئذٍ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولًا ﴾ [النساء : ٤٧] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ... ﴾ [البقرة : ٦٥] قول مجمل فما هي الآيات التي فصلت ذلك ؟

ج : هي آيات من سورة الأعراف ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ۞ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا

شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٣- ١٦٦] .

* * *

س : هل مُسخ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة ؟

ج : نعم مسخوا قردة على الحقيقة ، وهذا ظاهر كلام الله عز وجل فالله جل ذكره قال : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] .

● وقد قال جل ذكره أيضًا : ﴿ ... قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُّ عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] وهذا رأي جمهور المفسرين ، رأيهم أن المعتدين في السبت مسخوا قردة على الحقيقة ، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رحمه الله وتعقبه الطبري تعقبًا قويًا في تفسيره وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره ، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ابتلي أصحاب محمد ﷺ بمثل ما ابتلي به بنو إسرائيل فنجح أصحاب محمد ﷺ وخسر بنو إسرائيل وضِّح ذلك باختصار ؟

ج : ابتلي بنو إسرائيل كما تقدم بأن حرَّم الله عز وجل عليهم الصيد يوم السبت كما قال جل ذكره : ﴿ ... وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم

ميثاقًا غليظًا ﴾ [النساء : ١٥٤] ولكنهم خالفوا أمر الله ونقضوا العهود والمواثيق على ما بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه .

وكذلك أصحاب محمد ﷺ فقال الله عز وجل لهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٩٤] فحفظوا – في عمومهم – أمر الله عز وجل وانتهوا عما نهاهم الله عز وجل عنه فهنيئًا لهم بطاعة الله وهنيئًا لهم بالدرجات العلى والنعيم المقيم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى: ﴿ فجعلناها ﴾ [البقرة : ٦٦] يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من يقول : إن الضمير يرجع إلى العقوبة (التي هي المسخ)[1] .

ومنهم من قال : يرجع إلى القرية (والمراد أهلها)[2] .

ومنهم من قال : إنها الحيتان وثم أقوال أُخر وأقوى هذه الأقوال القول الأول والثاني .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نكالًا ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : النكال معناه الزجر بالعقاب ، والنكل والنكال قيود الحديد ، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل ، قاله ابن عطية .

❋ ❋ ❋

(١) واختاره كثير من أهل العلم .
(٢) واختاره الحافظ ابن كثير وصححه .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم . وما خلفها الذين كانوا قد بقوا منهم .

● ومنها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق وما خلفها القرى المحيطة بها .

● ومنها أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان[1] فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر .

والمؤدى واحد وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا وفي هذه عبرة لكل معتبر ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : لماذا خُصَّ المتقون بالموعظة في قوله تعالى : ﴿ ... وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟ ومن المراد بالمتقين هنا ؟

ج : لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة .

أما المراد بالمتقين فقيل : هم الذين يتقون عقوبة الله عز وجل ويحذرونها وقيل : إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ .

● وقيل : إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله .

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١١٥٧) أنه قال : قال الله تعالى : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها ﴾ من ذنوب القوم ، ﴿ وما خلفها ﴾ أي : للحيتان التي أصابوا .

س : ما فائدة التذييل بقوله تعالى : ﴿ ... وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم[1]: وفائدة تذييل قوله عز وجل : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها ﴾ بقوله عز وجل : ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] تأكيد ولفت انتباه إلى وجوب الحرص على تقوى الله عز وجل وملازمة الخوف منه والوقوف عند حدوده بتحليل ما أحلَّ وتحريم ما حرَّم .

❋ ❋ ❋

س : الممسوخ[2] هل يتناسل ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن الممسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم وغيره ، وفيه أن ابن مسعود قال : ... فقال رجل : يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مُسخَ ؟ فقال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل لم يُهلك قومًا أو يعذِّب قومًا فيجعل لهم نسلًا ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) قائله عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره « تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل » (ص١٦٤/١) .

(٢) أي من مسخ من إنسان إلى قردٍ مثلًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣) ، وفي رواية لمسلم « إن الله لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » .

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى بحثًا مختصرًا في ذلك فقال رحمه الله : (٤٤١/٢ ، ٤٤٢) : ولم يبق لهم نسل ؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب ، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام . قال ابن عباس : لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . =

= قال ابن عطية : وروي عن النبيِّ ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام .

قلت : هذا هو الصحيح من القولين . وأما ما احتج به ابن العربي وغيره على صحة القول الأول من قوله ﷺ : « فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته » رواه أبو هريرة ، أخرجه مسلم ، وبحديث الضب رواه مسلم أيضًا عن أبي سعيد وجابر . قال جابر : أُتي النبي ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكل منه ؛ وقال : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » فمتأول على ما يأتي . قال ابن العربي : وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال : رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم . ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها ، وثبت في نص الحديث « قد زنت » وسقط هذا اللفظ عند بعضهم .

قال ابن العربي : فإن قيل : وكأن البهائم بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو ؟ قلنا : نعم كذلك كان ؛ لأن اليهود غيَّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيَّروه ، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم ، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون ، ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون ، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون .

قلت : هذا كلامه في الأحكام ، ولا حجة في شيء منه ، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين : حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواية حُصين عنه قال : رأيت في الجاهلية قِردة اجتمع عليها قِرَدة فرجموها فرجمتها معهم . كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري من كتابه ؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها ؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية . وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلًا شيء من هذا الخبر في القردة ؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري . والذي قال البخاري في التاريخ الكبير : قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال : رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم . وليس فيه « قد زنت » . فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري =

= دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية و لم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية . وذكر أبو عمر في الاستيعاب عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبد الله ، معدود في كبار التابعين من الكوفيين ، وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك ؛ لأن رواته مجهولون . وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا قال : رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها – يعني القردة – فرجمتها معهم . ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا . وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان ؛ وليسا ممن يحتج بهما . وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنى إلى غير مكلف ، وإقامة الحدود في البهائم . ولو صح لكانوا من الجن ؛ لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما » . وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة : « ولا أراها إلا الفأر » وفي الضب : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » وما كان مثله ، فإنما كان ظنًا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلًا ؛ فلما أوحى إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف ، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير : هي مما مسخ ؟ فقال : « إن الله لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » . وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود ، رواه مسلم في كتاب القدر . وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر ؛ فدل على صحة ما ذكرنا . وبالله توفيقنا . وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط ، وردت أفهامهم كأفهام القردة . ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم . والله أعلم .

* * *

فهـرس الآيـات

❋ انتهى بحمد الله ❋

فهـــرس الأحـاديـــث

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

الموقوف من الأحاديث

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

❋ انتهى والحمد لله ❋



مطابع
دار الصحيفة
ت: ٠٢/٢٩٩٩٥٢٧٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣